لَمحَاتٌ مِن سِيَرِ العَشَرِ المُبَشَّرِينَ بالجَنَّة

لِفَضِيلَة الشّيخِ، أَبُو سُفيَان تُركِي بِن مُبَارَك البَنعَلِيّ السُّلَمِيّ

تَفرِيغُ دُرُوس

لَمَحَاتٌ مِن سِيَرِ العَشَرِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ

للشيخ المجاهد، أبو سفيان تركي بن مبارك البنعلي السلمي, رحمه الله.

لمحات من سير العشر المبشرين بالجنة

الدَّرْسُ الأَوَّل: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق

قال الشيخ ابو سفيان السلمي تقبله الله.

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته: بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله معز من أطاعه, مذل من عصاه, و الصلاة و السلام على رسوله و مصطفاه, و على آله و صحبه و من والاه.

أما بعد, فبادء ذي بدء, يطيب لي أن أشكر و أثمن القائمين على هذه الدورة العلمية المتواضعة خاصة, و على أهل ليبيا عامة, لأجل هذه الحفاوة و الكرم و الضيافة. و كأنه قد قصدهم السموءل حيث قال:

و ما أطفئت نار لنا دون طارق　　　　و ما ذمنا في النازلين نزيل

أو كأنه المقنع الكندي يعنيهم حين قال عن نفسه:

و إني لعبد الضيف ما دام نازلا　　　　و ما شيمة لي غيرها تشفه العبد

أي يعني الخادم. القيام بالأضياف و خدمتهم, هذه من الصفات الحميدة, نسأل الله سبحانه و تعالى أن يبارك لنا و لهم و أن يرفع قدرهم في الدارين.

ثم أما بعد: فإن طاب لأناس أن يتكلموا عن المغنين و المغنيات, و عن الممثلين و الممثلات, و عن اللاعبين و اللاعبات, أو طاب لآخرين أن يتكلموا عن الصالحين و الصالحات, سواء كانوا من المتقدمين أم من المتأخرين أم من المعاصرين, فيطيب لنا أن نتكلم عن كوكبة لامعة, و نجوم

ساطعة من الصحابة و القرابة, نتكلم عن خير الناس بعد الأنبياء, عن الأتقياء الأنقياء, عن الصلحاء النجباء رضي الله عنهم و أرضاهم جميعا.

أولآئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا خصيم المجامع

الصحابة الذين أثنى الله سبحانه و تعالى عليهم في آيات كثيرة, تتلى في المحاريب إلى قيام الساعة, كمثل قوله تعالى: {مُحَمّدٌ رَسُولُ اللهِ, وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}

و كمثل قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ }

جاء في حديث جابر: **"لَن يَدخُلَ النَّارَ رَجُلٌ بايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ"**

الصحابة الذين زكاهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, في أحاديث كثيرة, مشهورة, متضافرة متواترة, كمثل حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذي أخرجاه في الصحيحين أنه قال: **"خَيرُ النَّاسِ قَرنِي, ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم, ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم"**.

و كمثل قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم, الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله أنه قال: **"فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي و سُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي, عَضُّوا عَلَيهَا بالنَّواجِذِ"**.

و غيرها من الأحاديث الكثيرة في فضل الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم.

و الصحابة يتفاوتون من حيث المنزلة و المكانة و السؤدد و الفضل بين مقل و مكثر, منهم السابق بالإسلام و منهم المتأخر, منهم من أسلم قبل الفتح و من أسلم بعد الفتح, منهم من شهد المغازي كلها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و منهم ما دون ذلك, منهم المهاجرون و منهم الأنصار.

و خيار الخيار, و صفوة الصفوة و الكمل الكمل, هم العشرة المبشرون بالجنة.

و نحن حينما نتضرق الى سير أولآئك بشيء من الإيجاز و الإختصار و الإقتصار لا نعني بذلك التسلية, و إنما لأخذ العبر و الدرر, لأخذ الفوائد و الفرائض من سيرهم رضوان الله تبارك و تعالى عليهم.

كيف و اللع جل في علاه يقول: {وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ، وَ سَاءتْ مَصِيراً }

و يتبع غير سبيل المؤمنين, أي المؤمنين الأواء الأماثل الأفاضل, رضي الله عنهم جميعا.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهـم إن التشبــه بالـكرام فـــلاح

نحن نسلط الضوء بشيء من الإختصار على أولائك الثلة, على أولآئك الأبرار الأطهار من الصحابة و القرابة.

فنبدأ في هذه الليلة المباركة مع أفضل خلق الله بعد الأنبياء, مع أفضل من طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء, صلوات ربي و سلامه عليهم.

مع صاحب رسول الله قيل البعثة و صاحب رسول الله بعد البعثة, مع صاحب رسول الله قبل الهجرة و في أثناء الهجرة, و في الغار و بعد الهجرة, مع صاحب رسول الله في حياته و صاحب رسول الله بعد مماته في قبره, مع صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الحياة الدنيا

و في الحياة البرزخية, و في الحوض و في الجنة بإذن الله تبارك و تعالى, كما قال صلى الله عليه و آله و سلم لأبي بكر: **"أَنتَ صَاحِبِي فِي الغَارِ, وَ أَنتَ صَاحِبِي عَلَى الحَوضِ"**

أبو بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه: إسمه عبد الله, و قيل عتيق, و لكن الصحيح كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها و أرضاها: **"إِسمُهُ الذِي سَمَّاه أَهلُهُ بِهِ, عَبدُ اللهِ"**. و لُقِّبَ بالعتيق.

قال الإمام ابن الأعرابي رحمه الله: " العَرَبُ تُطلِقُ على الرَّجُل الذي بلغَ النهاية في الجَودة, العَتِيق".

و قيل سمي بالعتيق لحسن صورته و بهاء وجهه رضي الله عنه و أرضاه. كان أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه أبيض نحيفا, غائر العينين, ناتئ الجبين رضي الله عنه و أرضاه, كان يخضب لحيته بالحناء و الكتن.

هو عبد الله بن أبي قحافة, بن عثمان, أبو قحافة هو عثمان بن عامر بن عمرو, القرشي التيمي رضي الله عنه و أرضاه.

كان أول رجل أسلم و آمن بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم, كما كانت خديجة هي أول من آمن من النساء, كما كان علي أول من آمن من الغلمان الصغار, كما كان زيد أول من آمن من الموالي.

أبو بكر كامن له السابقة في الإسلام و الإيمان و اتباع النبي صلى الله عليه و آله و سلم. كيف و هو صاحب العقل الراجح, حيث أنه في الجاهلية كان من أعلم قريش بأنسابها و أحسابها, و كان في الجاهلية هو و بعض أصحاب النبي كعثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه, كانوا ممن لا يشرب الخمر في الجاهلية, حتى قبل الإسلام.

فلحق أبو بكر بالركب في بدايته, في أوله, و أسلم و آمن و اتبع النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و لم يكتفي بذلك, لم يكن سلبيا في إيمانه بل كان إيجابيا حيث أنه بادر بالدعوة, و جد

و اجتهد في دعوة الناس للدخول في دين الله سبحانه و تعالى. أسلم على يديه خلق كثير, منهم عثان بن عفان, و طلحة بن عبيد الله, و الزبير بن العوام, و عبد الرحمن بن عوف, و غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

تأملوا, أن يكون في صحيفتك يوم القيامة أمثال هاؤلآء الجبال من المؤمنين, النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: **"مَن دَلَّ عَلَى خَيرٍ كَانَ لَهُ مِثلُ أَجرِ فَاعِلِهِ"**. كما في صحيح مسلم. و قال صلى الله عليه و آله و سلم **"مَن دَلَّ"** أو قال : **" مَن سَنَّ فِي الإسلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجرُهَا وَ أجرُ مَن عَمِلَ بِهَا إلَى قِيَام السَّاعَةِ, لَا يَنقُصُ من أُجُورِهِم شَيئاً"**.

فكم من الأجور في صحيفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, حيث أسلم على يديه هاؤلاء الكوكبة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, الذين حملوا لنا الدين غضًّا طريًّا كما أنزله الله سبحانه و تعالى.

و قد جاء في حديث علي رضي الله عنه و أرضاه كما عند مسلم: **" لأَن يَهدِيَ اللهُ بكَ رَجُلا واحِداً خَيرٌ لكَ مِن حُمُرِ النَّعم"**. و في رواية ضعيفة: **"خَيرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَت عَلَيهِ الشَّمس"**.

أبو بكر, كان يساهم في الدعوة بماله و نفسه حيث أنه ما يترك شاردة و لا واردة إلا ساهم و إلا بذل في سبيل الله سبحانه و تعالى. لذلك لما رأى بلالا يُعَذَّبُ و يُنَكَّلُ إشتراه بماله فأعتقه في سبيل الله. قال قائل: "لو اشتريت من أصحاب الشدة من ينفعك بعد ذلك من أصحاب البأس حينما تحتاج إليه ينفعك بذلك". فأنزا الله سبحانه و تعالى في أبي بكر: {الَّذِي يُؤتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى, وَ مَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِعمَةٍ تُجزَى, إلَّا ابتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهَ الأَعلَى, وَ لَسَوفَ يَرضَى}.

هذه شهادة الله سبحانه و تعالى في أبي بكرٍ و في مَن سار على نهج أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه. لذلك لا تعجبوا حين تسمعوا من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الأحاديث الكثيرة التي جاءت في فضل أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه, حيث قال صلى الله عليه و آله و

سلم في ما رواه الإمام أحمد في مسنده: " **عرضت كِفَّتَانِ, فَوُضِعَ في إحدَاها أبا بَكرٍ**" –أو أبو بكر– " **وَ وُضِعَت فِي الكِفَّةِ الأُخرَى أُمَّتِي لَيسَ فِيهَا أنا, فَرَجَحَت كِفَّة أَبِي بَكرٍ**". – رضي الله عنه و أرضاه –.

و قال صلى الله عليه و آله و سلم كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه, لما كان في حائط – أي, بستان – فاستؤذِنَ فقال صلى الله عليه و آله و سلم, لأبي موسى: "**إئذَن لَهُ وَ بَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**". فإذا هو أبو بكر الصديق, فحَمِدَ الله. ثمّ إذا برجلٍ يستأذِن فقال صلى الله عليه و آله و سلم: "**إئذَن لَهُ وَ بَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**". فإذا هو عُمَر ثُمّ بِرجُلٍ يستأذِنُ, فقال صلى الله عليه و آله و سلم: "**إئذَن لَهُ وَ بَشِّرهُ بِالجَنَّةِ, على بَلوَى تُصِيبُهُ**". فإذا هو عثمان رضي الله عنه و أرضاه, فحمد الله, و استرجع, و قال: "اللهُ المستَعَانُ".

كذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: "**كُلُّ خَوخَةٍ تُسَدُّ إِلَّا خَوخَة أَبِي بَكر**". رضي الله عنه و أرضاه.

و قال صلى الله عليه و آله و سلم: "**لَو كُنتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذتُ أبا بَكرٍ خَلِيلاً, وَ لَكِن أُخُوَّةُ الإسلَام**". كما جاء في حديث ابن مسعود عند البخاري رحمه الله.

كذلك قال صلى الله عليه و آله و سلم: "**اقتَدُوا بِالَّذَينِ مِن بَعدِي, أبي بكر و عمر**". كما عند الترمذي. كذلك رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و الحديث ضعيف, أنه قال: "**أَبُو بَكرٍ و عُمَر لَا يُحِبُّهُمَا إِلَّا مُؤمِنٌ, و لَا يُبغِضُهُمَا إِلَّا مُنَافِقٌ**". رواه الخطيب البغدادي في تاريخه و الأحاديث في فضل أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه أشهر من أن تُذكر, و أكثر من أن تحصر.

أيضا من فضائل أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه و هي كثيرة, أنه كان من أشجع الناس, لذلك روى البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه أنه قام في الناس خطيبا,

فقال: " أَيُّهَا النَّاس, مَن أشجَعُ النَّاسِ؟". فقالوا: "أنت يا أمير المؤمنين!", قال: "أما إني مَا بَارَزتُ رَجُلاً إلَّا انتصَفتُ مِنهُ! و لكن أَشجَعُ النَّاسِ أبو بَكرٍ الصِّدّيق, حِينَ أُعتُدِيَ عَلَى رَسُولِ الله, صلى الله عليه و آله و سلم, فِي مَكّة, فَاجتَمَعَت عَلَيهِ قُرَيش, هَذَا يترتله, و هَذَا يَجَأهُ, و هذَا يَأخُذُ بِثِيَابِهِ, فَتَقَدّمَ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه و أرضاه, و هو يَدفَعُ عَنهُ, و يَضرِبُ هَذا, و يَجَأُ هَذَا, وَ يَلكَمُ هَذَا, و يقول: " أَتَقتُلُونَ رَجُلاً أن يَقُولَ رَبِّيَ الله؟", ثُمّ اجتَمَعُوا عَلَى أبِي بَكرٍ رضي الله عنه و أرضاه, وَ ضَرَبُوهُ حَتّى أسقَطُوه".

و كذلك روى الإمام ابن كثير رحمه الله في البداية و النهاية: أنه لما بلغ أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم, ثمان, لما كانو ثمان و ثلاثون رجلا, ألـحَّ أبو بكرٍ على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, أن يظهروا الإسلام, فامتنع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قال: " **إِنَّا قَلِيلٌ**". ثم أصر أبو بكر و ألحَّ حتَّى نزل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فقام أبو بكر خطيبا, و كان أول خطيب يدعو الى الله, و يدعو الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و رسول الله جالس, يستمع الى أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه, فما كان من قريش إلا أن همت بأبي بكر و أردته صريعا و ضربته و وجئت على بطنه و ضربت وجهه بالنعال حتى لا يعرف وجهه من أنفه حتى أغشي عليه, فجاء بنو تيم, قبيلة و فخذ أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه و أرضاه, و أخذوه و أدخلوه إلى بيته و ما يظنوه إلا سيموت, ثم أفاق في آخر النهار فكان أول ما قال: "مَا صَنَعَ رَسُول اللهِ؟"صلى الله عليه و آله و سلم,

قالوا:"هو بخير". فلم يطب له الطعام و لا الشّراب, و قال: "للهِ عَلَيَّ أن لَا آكُل طَعَاماً, و لا أَشرَب شَرَاباً حَتَّى أرى رَسُولَ اللهِ".صلى الله عليه و آله و سلم. فلما كان من الليل تهادى و أخذه إلى رسول الله في دار ابن الأرقم, فلمّا رءاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, أشفق عليه و أسرع إليه و قبّل أبا بكرٍ, رضي الله عن أبي بكر.

لماذا سمي بالصّدّيق؟ - روى الإمام الحاكم في مستدركه أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما أسري به إلى المسجد الأقصى, اتخذت قريش تلك علة لكي تطعن في رسول الله و في صدق رسول الله, فارتدّ من ارتدَّ ممن آمن, فأتوا إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه و أرضاه, فقالوا له: " ألم تسمع صاحبك ماذا يقول؟" قال: " و ماذا يقول؟" قالوا: "يقول أنه أسري به في ليلة واحدة إلى المسجد الأقصى ثم عاد قبل أن يصبح!" قال: "إن كَانَ قَالَهَا فَقَد صَدَق!" قالوا :"كيف تصدقه في ذلك؟" قال: " أُصَدّقُهُ في أَعظَمِ من ذَلِك! أُصَدّقُهُ في خَبَرِ السّماء, يَأتِيهِ غُدُوًّا و عَشِيّاً, رواحاً و عشيّاً!". فسمي بالصدّيق كما قال الإمام الحاكم.

و سمّاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالصّدّيق كما في الحديث الذي أخرجاه في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه و أرضاه, أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أبا بكرٍ و عُمر و عُثمان كانوا على أُحُدٍ, فارتجَّ أحُد, فقال صلى الله عليه و آله و سلم: " **أُثبُت أُحُد, فَمَا عَلَيكَ إلّا نَبِيّ وَ صِدّيق وَ شَهِيدَان**". فشهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم لأبي بكر بالصّدّيقيّة.

كذلك في ما رواه الإمام الترمذي عن عائشة رضي الله عنها لما سألت النبي صلى الله عليه و آله و سلم: {الذِينَ يُؤتُونَ مَا ءَاتَواْ وَ قُلُوبهُم وَجِلَة } . "أَهُوَ الرَّجُلُ الذِي يَزنِي وَ يَسرِقُ وَ يَشرَب الخَمرَ وَ يُخَالِف؟". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: "**لَا يَا ابنَةَ الصّدّيق**". - فسمّاه الصديق – "**لَا يَا ابنَةَ الصّدّيق, وَ لَكِنّهُ الرّجُل يَصُومُ و يُصَلّي وَ يَتَصَدّقُ وَ يَخَافُ أَن لَا يُقبَل مِنهُ**". إذَن, فهو الصديق بشهادة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

قال الله تعالى: {فَأُولآئِكَ مَعَ الذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ، وَ حَسُنَ أولآئِكَ رَفِيقاً }. فليس بعد مرتبة النبوة مرتبة إلا مرتبة الصديقية التي حازها أبو بكر رضي الله تعالى عنه بفضل من الله سبحانه و تعالى.

و في الهجرة, أذن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعامة أصحابه بالهجرة, و لم يأذن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه بالهجرة. ثم كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يأتي لأبي بكر في أحد طرفي النهار, فأتاه في ذلك اليوم في الظهيرة. لم يكن يأتي النبي صلى الله عليه و آله و سلم لأبي بكر في ذلك الوقت, أتاه متلثما, حتى دخل عنده, فاستبشر أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه, فكان مما قال صلى الله عليه و آله و سلم لأبي بكر, أن "**أَخرِج مَن عِندَك**". فقال أبو بكر: "يا رَسُولَ اللهِ, بِأبي أنتَ و أُمّي, إنّما هما ابنَتَاي". يعني عائشة و أسماء. فقال صلى الله عليه و آله و سلم: "**الصُّحبَةُ يَا أبا بكر**". فبكى أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه. قالت عائشة في رواية ابن اسحاق: "فَلَم أَكُن أعلم أنَّ أحَداً يَبكِي مِنَ الفَرَحِ قَبلَ ذَلِكَ".

جهز أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه لوازم الهجرة. حضَّرَ راحِلَتَين لَهُ و لِرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, ثُـمَّ سار إلى الغار, غار ثَور, ثـم وكّـل أسمـــاء بأن تأتيهم بالطعام, أسماء بنت أبي بكر الصديـــق رضي الله عنه و أرضاه, و وكل بعض مواليه بأن يسير بالغنم, و يرعى الغنم حتى يغطي على خطوات أسمـــاء, ثـــم وكّل بعض مواليه, و هو عبد الله بن أريقط, و كان خِرّيتاً, أي ماهرا بالطرق, أن يأخُذهم إلى المدينة.

فكان أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه, له كل هذه الأفضال, بعد الله سبحانه و تعالى, و بفضل الله سبحانه و تعالى في هجرة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و لولاه بعد الله لما بزغ نور الإيـمان في مدينة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و نقول هذا من باب أنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل.

في الغار, أتى الرصد, و أتى الطلب من قريش, و قد وضعت المال لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيا أو ميّتا.

جاءوا إلى عند الغار, فقال أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه: " وَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ, لَو نَظَرَ أحَدُهُم إلى قَدَمَيهِ لَرآنا". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **"يَا أبا بَكر, مَا ظَنُّكَ باثنَيـــنِ, الله ثـــالِثُهُمَا"**. كما روى ذلك الإمام البخاري.

قال الله تعالى: {إلَّا تَنصُرُوهُ فَقَد نَصَرَهُ اللهُ, إذ أَخرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا, ثَانِيَ اثنَينِ إذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحزَن إنَّ اللَّــهَ مَعَنَا }.

و هنا نقف وقفات:

أوّلا: نقول لأولائك الطاعنين في أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, إن الله سبحانه و تعالى, سماه, و قرر و نصَّ على صحبة أبي بكرٍ رضي الله عنه و أرضاه.

لذلك قال أهل العلم: "من طعن و شكَّ في صُحبَةِ بعض أصحاب رسول الله, صلى الله عليه و آله و سلم, ففيه نظر, أمّا من طعن و شكّ في صحبة أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه فهو كافر". – لِـمَ؟ – لأنه رد نصَّ القُرءان, لأنه عارَضَ القرءان, لأنه ردّ على الله قوله :{إذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ.}. سمّاه صاحبه رضي الله عنه و أرضاه.

أما الوقفة الثَّانِية: فقول الله سبحانه و تعالى لـمَّا تراءى الجمعان, جمع فِرعون و جمع موسى عليه السلام, قال أصحاب موسى: { إِنَّا لَمُدرَكُون } قال: { كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهدِين }. و لم يقل. ((إنّ معنا ربي سيهدين)) بعكس ما كان أمر رسول الله, و أبي بكر, رضي الله عن أبي بكر, حيث قال الله تعالى: : { إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحزَن إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا }. فأثبت المعية الخاصّة لرسول الله و لأبي بكر رضي الله عنه و أرضاه.

و تعلمون أن المعيّة معيّتان, معية عامّة, لسائر الناس, أن الله جل في علاه معهم بسمعه و بصره و علمه: : { إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسمَعُ وَ أَرَى }. و معية خاصة, لأوليائه بالنصر و التأييد و الحفظ, فكان تلك المعية لأبي بكر بنص القرءان, ثم يزعم الرافضة أن أبا بكر خاف في هذا الموطن, فنقول لهم, إن سلّمنا بأنه خاف, فإنما خاف على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و لم يخف على نفسه. كيف و هو الذي يفدّي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بنفسه و بأبويه, كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه و أرضاه, الذي أخرجاه في الصحيحين, أن النبي قال على المنبر: **"إنَّ عَبداً, خَيَّرَهُ اللهُ** —سبحانه و تعالى- **بَينَ زَهرَةِ الحَيَاةِ الدُّنيَا و بَينَ مَا عِندَهُ, فَاختَارَ مَا عِندَهُ"**. فبكى أبو بكر و قال: "فَدَينَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ بِأبآئِنَا و بِأمَّهَاتِنَا". فقال أبو سعيد: "فَعَجِبنَا لـهَذَا الشّيخ". -لم يعجب, و النبي صلى الله عليه و آله و سلم, يذكر عن عبد, خيره الله بين زهرة الحياة الدنيا, و بين ما عنده, فاختار ما عنده.- قال: "فَكَانَ رَسُولَ اللهِ هُوَ الـمُخَيَّر, و كان أبُو بَكرٍ أعلَمُنا".

فأبو بكر, كان يخاف على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, لذلك كما روى البزّار و غيره عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه و أرضاه, لـمّا تكلّم بعض الناس في زمن خلافة عمر و قالوا بتفضيل عمر على أبي بكر, فقال: "وَ اللهِ لَـلَيلة مِن لَيالِي أبِي بَكرٍ خَيرٌ مِن آلِ عُمَر". قال: "لَيَومٌ مِن أيّامِ أبِي بَكرٍ خَيرٌ مِن آلِ عُمَر". كما روى ذلك أيضاً الإمام الحاكم رحمه الله.

لِـــــمَ ذلـــك؟ - علَّلَ ذلك بيوم الهجرة, يوم الغار, قال: "كان أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه يتقدم النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و يتأخّر عنه, فلمّا علِمَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و شعر بأمر أبي بكرٍ في تقدّمه و تأخّره, سأله عن ذلك؟, فقال: "يَا رسُولَ اللهِ, أَتَذَكّرُ الطّلَب فأتأخّر, و أَتَذَكّرُ الرّصد, فأتَقَدّم".

ثُـمَّ لَمّا نزل في الغار, قال: "عَلَى رَسلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ". فدخل أبو بكر و أدخل يده في الجحور التي في الغار مخافة أن يكون بها هامّة أو عقرب أو أفعى تؤذي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ثم دخل النبي صلى الله عليه و آله و سلم مع أبي بكر, فرأى أبو بكر جحرا لم يضع يده فيه, فأدخل يده فيه, و كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد وضع رأسه على فخذ أبي بكر و نام صلى الله عليه و آله و سلم. فلدغ عقرب يد أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه, فتألّم أبو بكر, و سكت و صمت مخافة إزعاج النبي صلى الله عليه و آله و سلم في نومته تلك, فذرفت عيناه و صقطت دموعه على وجه رسول الله الشريف صلى الله عليه و آله و سلم, فاستيقظ صلى الله عليه و آله و سلم, و رقى أبا بكر, فبرئ.

نقول للرافضة: إن كان أبو بكر خائنا, أو منافقا, أو كافرا كما يزعمون, لكان بإمكانه و هو في الغار لما جاءت قريش أن يُخرِجَ سعلة, أو صوت أو يتحرك, حتى يفطن له قريش, فينالوا من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, ولكن حاشاه حاشاه.

ثم نقول, الذي يوضع عليه من قبل الكفر الأموال الطائلة لرصده و لقتله و لإيذائه لا يخرج و لا يأخذ معه في هروبه و في مطاردته إلا من يثق فيهم, إلا خاصة الخاصة من أصحابه و خاصته.

و كان أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه ذلك الرجل الذي يثق به صلى الله عليه و آله و سلم, الثقة الكاملة, غير المنقوصة.

ثم و في الهجرة, و بعد الهجرة كان أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه ذلك الرجل الباذل لأجل الدعوة, و لأجل الدين, حتى روى الإمام أبو داود عن عمر رضي الله عنه و أرضاه أنه قال: "دَعا رَسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, إِلَى الصَّدَقَة, فَكانَ عِندِي مَال, فَقُلتُ: اليَومَ أسبِق أبَا بَكرٍ! فأتَيتُ بِشَطرِ مَالِي, فَلَمَّا قَدَّمتُهُ لِرَسُولِ اللَّـــه صلى الله عليه و آلـه و سلم, قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَــاذَا تَـرَكـتَ لِأَهلِكَ يَـــا عُمَـــر؟"**. قال: "تَرَكتُ لَهُم شَطرَ مالِي". قال: "ثُمَّ أتى أبو بَكرٍ رضي الله عنه و أرضاه, فَقَدّمَ جميعَ مَالِهِ, فقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم لأَبِي بَكرٍ: **"مَــاذَا تَرَكتَ لِأهلِك؟"** قال: "تَرَكتُ لَهُم الله و رَسوله". — فقال عمر: "فَعَلِمتُ أَنّي لَا أسبِق أبَا بَكرٍ أبداً ".

كذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه: "لَا يَسبِق أبَا بَكرٍ مِنَّا أَحَدٌ ".

هكذا كان أصحاب رسول الله, يعلمون فضل أبي بكر, و سابقة أبي بكر, و مكانة أبي بكر, كيف و هو من أحب الناس أجمعين إلى قلب رسول الله الصادق الأمين, صلى الله عليه و آله و سلم, حيث أخرج البخاري و مسلم عن عمرِو بن العاصي, -كما ضبطه الإمام النووي رحمه الله, و البعض قال: "العاص".- أنه أتى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: "يَا رَسول اللهِ, أيُّ النَّـاسِ أحَبُّ إلَيك؟". فقال: **"عَـــائِـشَـة"**. قال: "وَ مِنَ الرِّجالِ؟" قال: **"أبُـــوهــا"**. هكذا أجاب الصادق المصدوق, صلى الله عليه و آله و سلم.

ولكنَّ الرافضة حينما يُسأَلون عن أبغض الناس إليهم, يقولون عائشة, يُقَال لهم, و من الرجال؟ يقولون أبوها. بينما النبي صلى الله عليه و آله و سلم يُسأَلُ عن أحبّ الناس إليه يقول: **"عائشة"**, و من الرجال أبوها.

كذلك روى البخاري و مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "كانَ أصحَابُ رَسُولِ الله, صلى الله عليه و آله و سلم, يُفَاضِلُونَ بَـــينَ الصَّحابـةِ, فَيَقُولونَ: أفضَلُنَا, أبو بَكـــرٍ ثُـمَّ عُمـــر, ثُمَّ عُثمان, فَيَبلُغ ذَلِكَ إلى رَسولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه و آله و سلم, فَلَا يُنكِرُهُ" صلى الله عليه و آله و سلم.

و روى الإمام الترمذي و صححه و حسنه الألباني في المشكاة أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه, قال: "خَيرُنا و أفضَلُنَا و أحَبُّنَا إلى رَسُولِ الله, أبو بَكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه و أرضاه".

و هذه المنزلة السامقة العالية الشاهقة, التي نالها أبو بكر, لم يكن الصحابة فحسب, يعرفونها لأبي بكر, بل حتى الكفار آنذاك يعلمون هذه المنزلة لأبي بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه و أرضاه, كما أخرج الإمام البخاري ف غزوة أحد, أنَّ أبا سُفيان, و كان مُشرِكاً آنذاك, أتى و قال: "هل في القَومِ مُحَمَّدٌ؟" ثلاث مرات. قال النبي: **"لَا تُجِيبُوهُ"**. فقال: "هل في القَومِ ابن أبي قُحَافَة؟" فقال النبي: **"لَا تُجِيبُوهُ"**. ثلاث مرات. ثُمَّ قال: "هل في القَومِ ابن الخَطَّاب؟" ثلاث مرات. فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"لَا تُجِيبُوه"**.

يقول الإمام ابن القَيّم رحمه الله, في فوائد هذه القصّة في سيرة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, كما في زاد المعاد في سيرة خير العباد, قال: "و فيه أنَّ الكُفَّار يعلمـونَ مَنزِلَة أبي بَكر وَ عُمَر, إذ عَلَيهِمَا قِوَامُ الإسلَام".

فهذه المنزلة لم تكن خافية على أحد, لا من المؤمنين, و لا من الكافرين, لا مِنَ الأبرَار, و لَا مِنَ الفجّار و لا من الكفار, الكل يعلم فضل أبي بكر. — وَ الحَقُّ مَا شَهِدَت بِهِ الأعدَاءُ-.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, لم يكن بـمَنئى عن غَزوات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و معاركه, فخاض الغزوات جميعا, و شهد المشاهِد جـميعا مع رسول الله, صلى الله عليه و آله و سلم, و لـم يتخلف عنه قط, و كان مِن مواقفه, كما في بدر لما دعى النبي

صلى الله عليه و آله و سلم ربه: "**اللَّهُمَّ إن تَهلِك هَذِهِ العِصَابَة, لَا تُعبَدُ فِي الأرض**". أخذ أبو بكر, صلى الله عليه و آله و سلم, بِرَسول الله, و ضمه إليه من خلفه حتى ألصق ظهره الشريف بصدره رضي الله عنه و أرضاه, و قال: "كَفَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ مُنَاشَدَة رَبّك, فإنّهُ سِيُنجز لَكَ ما وَعَدَك".

كذلك في أحُد, لمّا انكشف الناس عن رسول الله, و انهزم من انهزم, ثبت أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه في الذَّبّ عن رسول الله و الذود عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.
كذلك في صلح الحديبية, كما جاء عند البخاري, لمَّا قال عُروة بن مسعود لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: "أرى أوباشا". — و في رواية — "أوشابا".- يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم-. "حري بهم إن قاتلناك أن يفِرّوا عنك و يدعوك". فقام أبو بكر, رضي الله عنه و أرضاه, مغضبا, و قال له: "أُنصُص بَدرَ اللات, أنَحنُ نَفِرُّ عَنهُ و نَدَعه؟"

هكذا كان دفاع أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و في حنـــين, لمّا انكشف مِن أصحاب رسول الله, ثبت أيضاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, في قتال و مُناكفة أعداء الله.

هكذا كانت حياته في الدفاع و الذود عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و في آخر حياة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و لما اشتد المرض عليه, قال: "**مُرُوا أبَا بَكرٍ فَليُصَلّي بِــالنّاس**"..."**مُرُوا أبَا بَكرٍ فَليُصَلّي بِــالنّاس, يَـأبَى اللهُ وَ المُؤمِنُونَ إلّا أبَـا بَكر**". كما روى ذلك البخاري و مسلم.

قال صلى الله عليه و آله و سلم: "**مَعَــاذَ اللهِ أن يَختَلِـفَ الـمُؤمِنُــونَ فِــي أَبِـي بَــكر**".

كما روى ذلك البخاري و مسلم.

و لـمَّا رأته امرأة, كما في حديث جبـير بن مطعم الذي أخرجه أهل السنن: ((جاءا امرأة إلى رَسُول الله صلى الله عليه و آله و سلم فِي حاجَة, ثم قال لها صلى الله عليه و آله و سلم: "**عُودي لِي بَعدَ ذَلِـكَ**". قفالت: "أرأيتَ يَا رَسُول الله إن لَمَ أجِدك؟" و كأنها تعني الموت, فقال: "**إن لَمَ تَجِدِينِي فَأْتِي أبَـا بَكر**".)) رضي الله عن أبي بكر!.

تقدم أبو بكرٍ للصّلاة بالنــاس أياما, ثم حصلت من رسـول اللّـه قوة و نشاطا, فأراد أن يطمئنّ على أمَّتـه من بعده, فتهادى بين العبـاس و علـي بن أبي طالـب رضي الله عنهم, حتى أتى الـمسجد, و أبو بكر يصلي بالنّاس , فلما رأى الصحابة دخول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم إلـى المسجـد, أخذت منهم ضجــة, و صفّقوا حتى فطن لذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه, فالتفت إليهم, فرأى رسول الله قد أقدم, فتأخر أبو بكر, فأشار إليه رسول الله: "أنْ مَكَانَك!", أن مكانك!... فتأخّر أبو بكر, فتقدّم صلى الله عليه و آله و سلم.

فصلى أبو بكر بصلاة رسول الله, و صلى المسلمون بصلاة أبي بكر, فلمّا انتهت الصلاة, قال صلى الله عليه و آله و سلم لأبي بكر: "**مَـا مَنَعَـكَ أَن تَمكُــثَ مَكانَـك إذ أمَرتُــك**؟" قال أبو بكر: "مَـا كَانَ لِابنِ أبِـي قُحَـافَة أَن يَتَقَـدّمَ عَلى رَسُول الله".صلى الله عليه و آله و سلم. رواه البخــــاري و مسلــــم.

توفّـي رسول الله و انتقل إلى الرفيق الأعلى, انتقل الى الرفيق الأعلى, صلى الله عليه و آله و سلم, فضجّ النــاس, و أخذت منهم ضجة, من مصدق و مشكك, و آخر لا يعـي ما يحدث حوله. فأتى أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه, و ترك النّاس يتكلمون في المسجد, فدخل حجرة عـائشــة أم المــؤمنــين, زوج النبي صلى الله عليه و آله و سلم, الصديقة بنت الصديق, الذي توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في بيتها و بين نحرها و سَحرها, رضي الله عنــها و أرضاها.

دخل فرأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, مسجـى, فقبّل بـين عينيه و قال: "طِبتَ حيّاً و مَيّتا يَـا رَسُـول الله. أَمَّـا الـميتة الأولَى فَقَد أدرَكتَهَا, وَ لَا تَجتَمِع عَلَيكَ مِيتَتَـانِ". أو كما قال.

ثم خرج إلى الناس, و أسكت عمر, ثُـمَّ صَعِدَ على المنبر, و حمد الله ثُمّ قال: " أيُّهَا النّـاس , مَن كَانَ يَعبُدُ مُحَمَّداً, فَإنَّ مُحَمَّدٌ قَد مَاتَ, و مَن كَانَ يعبُدُ اللهَ, فَإنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَموت". ثم تلا قول الله سبحانه و تعالى: {وَ مَا مُحَمَّدٌ إلَّا رَسُـولٌ قَد خَلَـت مِن قَبلِهِ الرُّسُل, أَفَإين مَّاتَ أَو قُتِـلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعقَـابِكُـم, وَ مَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَـن يَضُرَّ اللهَ شَيئاً, وَ سَيَجزِ اللَّـــهُ الشَّاكِرِين }.

قال الناس: "وَ كأنّنا لِأوّلِ مَرّة نَسمَعُ هَذهِ الآية, و كَأنَّ الآية بالتَّوّ نزلَت".

فَكان أبو بكر رضي الله عنه مثبتا للمؤمنين في الشدائد و في المحن رضي الله عنه و أرضاه.

ثـم اشتغل الزبيـر و علي بتجهيز النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة على سعد بن معـاذ, فسمع بهم بعض المهاجرين, فانطلق إلَيهِم أبو بكر و عمـر و أبو عبيدة رضي الله عنهم جميعا, فأدركوهم فدار حوار بين الصحابة رضوان الله عليهم, مُلَخَّصُهُ : أن أبو بكر قال لـمّا قالت الأنصار: "منّا أمير و منكم أمير". قال أبو بكر: "بَل نَحنُ الأمَرَاءُ وَ أنتُم الوزَرَاء, إنّ هذا الحيّ مِن قُرَيشٍ لَا يَدِينُونَ إلَّا لَهُم". ثُـمَّ قال لعمر: " أبسُط يَدَكَ أُبَـايِعكَ!". فقال عمر: "بَل أبسُط يَدَكَ أنتَ أبَايِعكَ". فبايعه عمر, ثُمّ تواطأ الناس من المهاجرين و الأنصار على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه.

قال الإمام أبو بكـر بن عيَّـاش رحمـــه اللَّـــه: " أبو بكر الصديق خليفة رسول الله فِي القُرآن" —كيف ذلك؟ قال– "الله تبارك و تَعَـالَى قَال عن الـمُهَاجِرِين: {أُولآئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }. وَ من كَانَ صادِقاً لن يكذِب, و المهاجِرونَ قَالُوا لِأبِي بَكرٍ: ((يَا خَلِيفَة رَسُولِ

اللهِ)). إذ هُم سَمّوهُ, أبا بكرٍ رضي الله عنه و أرضاه, بخَلِيفَةِ رَسُول الله صلى الله عليه و آله و سلم".

في خلافة أبي بكرٍ ماجت العرب, و اشرأبّ النّفـاق في جزيرة العرب, و ارتدّ أغلب العرب.

أوّلاً: قام أبو بكرٍ الصديق بتجهيز جيش أسامة و بِبَعثِ جيش أسامة, و قال: " ما كَانَ لِي أن أحلّ عُقدَةً عَقَدَهَا رَسول الله, صلى الله عليه و آله و سلم". و قال: " أوَ أطِيعُهُ حَيّاً و أعصِيهِ مَيّتاً؟".

ثم جهز الجيوش لِقتال المرتدّين, و أخرج السرايا, منهم و على رأسهم, خالد بن الوليد, سيف الله المسلول, لقتال عامة أهل الجزيرة من المرتدين. و أرسل أبا العلاء الحضرمي, إلى المرتدين, أو من ارتد في البحرين, و أرسل عكرمة بن أبي جهل إلى عُمان, و هكذا. و قال كلمته المشهورة: " أوَ يَنقُصُ الدّين و أنَا حَيّ؟" . رضي الله عنه و أرضاه.

قالت المرتدين, و كانوا أصنافا و ألوانا. بعضهم من رجع و عاد إلى عبادة الأوثان, و قال: "لو كان نبيا لما مات". و بعضهم, اتبع المتنبّئين, كمسيلمة الكذاب, و كطليحة الأسدي, و كغيرهم. و بعضهم, صام, و صلى, و لكنه منع الزكاة. فدخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه, على أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, هذا الأسير, هذا الرقيق, الذي كان هو من أخص أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

كان رسول الله, يغضب لغضب أبي بكر, حيث روى الشيخان, عن أبي الدرداء رضي الله عنه و أرضاه, أن أبا الدرداء كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, جالسا, فأقبل أبو بكر و قد أخذ بثيابه إلى ركبتيه, فقال صلى الله عليه و آله و سلم: " **أمَّا صَاحِبَكُم فقَد غَامر**". فلمّا أتى, حكى من شأنه, و أنه دار بينه و بين عمر بن الخطاب حوار, فغضب عمر,فذهب مغضبا, فلحق به أبو بكر يسترضيه, و يقول له: "استَغفِر لِي يَا أَخِي". فما كان من عمر إلا أن دخل داره, و أغلق بابه دون أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه.

فأتى ابو بكر حزينا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فبعد ذلك استرجع عمر, و رضي و ندم على ما قدم, فسار الى بيت ابي بكر, فطرق الباب, فقال: " أثَمَّ ابو بكر؟" قالوا: "لا". ثم توجه الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فرءاه صلى الله عليه و آله و سلم, فتمعر وجهه الشريف, صلى الله عليه و آله و سلم, فما كان من أبي بكر, إلا أن جثا بركبتيه و قال: " و اللهِ يَا رَسُولَ الله, أنَا كُنتُ أَظلَم", " أنا كنتُ أَظلَمُ". فقال صلى الله عليه و آله و سلم, مخاطبا عمر بن الخطاب, رضي الله عنه و أرضاه: **"بَعَثَنِي اللهُ إلَيكُم, فقُلتُ يَا أيُّهَا النَّاس, إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم, فَقُلتُم كَذَبتَ, و قَالَ أَبُو بَكرٍ صَدقتَ, و واسَانِي بِنَفسِهِ و مَالِهِ"**.

أبو بكر, الذي يغضب لغضبه رسول الله, صلى الله عليه و آله و سلم, دخل عليه عمر في وقت الردة, يحاوره في شأن المرتدين. قال: "كَيفَ تُقَاتِل النَّاس, و قَد قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله علَيهِ و آلِه و سَلَّم: **"أُمِرتُ أن أُقَاتِلَ النَّاس حَتَّى يشهَدُوا أن لَا إلَه إلَّا الله, و أني رَسُول الله, فإذا قَالُوهَا, عصَموا مِنّي دِمَائهم و أموَالَهُم, إلّا بِحَقّهَا, و حِسَابُهُم عَلَى الله"**.

قال أبو بكرٍ: "و اللهِ لأُقَاتِلنَّ مَن فَرَّقَ بَينَ الصَّلَاةِ و الزَّكَاةِ, الزَّكَاةُ مِن حَقّها, وَ اللهِ لو مَنَعُونِي عِقَالاً" أو قال "عِنَاقاً كانُوا يؤدُّونَها الى رَسُولِ اللهِ, صلى الله عليه و آله و سلم, لَقَاتَلتُهُم عَلَى مَنعِهِ". و قال في بعض الروايات, لعمر: " أجَبَّارٌ فِي الجَاهِلِية, خَوّارٌ فِي الإسلَامِ؟". قال عمر : " فَمَا إن رَأَيتُ أنَّ اللهَ سبحانه و تعالى شَرَحَ صَدرَ أَبِي بَكرٍ لِلقِتَالِ, إلَّا قَد عَلِمتُ أنّه الحَقَّ".

"في قتال أبي بكرٍ الصديق, رضي الله عنه و أرضاه, للمرتدين, أعظم منقبة, و أعظم فضيلة لأبي بكرٍ". كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

و قال وكيع, كما روى ذلك عبد الله في الزيادات في مسند الإمام أحمد قال وكيع: "لولا أبو بكرٍ لذهب الإسلام". " لولا أبو بكرٍ لذهب الإسلام".

و قال علي بن المديني: "لولا موقف أبي بكرٍ في الردة, و موقف أحمد بن حنبل في المحنة, لأتانا الإسلام ناقصا".

أبو بكرٍ في قتاله للمرتدّين, تمثّل فيه قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دِينِه فَسَوفَ يَأتِي اللهُ بِقَومٍ } ما هي صفاتهم؟ {يُحِبُّهُم وَ يُحِبُّونَهُ, أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤمِنِينَ, أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ, يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَومَةَ لَائِمٍ, ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يؤتِيهِ مَن يَشَاء, و اللهُ وَاسِعٌ عَلِيم}

قال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية, كما في مجموع الفتاوى في المجلد الرالع, قال: " و على رأسهم و إمامهم, أبو بكر الصديق, رضي الله عنه و أرضاه".

بل أعظم من ذلك, قال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي, رحمه الله رحمة واسعة, قال في قول الله تعالى: {قُل لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعرَاب, سَتُدعَونَ إِلَى قَومٍ أولِي بَأسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُم أَو يُسلِمُون} قال في هذه الآية أنها نزلت في المرتدّين, أذ أن الكافرين الأصليين يُقَرُّن على الجزية, أما الكفار المرتدون, إما الإسلام أو السيف, { تُقَاتِلُونَهُم أَو يُسلِمُون} . قال: "و فيها دلالة على صحة إمامة أبي بكرٍ و عمر, إذ أن ابا بكر هو من قاتل المرتدين, و هو من استخلف عمر من بعده ". قال ذلك في كتابه الماتع, أحكام القرءان, في المجلد الرابع, صفحة مائة و ثلاثة.

إذن, في ذلك منقبة عظيمة لأبي بكر رضي الله عنه و أرضاه, في قتاله للمرتدين, ثم حضرت الوفاة لأبي بكر رضي الله عنه, في السنة الثالثة عشرة, و عمره في ثلاث و ستين سنة, كعمر

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و قيل أيضا أنه مات مسموما, رضي الله عنه و أرضاه. لما كان في مرضه الأخير, استدعى بعض خاصة الصحابة, رضوان الله تبارك و تعالى عليهم, و قال لكاتبه, و هو عثمان بن عفان, أكتب, و أملى عليه في شأن استخلاف عمر بن الخطاب.

لما كان أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه, في مرضه الأخير, و دعا كاتبه ليكتب, و هو عثمان بن عفان, رضي الله عنه و أرضاه, في أمر الإستخلاف, و أنه جعل على هذه الأمة من بعده, عمر بن الخطاب, رضي الله عنه و أرضاه, قال قائل من القوم: "اتق الله يا أبا بكر, أتجعل على أمة محمد عمر بن الخطاب, و قد علمت من غلظته؟" قال أبو بكر: "إجلسوني", أو قال "أجلسوني, أبالله تخوّفوني؟ سأقول له, وليت على أمتك خير أهلك!", "وليت على أمتك خير أهلك!". و هو عمر رضي الله عنه و أرضاه, و سيأتي بإذن الله سبحانه و تعالى, و حوله و طوله, معنا في الدرس المقبل, ومضات و لمحات عن سيرة عمر رضي الله عنه و أرضاه.

لما كان في مرضه, أوصى أبو بكرٍ كما ذكر ذلك الإمام الزهري, أنه يُدفن عند قبر رسول الله, صلى الله عليه و آله و سلم. فدُفِنَ عند قبر رسول الله, صلى الله عليه و آله و سلم.

قال هارون الرشيد, لإمام دار الهجرة, للإمام مالك رحمه الله: " ما منزلة الصديق, و الفاروق من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في حياته؟" فقال الإمام مالك: " منزلتهما في حياته كمنزلتهما بعد مماته". يعني, في قبورهم, رضي الله عنهم و أرضاهم.

و من اللطائف التي تذكر, أن بعض علماء أهل السنة, ذهب الى بعض المدن الإيرانية, فرأى أمرا عجبا, رأى أنهم إذا مات عندهم ميت, أخذوه في تابوت, و جعلوه عند قبر المعظم عندهم سويعات, ثم يأخذونه و يقبرونه. فسألهم عن ذلك, لم هذا الصنيع؟ فقالوا: هذا إمام معظم, فنجعل هذا الميت عند قبره, فببركة هذا الإمام, يغفر لهذا الميت. فقال: عجبٌ لكم, يغفر لهذا الميت عند هذا الإمام, و قد درج سويعات, و لا يغفر لأبي بكر و عمر, و هما طوال هذه

السنين عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ -طبعا, ليس فيه إقرار لقولهم, و إنما هذا لازم يلزمهم به من اللوازم التي التزموها أولائك القوم الضلال, أعني بهم الروافض-.

لما سُجّيَ أبو بكر قبل دفنه, دخل عليه علي بن أبي طالب, كما قال ذلك الإمام أبو جعفر الصادق, و هو محمد الباقر, قال: "دخل علي أبي بكر و هو مسجى, فقال: مَا مِن أَحَدٍ أحبُّ أن ألقَى الله بِعَمَلِهِ مِثلَ هذا المسَجّى". يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه.

هذه لمحات يسيرة, من سيرة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه و أرضاه. و إني لأتصاغر و أتحاقر نفسي و أرى نفسي أني قزما أمام هذا الطود الشامخ العالي, و هو أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه و أرضاه. و لكن هذا من باب قولهم: " أشار فأشار". — و من باب قولهم: " ما لا يُدرَك كله لا يترك جله!".

نخلص إلى قول الإمام وكيع رحمه الله: "حبُّ أبي بكر و عمر و معرفة منزلتهما من السنة". كذلك روى الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل.

كذلك روى الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه ''فضائل عمر'' قال: "كان السلف يعلمون أبناءهم حب أبي بكر و عمر كما يعلمونهم السورة من القرءان".

و الله تبارك و تعالى أعلم.

و صلى الله و سلم على نبينا محمد, و على آله و صحبه أجمعين, و جزاكم الله خيرا.

الدَّرْسُ الثَّانِي: عُمَر بن الخَطَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله معز من أطاعه, مذل من عصاه, و الصلاة و السلام على رسوله و مصطفاه, و على آله و صحبه و من والاه.

أما بعد: فكنا قد بدأنا بالأمس الكلام حول أولائك الأعلام العظام الكرام, من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و الكلام حول أولائك الرجال العظام ليس هو من باب التسلي, أو التشهي, و إنما هو من باب التأسي و الإقتداء. {أُولَـــئِكَ الذِينَ هَدَى اللَّـــــهُ فَبِهُدَاهُمُ اقتَدِه}. لا سيما في هذه الأيام التي ماجت بها الفـــتن, و عمّت بها المحـــن, لا سيما, و الإمام مـالـك, إمـام دار الهجـــرة رحمـــه اللَّـه رحمة واسعـة يقول: "لَن يُصلِحَ أمـــر آخرَ هَذِهِ الأمَّـــة إلَّا بِمَا صَلح بِـهِ أوَّلُهَـــا".

فلا بدّ إذن أن نمحص أمر هذه الأمّة. و أول هذه الأمة, لا سيما تلك الزمرة المؤمنـة التقيـة النقيـة, من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, لا سيما, العشر المبشرين بالجنة.

و كنا قد بدأنا في الدري الماضي حول لمحة يسيرة عن الصديـق رضي الله عنه و أرضاه, الذي بلغ تلك المرتبة العالية السامقة الشاهقة, و بلغها لأجل همته العالية:

عَلَى قَـدرِ أهـلِ العَـزمِ تَأتِـي العَزائِـــمُ   وَ عَلَى قَـدرِ الكِـرام تَـأتِي المَكَـــارِمُ

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه و أرضاه, أنّ النَّبي صلى الله عليه و آله و سلم قال ذات يوم: **"مَن مِنكُــم أَطعَمَ اليَـومَ مِسكِيناً؟"**. فقال أبو بكر: " أَنَــا". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **" مَــن مِنكُـم تَبِعَ اليَـومَ جَنَــازَة؟"** . فقال أبو بكرٍ: " أنـا". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **" مَـن مِنكُــم أطعَمَ اليَـومَ مِسكِيـناً؟"**. فقال أبو بكرٍ: " أنـا". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَن مِنكُم عَــادَ اليَومَ مَرِيــضاً؟"**. فقال أبو بكر: " أنَـا". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **" مَــا اجتَمَعَت فِي امـرِءٍ إلَّا دَخَلَ الجَنَّــة"**.

و في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, أنّه قال: **" مَن كــانَ مِن أهـلِ الصَّــلاة دُعِيَ مِن بَــابِ الصَّــلاة. وَ مَن كَانَ مِن أهلِ الجِهَــادِ دُعِـي مِن بَـابِ الجِهَـاد, وَ مَن كَانَ مِن أَهـلِ الصّيَامِ, دُعِـيَ مِن بَــابِ الرَّيَّــان, وَ مَن كَـانَ مِن أهلِ الصَّدَقَة, دُعِـيَ مِن بَـابِ الصّدَقَة"**. فقال أبو بكـر رضي الله عنه و أرضاه, بهمّته العالية: "يـا رَسُول الله, بِأبِي أنتَ و أمّـي, هَـل عَلَى مِن رَجُـلٍ أن يُـدعـى مِن تلك الأبواب مِن ضرورة, فَهَل يُدعى مِنـهَا أحَد؟". قال صلى الله عليه و آله و سلّم: **"نَعَــم, وَ أرجُو أن تَكُـونَ مِنهُـم يَـا أبَــا بَكر"**.

هذا هو أبو بكر الصديق, رضي الله عنه و أرضاه, ثـاني اثنـين, الذي يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه اللَّــه, قال:

وَ لِكُلِّـهِم قَـدرٌ و فَضــلٌ سَاطِـع   لَكِنَّـمَا الصِّدّيـقُ مِنهُــم أفضَــلُ

ثـم يأتي بعده في الفضل و المنزلة و المكانة, الفــاروق عمـر, و ما أدراكم من الفاروق عمر, يقول ابن مسعود رضي الله عنه و أرضاه: "إذا ذُكِرَ الصّالِـحُون, فَحَيهَلا بِعُمَــــر", "إذا ذُكِرَ الصّالِـحُون, فَحَيهَلا بِعُمَــــر".

من هو عمر؟

هو أبو حفص, عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى, القرشي العدوي, رضي الله عنه و أرضاه. ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشر سنة, بثلاث عشرة سنة رضي الله عنه و أرضاه. عاش و نشأ في مكة, نشأ على الشدة, و لم يعرف اللين, و لم يعرف الترف, حيث أنه كان يرعى الإبل لبعض خالاته. نشأ على تعلم القراءة و الكتابة, حتى سُوِّدَ في قريش, فكان المتكلم باسمها, كان سفير قريش, كما ذكر ذلك الإمام ابن الجوزي رحمه الله رحمة واسعة.

ثم تاجر و عمل في التجارة, و سافر إلى اليمن, و إلى الشام في رحلتي الشتاء و الصيف, و استمر على ذلك إلى أن بُعِثَ إلى النبي صلى الله عليه و آله سلم, و دعى النبي صلى الله عليه و آله و سلم قومه, إلا أن الله سبحانه و تعالى لم يشأ أن يسلم عمر في بداية الإسلام, في صدر الإسلام, مع من أسلم من السابقين. فتأخر هنيهة, تأخر إسلام عمر هنيهة, و كان من الأشداء على المسلمين في بداية الأمر, كان يؤذيهم و يصد عن الإسلام, حتى قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: "لأن يسلم حمار ابن الخطاب, و لا يسلم عمـــر". هكذا كانوا يظنون, لكن الله سبحانه و تعالى يقدر أمرا آخر.

عمر, الشديد على المسلمين, بعد ذلك, يليّن الله سبحانه و تعالى قلبه لهذا الدين. و هنا نقف وقفة, مع قصة مشهورة بين الناس, سواء كانوا من السنة, أو من الشيعة, و هي من وضع الشيعة, تنفيرا و طعنا في عمر رضي الله عنه و أرضاه. يقولون أنه في الجاهلية وءد ابنته و سار بها, و حفر لها قبرا و هي تنظر, و هي تمسح التراب عن لحيته, ثم دفنها حية...

و هذه القصة, لا أصل لها, هي باطلة سندا و متـناً. أمّا السند فهي لم تروى في كتب أهل السنة, لم تروى في المسانيد, و لا في الجوامع و لا في الصحاح, و لا في السنن.

هي رويت عن جابر الجعفي, و هذا الرجل رافضي كذاب, رافضي كذاب!. ثم حتى في متنها لا تصح, كيف ذلك؟ كان الوءد لا يعرف عند قريش, نعم, هو معروف عند يعض قبائل

العرب, لكنه غير معروف عند قريش. ثم إن عمر تزوج قبل البعثة, و له بنت, و هي حفصة رضي الله عنها و أرضاها, وُلِدَت قبل البعثة, و قبل الإسلام, وُلِدَت في الجاهلية, لم يأدها عمر رضي الله عنه و أرضاه.

كان عمر شهما, كريما فاضلا حصيفا فصيحا, كان أبيض, تعلوه حمرة, كان جسيما رضي الله عنه و أرضياه.

لـمّا شاء الله سبحانه و تعالى لعمر الإسلام, أسمعه بعض الآيات, و ذكروا في قصة إسلامه بعض الأقاصيص, منها ما ذكرها ابن الجـــوزي رحمـه الله رحمــة واسعــــه, أن عمر توشح سلاحه و سار إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فوقف دونه رجل من بني زهـرة, فقال: "إلَـى أيـنَ؟". قال: "إلَـــى مُحَمَّـــد". قال: "إن كَانَ هُوَ صَاحِبُ حَق؟". قال : "وَيحــك! لَقَــد صَبِئــتَ؟". قال: " ألَا أدُلُّكَ عَلَـى أمر أعجَبُ مِن ذَلِـك؟". قال: "مَــا هُوَ؟". قال: " أختُــكَ وَ خَتَنك".- أي, يشير إلى فاطمة بنت الخطاب, الصحابية الجليلة التي أسلمت في بداية الإسلام, و يشير إلى زوجها و هو سعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه, و هو من العشر المبشرين بالجنة, و سنأتي على قصته بإذن الله سبحانه و تعالى في موطن ذلك- فسار عمر مسرعا إلى بيت أخته, و كان عندهم الخباب بن الأرك يتدارسون و يتعلمون القرءان. فلما طرق الباب عمر, خافوا, و خبئوا خباب رضي الله عنه و أرضاه, فلما دخل قال: "مَــا هَـذِهِ الأصوَاتُ؟". قالوا: "كُنَّا نَتَحَدَّثُ".ثم سأل زوج أخته: " أصَبِئـــت؟". قال: "إن كَـــان مُحَمَّــــدٌ عَلَـى حَق؟". قال: "وَيحَــك!". فطار عليه عمر, فوكزه فقامت فاطمة رضي الله عنها و أرضاها دون زوجها و صدَّت عمر, فضربها عمر, و صفعها على وجهها, فقالت: "وَيحَكَ! إن كَـانَ مُحَمَّدٌ عَلَى حَق؟". هنا استحيى عمر مما صنعه في ضرب أخته فاطمة, قال: "هَــل عِندَكُم شَيء مِمَّا جَاء به؟". قالوا: "نَعَم, وَ لَكِن لَا نُعطِيكَ هَذِه الألوَاح حَتّى تَغتَسِلَ, فَـإنَّكَ رِجس, وَ لَا يَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرون". ذهب و اغتسل ثم عاد فقرأ, و

كان قارءا رضي الله عنه و أرضاه: {طَه، مَا أَنزَلنَا عَلَيكَ القُرءَان لِتَشقَى} .و بلغ إلى قول الله تعالى: {إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَــهَ إِلَّا أَنَا فَاعبُدنِي، وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكرِي}. فدخل الإسلام, و لامس قلب عمر رضي الله عنه و أرضاه, فقال: "دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّد". فاستبشر لذلك خباب، و خرج، و قال لعمر: "إنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم يقول: "**اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلَام بِأحدِ الرَّجُلَين**". –أو قال في رواية– "**بِأحَبِّ العُمَرَين إليـكَ، بعمــرِو بن هِشَام**"– أي بأبي جهل– "**أو بِعُمَــرَ بن الخَطَّاب**". رضي الله عنه و أرضاه. كما روى ذلك الإمام الترمذي و ابن ماجة، و صححه الألباني.

فأسرع عمر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، في دار الأرقم، و كان قد سبقه إلى الإسلام حمزة بن عبد المطلـــب رضي الله عنه و أرضاه, فلما طرق عمر الباب, قالوا: "مَن بِالبَـــاب؟"؟ قال:" عُمَـــر بن الخَطَّـــــــــاب". فأخذ المسلون رجفة و هيبة من عمر, و كان ذو هيبة رضي الله عنه و أرضاه.– كيف و هو إذا سار في الطريق تفر الصبية منه, و الغلمان يفرون منه لا لذنب, إلا لهيبته. كذلك جلس مرة عند رجل يأخذ بشعره, أي يحلق رأسه, فسعل عمر, فسقط المقص من يد الرجل لهيبة عمر, رضي الله عن عمر–.

فقال حمــــزة رضي الله عنه و أرضاه: " إن كَـانَ أتَى لِخَــيرٍ, فهو ذاك, و إلّا كَانَ قَتلُهُ عَلَينَا هَيّناً". فخرج له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و جبذه من ثيابه و قال: " **أمَــا آن لَكَ يَـا ابنَ الخَطَّـــابِ أن تُسلِـــمَ!؟**". قال صلى الله عليه و آله و سلم: " **اللهُـــمَّ أعِزَّ الإســـلَام بِعُمَــــر بن الخَطَّاب!**". قال: " أشهَدُ أن لَا إِلَـــــهَ إلَّا الله و أشهَدُ أنَّكَ رَسُــولُ اللهِ".

أنظروا إلى همته, و إلى توقده في الدعوة, منذ أن أسلم, قال لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: "يَـــا رَسُولَ الله, ألَسنَا عَلَى حَقّ؟" قال: "**بَلَـــى**". قال: " ألَيسُوا عَلَى البَـاطِلِ؟". قال: "**بَــلَى**". قال: " فَلِمَ الـخَفَاء؟", "فَلِمَ الخَفَاء؟"

قال عكرمة: "لَا يَزَالُ الإسلَامُ فِي خَفَاءٍ حَتَّى أسلَمَ عُمَر".

و قال عبدُ اللَّهِ بن مسعود: "لَا زِلنَا أعِزَّة مُنذُ أسلَمَ عُمَر".

و قال سعيد بن المسيب, قال: "لَا يَزَالُ الإسلَام عَزِيزاً مُنذُ أسلَمَ عُمَر".

هكذا كان إسلام عمر, عزا للإسلام و أهله, لذلك سمي بالفاروق, إذ به فُرّقَ بين الحق و الباطل, بين الإسلام و الكفر, بين التوحيد و التنديد. هكذا كان عمر.

خرج مسرعا إلى بيت خاله, و هو أبو جهل, طرق الباب عليه, ماذا يقول له؟

قال: "لَقَد أسلَمتُ". قال: "لا تفعل!". قال: "قَد فَعَلت". فأغلق أبو جهل الباب دونه غضبا و خوفا. ثم سار عمر رضي الله عنه و أرضاه إلى رجل يُدعى ''جميل الجمحي'', هذا الرجل, ما يسمى بوكالة أنباء, ينشر الأخبار نشرا. فقال له عمر: "لَقَد أسلَمتُ".- و ما يريد إلا نشر خبر إسلامه-. قال: "لَقَد أسلَمتُ". فقال: "ماذا تقول؟". قال: "لَقَد أسلَمتُ". فوضع نعليه تحت إبطه و سار مسرعا إلى قريش: "صبأ عمر! صبأ عمر!". و عمر خلفه يقول: "بَل أسلَمت! بَل أسلَمت!". حتى اجتمعت قريش, و نالوا من عمر كما نال منهم, و أصابوا من عمر, كما أصال منهم, رضي الله عنه و أرضاه.

ثم استمر في مكة مناصرا و مؤازرا للإسلام و للمسلمين, حتى أذِنَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالهجرة, أذِنَ لعمر.

روي كما جاء ذلك عند ابن عساكر في تاريخه, و إن كان في إسناده مقالا, قال: <عن علي رضي الله عنه و أرضاه: (مَا مِن أحَدٍ إلّا و هَاجَرَ سِرّا غير عُمَر بن الخَطّاب رضي الله عنه و أرضاه, فإنه لَمّا أراد الهجرة, توشح سلاحه, وَ ذَهَبَ إلَى البَيتِ فَطَافَ ثُمَّ صَلّى خَلفَ المَقَام, ثُمّ ذَهَبَ إلَى حِلَقِ قُرَيش وَاحِدَةً وَاحِدَة, يَقولُ لَهُم: " شَاهَت الوُجُوه, لَا أرغَمَ اللهُ إلّا

هَذِهِ المَعَاطِس. مَن أَرَادَ أن تَثكُلهُ أمّه فَليَتبَعنِـي خَلفَ هَذَا الوَادِي".) قال علي: (فَمَا تَبِعَهُ مِنهُم أحَـــــــد).

هاجر عمر رضي الله عنه مع جملة الصحابة, و هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى المدينة, إلى دار السلام.

كان عمر في المدينة كما كان في مكة, عزيــزا مناصرا للإسلام و أهله, حتى قال صلى الله عليه و آله و سلم في عمر: " **إن يَكُـــن نَبِيّ بَعدِي, كَـانَ عُمَـــر**". هكذا رواه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر.

و قال صلى الله عليه و آله و سلم, في ما رواه الإمام مسلم, عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: "**كَـانَ فِي الأمَمِ قَبلَكُم مُحَدّثُون**" –أي ملهمون– " **فَـإن يَكُن فِي هَذِهِ الأمّـةِ, فَعُمَر بن الخَطّـاب**". رضي الله عنه و أرضاه.

و كذا قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, قال في حديث ابن عباس, قال: " **إنَّ لِـي وَزِيـرَينِ مِن أَهلِ السَّمَـاءِ, وَ وَزِيـرَينِ مِن أهلِ الأرضِ. أمَّـا وَزِيـرَاي مِن أهلِ السَّمَـاءِ فَجبرِيل و مِيكَائِيل, وَ أمَّـا وَزِيـراي مِن أهلِ الأرضِ, فَأَبُو بَكرٍ وَ عُمَر**". رواه الإمام الترمذي.

و روي عن علي رضي الله عنه و أرضاه أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال لعلي: لما رأى أبا بكر و عمر قد أقبلا, قال: "**هَذَانِ سَيّدَا كُهُولِ أَهلِ الجَنَّةِ مِنَ الأوَّلِين و الآخِرِينَ إلَّا الأنبِيَاء وَ المُرسَلِين**".

قال الإمام الذهبي رحمه الله: "روي بطرق حسنة, كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه دخل المسجد و عن يمينه أبو بكر, و عن شماله عمر بن الخطّاب" –فقال– "**هَكَذَا نُبعَثُ يَومَ القِيَامِةِ**". و الحديث فيه ضعف.

و هكذا تواترت الأحاديث و اشتهرت في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه. و قد مر معنا أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال و هو في حائط: "**إئذَن لَهُ, وَ بَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**". كما في حديث أبي موسى الأشعري الذي أخرجاه في الصحيحين.

و كذلك بشره في غير هذا الحديث, كحديث سعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه الذي رواه الإمام أحمد و أبو داود, و سيأتي معنا إن شاء الله سبحانه و تعالى, في حينه.

كذلك كام عمر من علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: "**بَينَ أنَا فِي المَنَامِ, إذ أُتِيَ لِي بِقَدَحٍ مِن لَبَنٍ, فَشَرِبتُ مِنهُ حَتَّى ارتَوَيتُ, ثُمَّ أعطَيتُ فَضلَتِي لِعُمَر بن الخَطَّاب**". فقالوا: "ما أولته يا رسول الله؟" قال: "**العِلم!**". لذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه و أرضاه: "لَو وُضِعَ علم عُمَر بن الخطَّاب في كفة ميزان, و وُضِعَ علم أهل الأرض في كفة, لَرجع بها علم عمر بن الخطاب". رضي الله عنه و أرضاه.

كذلك كان عمر شديدا في دين الله, حيث روى الإمام الترمذي رحمه الله, عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, أنه قال: " **أَرحَمُ أُمَّتِي أبو بَكرٍ, و أشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ, عُمَر بن الخَطَّاب!**".

كذلك روى الشيخان, عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه و أرضاه, أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: "**بَينَمَا أنَا فِي المَنَامِ, إذ عُرِضَ عَلَيَّ النَّاسُ, وَ عَلَيهِم قُمُصٌ, بَعضُهُم يَصِلُ إلَى الثّدن, وَ بَعضُهُم مَا دُونَ ذَلِكَ, بَعضُهُم إلَى الثَّديّ, وَ بَعضُهُم مَا دُون ذَلكَ, و رَأيتُ عُمَر بن الخَطَّاب** -رضي الله عنه و أرضاه-, **وَ عَلَيهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ!**" قالوا: "ماذا أولت ذلك يا رسول الله؟". قال: "**الدّين!**", قال: "**الدّين!**".

و ذلك يتضح في زهد عمر و عبادته رضي الله عنه, حيث وصفه من رآه أنه في وجه ابن الخطاب خطان من البكاء, خطان أسودان في وجه عمر من البكاء, رضي الله عنه و أرضاه.

روى الإمام أبو داود, و كذلك روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال, كما في حديث جابر لأبي بكر: "**مَتَى تُوتِرُ يَا أبَا بَكرٍ؟**" فقال: "في أوَّلِ الليلِ". ثم قال: "**وَ أنتَ يَا عُمَر؟**". قال: "في آخِرِ الليلِ". فقال صلى الله عليه و آله و سلم لأبي بكر: " **أمَّا أنتَ فَأخَذتَ بالثِّقَةِ, وَ أمَّا أنتَ يَا عُمَرُ فَأَخَذتَ بِالقُوَّةِ**".- "**وَ أمّا أنتَ يَا عُمَر فَأَخَذتَ بالقُوَّةِ**".

و يتضح, و تتضح شدة عمر رضي الله عنه و أرضاه, في الحق, أنه دائما يقول لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: "يَا رَسُولَ الله, دَعنِي أضرِبُ عُنُقَ هَذا المُنَافِق". كما جاء في الصحيحين أنه قال ذلك عن عبد الله بن أبي بن سلول, و الأحاديث في ذلك كثيرة, مما يوضح لك أن أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم, كما وصفهم الله سبحانه و تعالى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}. هذا جانب من شدة عمر في الحق, رضي الله عنه و أرضاه.

عمر خاض المعارك و الغزوات و المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. عمر, شهد بدرا, بدر التي قال صلى الله عليه و آله و سلم عن من شهدها: "**لَعَلَّ الله اطَّلع عَلَى أهلِ بَدرٍ فَقَالَ اعمَلُوا مَا شِئتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم**". رواه البخاري و مسلم.- و قال في رواية – "**لَعَلَّ اللَّه اطَّلعَ عَلَى أهلِ بَدرٍ, فَقَالَ اعمَلُوا مَا شِئتُم فَقَد وَجَبَت لَكُم الجَنَّة**".

كذلك شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سائر الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و في بدر, لما أسر المسلمون من المشركين, استشار النبي صلى الله عليه و آله و سلم أصحابه, و انظروا من هم أهل مشورة النبي صلى الله عليه و آله و سلم. استشار أبا بكر في الأسر, فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالفداء, إذ هم من أبناء العمومة و العشيرة, و اختار الفداء و العفو. ثم قال صلى الله عليه و آله و سلم لعمر: " **وَ أنتَ مَـاذَا تُشير يَـا ابنَ الخَطَّاب؟**". فقال: "يَـا رَسُــول الله, أرى أن تُمَكّنني من فلان" –و هو قريب لعمر – "و تُمكن عليا من فلان, من عقيل, فيضرب عنقه, و تمكن فلانا من فلان فيضرب عنقه, حتى يعلم أعداء الله أن ليس في ديننا هوادة!"

ثم لمّا كان من الغد, أتى عمر فرأى النبي صلى الله عليه و آله و سلم يبكي, و كذا أبو بكر, فسألهما: "مَا يُبكيكُما؟ فإن رأيت ما يبكي بكيت, و إلّا تباكيت لبكائكما". فأخبره النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن الله سبحانه و تعالى أنزل آيات تتلى إلى قيام الساعة في تأييد ما ذهب إليه عمر, قال: "**وَ لَو أنزَلَ اللهُ عَذَابـــاً مَـا نَجَـى مِنهُ إلّا عُمَـــر**". قال الله تعالى: {مَـــا كَـانَ لِنَبِـــيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَســـرَى حَتَّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ, تُرِيـدُونَ عَرَضَ الدُّنـيَا, وَ اللهُ يُـرِيـدُ الآخِرَةِ, وَ اللهُ عَزِيــــزٌ حَكِيمٌ. لَولَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم عَـــذَابٌ عَظِيمٌ}. و {لَولَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ}. أي قو الله سبحانه و تعالى: {فَإمّـــا مَنًّا بَعدُ وَ إمَّـا فِدَاءً} . هكذا وافق عمر رضي الله عنه و أرضاه بإلهامه ربه سبحانه و تعالى.

كذلك هناك مواطن أخرى وافق فيها الله سبحانه و تعالى. قال عمر كما في الصحيحين: "وافَقتُ ربّـــي في ثـلاث: قلت لِرسُــول الله صلى الله عليه و آله و سلم, لَو اتخذت من مقَــامِ إبراهيم مصلى. فَـأنزَلَ الله سبحَـانَهُ وَ تَعَـالى: {وَ اتَّخِذُوا مِن مَقَـــامِ إبرَاهِيمَ مُصَلًّ}.

كذلك قلت لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يَا رَسُولَ اللهِ , لَو حَجَبتَ نِساءك!؟ إنه يُحَدّثُهُنَّ البر و الفَـــاجِر! فَأنزل الله سُبحانه و تعَالَى آية الحِجابِ". – أنزل الله سبحانه و تعالى آية الحجاب-.

كذلك قال في مسألة إجماع نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم في أمر الغيرة, قال: "قلت لهن: عَسَى رَبَّهُ إن طَلَّقكن أن يُبَدّله أزواجا خيرا منكنّ, فأَنزل الله سبحانه و تعالى هذه الآية".

كذلك مما وافق عمر ربه سبحانه و تعالى, مسألة الصلاة على عبد الله بن أُبَيّ بن سلول, كما جاء ذلك في البحاري, أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما تقدم ليصلي على عبد الله, رأى عمر و أشار أن لا يصلي عليه, بعد ذلك أنزل الله سبحانه و تعالى: {وَ لَا تُصَلِّي عَلَى أَحَدٍ مِنهُــم مَـــاتَ أَبَـداً وَ لَا تَقُـــم عَلَى قَبرِهِ}. هذه هي منزلة عمر رضي الله عنه و أرضاه, هذه بعض جوانب إلهام الله سبحانه و تعالى لعمر و إجراء الحق على لسانه و قلبه, كما جاء ذلك عند الإمام أحمد, أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم, أنه قال: "**إِنَّ اللهَ وَضَـــعَ الحَقَّ عَلَـى لِسَـــانِ عُمَرَ وَ قَلبِـــهِ**". و النبي صلى الله عليه و آله و سلم يعلم منزلة عمر, و يعلم شدته في الحق, و يعلم غيرته, لذلك قال صلى الله عليه و آله و سلم, كما في الحديث الذي أخرجاه في الصحيحين, قال من حديث أبي هريرة: ((أنه رأى في المنام أنه في الجنة, فرأى امرأة تتوضأ عند قصرٍ فَقَـال: "**لِمَـــن هَذَا القَصـــر؟**". فقيلَ لَهُ: "هَذَا لِعُمَـــر!".قال صلى الله عليه و آله و سلَّم: "**فَتَذَكَّــرتُ غيرَة عُمَــر, فَوَلَّيتُ مُــدبِراً**" قال أبو هُرَيــرة: فبكى عُمَر وَ قَالَ: "بِأبِي أنتَ يَــا رَسُــول الله, أعليك أغار؟" . "بأبي أنت يَا رسول الله, أعليك أغار؟")).

عمر, هذا الرجل الشديد في الحق, لم يكن الكفار, الشياطين من الإنس فقط الذين يخافون منه, كذلك حتى شياطين الجن يخافون من عمر رضي الله عنه و أرضاه, لذلك قال صلى الله

عليه و آله و سلم في الحديث عن سعد بن أبي وقاص الذي أخرجاه في الصحيحين قال:
"إِيــهاً يَــا ابن الخطَّاب, مَـا رآكَ الشّيطان سلكت فجّاً إلّا سَلَكَ فجًّا غَيرَ فَجِّكَ!".

كذلك عن عائشة رضي الله عنها و أرضاها, قال صلى الله عليه و آله و سلم: **"إِنَّ الشَّيطَانَ يَفــــرُق مِـن عُمَـــر!"**. كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه عاد من بعض الغزوات, فرأته امرأة, و تلقته امرأة من المسلمات فقالت: "يَـــا رَسول الله, إني نَذَرت لله إن أرجَعَك اللهُ سالما أن أضرب عندك بالدف, فقال: **"وَفِــــي بِنَــذرِكِ"**. فضربت بالدف فأتى أبو بكر و هي تضرب, ثُمَّ أتى عُمَر, فخَبَّأت الدف خلف ظهرها فرقاً من عمر, فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: **"إِنَّ الشَّيَــــاطِين يَفــرقُــونَ مِن عُمَــر"**.

و من اللطيف أنه في هذا العصر, الروافض, إذا أتوا المدينة, أو مكة, لا يدخلون من باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه!

قلت: إيـــهاً يـــا بن الـخطـــــــاب! إنَّ الشـياطين يفرون منك في حياتك و بعد مـــــاتك! رضي الله عن عمر, هكذا كان طوال حياة النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و انتقل إلى الرفيق الأعلى, لم يتحمل عمر تلك الصدمة العظيمة, فشك في الخبر, و شكك و كذب نفسه و قال: "وَ اللهِ, مَن قَال أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم قد مَاتَ, ضَرَبتُهُ بالسَّيف". قال: "مَا مَاتَ رَسول الله, و إنما ذَهَبَ إلى رَبِّـــــهِ كما ذَهب مُوسَى, و لَسَوفَ يَعُود!".

و بينما هو كذلك, دخل أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه, و قبَّلَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين عينيه, ثم خرج و أسكت عمر بن الخطاب, و تكلم بما تكلم به مما ذكر آنفــا في الدرس المنصرم, فبكى عمر و جثى على ركبتيه.

و من مناقب عمر رضي الله عنه و أرضاه, أنه كان ممن أسرع بوءد الفتنة, حيث أنه من أول من بايع أبا بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, و لم يترك لأحد أن يتكلم أو يقوم بالفتنة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. لذلك تواطأ المسلمون من المهاجرين و الأنصار بعد عمر على بيعة أبي بكر.

و من مناقبه رضي الله عنه و أرضاه, أنه كان في خلافة أبي بكر هو وزيره و هو قاضيه, إلى أن توفي أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه, و استخلف على الأمة عمر بن الخطاب, رضي الله عنه و أرضاه.

في خلافته سار سيرة حميدة عادلة حتى ضُرِبَ به المثل في عدله و في زهده و في تقواه و في محاسبته لعماله. و من ذلك, محاسبته لسعد بن أبي وقاص, كما جاء في الصحيحين, و سوف يأتي معنا بإذن الله سبحانه و تعالى.

و من ذلك محاسبته لسعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه, و غيرهم من العمال.

و كان يلبس المرقع من الثياب, و كان يسير في الناس, في الأسولق, دون حاشية و دون جنود. يسير بالدرة يؤدب النـــاس بها.

كذلك كان يعسعس ليلا, يتفقد أمر رعيته رضي الله عنه و أرضاه. و مما فعله, كما قال أبو هريرة رضي الله عنه في زمن خلافته أنه دَوَّنَ الدواوين, و أنه قسَّم الأعطيات على الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم أجمعين, و جعل للمهاجرين الأولين خمسة آلاف خمسة آلاف, و للأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف, و لأُمَّهَـــات المؤمنين اثني عشر ألفا اثني عشر ألفا.

كذلك فتحت الأمصار في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه. فَمِمَّا فُتِحَ في زمانه: الشَّـامُ, و كذلك العــراق, و كذلك مصـــر, و كذلك الإسكندريــة, و سارت الجيوش بقيادة عمر إلى طرابلـــس الغـرب. و هكذا اتسعت رقعة الإسلام. و كل هاؤلاء المسلمين الذين دخلوا في دين الله أفواجا في تلك المواطن الشاسعة من بلاد الله سبحانه و تعالى, يرجع الفضل, بعد الله سبحانه و تعالى, لثاني الخلفاء الراشدين, و أول أمراء المؤمنين, لعمر بن الخطاب, رضي الله عنه و أرضاه.

أول من أطلف عليه هذا اللفظ, و هو : "أمير المؤمنـــين", هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه, و أول من سماه بذلك هو المغيرة بن شعبـــة رضي الله عنه و أرضاه.

كان من أمره أنه يستشير كبـــار الصحابـــة رضوان الله عليهم, و كان منهم عثمـــان بن عفـان, و كـــان منهم علـــي بن أبي طـــالب رضي الله عنه و أرضاه. و كان من ذلك في مسألة فتح بيت المقدس, لمَّا حاصر جيش المسلمين حاصر المشركين, و النصارى و الصليبيين في بيت المقدس. رضي أولائك الصليبيون أن ينزلوا على حكم المسلمين, و أن يصالحوهم, و لكن بشرط, أن يأتي أمير المؤمنين. فاستشار عمر من عنده, استشار عثمان, فأشار عثمان أن لا يذهب إليهم, تحقيرا لأمر المشركين, و استشار عليًّـا, فأشار علي رضي الله عنه و أرضاه, أن يذهب إليهم, تسلية لجند المسلمين. فهوى عمر رضي الله عنه و أرضاه ما أشار إليه علي بن أبي طالب, و نزل عند رأيه, و سار بالجند إلى بيت المقدس.

و خَلَّفَ على المدينة من؟ جعل عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه.

و هنا وقفة:

لو كان علي رضي الله عنه أرضاه, لا يرى بصحة إمامة عمر, لما استخلف له على المدينة, كيف يستخلف لهذا الخليفة المغتصب؟ في زعم الرافضة, حاشاه حاشاه!

كذلك هو أقر بخلافة من قبله, خلافة أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه. كيف ذلك؟ ذلك أنه أخذ و قبل بتقسيم أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه للغنائم و للسبايا فسبا من سبي بني حنيفة, فأنجب من الحنفية محمد بن الحنفية, و كان من شأنه كما جاء ذلك عند البخاري في صحيحه أن محمد بن الحنفية سأل أبيه: قال: "يـا أبَتِـي: من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟". قال: " أبو بكـــر!". قال: "ثم من؟". قال:" ثم عمر!".قال: "يـــا أبتي, ثم أنت؟". قال: " ما أنـــا إلَّا رَجُلٌ من المسلمين!".-"مــا أَنَا إلَّا رَجُلٌ من المسلمين!".

و كذلك قال علي رضي الله عنه و أرضاه, في خلافتــه على منبر الكـــوفة في جموع المسلمين, قال: "خَيرُ النَّـــاسِ بَعـدَ رَسُـــولِ اللهِ, أبو بكـــر, ثُمَّ عُمـــر".

كذلك قال علي رضي الله عنه و أرضاه: "من فَضَّلنِي عَلَى الشَّيخين, جلَدتُهُ حَدَّ المفتري". "من فضلني على الشيخين, جلدته حد المفتري".

قال الإمام الذهبي رحمه الله: "و هذا متواتر عن علي رضي الله عنه و أرضاه, فقبح الله الرافضة". — "فقبح الله الرافضة!".

سار عمر رضي الله عنه إلى الأجناد, و إلى أمراء أجناده في الشام عند بيت المقدس. استقبله هناك الأمراء, كأبي عبيدة, و كخالد بن الوليد, و كيزيد بن أبي سفيان. فلما تلقاه أبو عبيدة, ترجل, و ترجل عمر, تأملوا إلى هذا الود و الحب بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فأراد أبو عبيدة أن يقبل يد عمر بن الخطاب, رضي الله عنه و أرضاه, و أراد عمر و هو أمير المؤمنين, أن يقبل رجل أبي عبيدة. فكَفَّ أبو عبيدة, و كف عمر رضي الله عنهم جميعا. ثم سار عمر, فخاض في ما خاضه, فقال أبو عبيدة: "لَو رَكَبتَ يَـا أَمِيرَ المُؤمِنـــين". فقال عمر رضي الله عنه و أرضاه: "لَو قَالها غيرُكَ يـــا أبَا عُبَيـــدَة, نَحنُ كُنَّا أذَلَّ قَومٍ, فـَأَعَزَّنَا اللهُ بِـالإِســـــــلَامِ, فَمهمَا ابتَغَينَا العِزَّةَ في سِواهُ, أَذَلَّنَـــا الله!". -تأمّلوا في هذه الكلمة العظيمة, هذه الكلمة, لا أقول تكتب بماء الذهب, بل تكتب بماء العيون, فمهما

ابتغينا العزة في سواه, أذلنا الله, مهما ابتغينا العزة في الديمقراطية, أذلنا الله, مهما ابتغينا العزة في الإشتراكية, أذلنا الله, مهما ابتغينا العزة في العلمانية, في اللبرالية, في الاشتراكية, في الشيوعية, أذلنا اللَّـــــه! لا بد أن نطلب العزة في ماذا؟ في الإسلام! في ما جاء عن الله, و عن سيد الأنام, صلى الله عليه و آله و سلم.

ثم سار حتى استلم مفاتيح بيت المقدس, ثم دخل بيت المقدس, و استشار بعض من عنده, كما روى ذلك الإمام ابن أبي شيبة, استشار كعبـــاً: " أَينَ أُصَلِّـي؟". فقال: " أَرَى أن تُصَلِّي يــا أمير المؤمنين, خلف الصخرة, فَتَجعَــل بَيت المقدس بين يَدَيك". فقال عمر: "لَا, أَرَاكَ قَد ضَاهَيتَ اليَهُوديَّـــة". ثم صلى مكان ما صلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم في الإسراء, و استقبل القبلة.

و هكذا سار عمر رضي الله عنه و أرضاه بعدله و بقسطه في رعيته طوال خلافته. و كان يخرج إلى الحج طوال خلافته بالنـــاس. قال من رآه بالحج: "و الله ما نصب عمر فسطاطا, و لا خيم له, و إنما كان يرمي بعض ثيابه على بعض الأشجار و يستضل تحتها, رضي الله و أرضاه عن عمر.

في زمن خلافة عمر, جاء عام الرمادة, و هذا عام حصل فيه القحط الشديد, الذي مات بسببه كثير من المسلمين, و جاع بسببه كثير من المسلمين في هذا العام, لم يكن عمر, و هو الخليفة, و هو الأمير, و هو رأس المسلمين, بمعزل عن هذا القحط. لذلك كان لا يأكل إلا الزيت. مرة قرقرة بطنه من الزيت, فقال: "قرقري أَو لَا تُقَرقِري, و اللهِ لَن تَشبَعي حَتَّى يَشبَعَ فُقَراءُ المُسلِمين".

ثم من الله سبحانه و تعالى بأن رفع هذه المحنة عن المسلمين.

هكذا سار عمر رضي الله عنه و أرضاه في رعيته طوال حكمه الذي استمر عشرة أعوام.

ثم في العام الأخير, لمَّا أقبل راجعا من الحج, في سنة ثلاث و عشرين للهجرة. دعا الله سبحانه و تعالى, و قال: "اللَّهُمَّ كَبُرَ سِنِّـي, و رَقَّ عَظمِي, اللهم اقبِضنِي إلَيكَ غَير مُفَرِّطٍ في الرَّعِيَّة". ما كان آخر شهر ذي الحجة, إلا و قد توفاه الله سبحانه و تعالى.

كيف توفاه؟ قال كعب: "إنِّي أراكَ يَـا أمير المُؤمنينَ في التَّوراة, تَمُوتُ شَهيداً". قال عُمر رضي الله عنه و أرضاه: " أَنَّـى ذَلِكَ؟ وَ أنَا فِي جَزيرَةِ العَرَب!". -" أنَّ ذلك و أنا في جزيرة العرب؟".- و روي عن عمر, كما في صحيح البخاري, قال و دعا بهذه الدعوات: "اللَّهُـمَّ إنِّـي أسأَلُـكَ شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ فِي بَلَدِ رَسُـــولِكَ".

و روى البخاري و مسلم عن حذيفة بن اليمان, صاحب سر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, أن عمر قال لمن عنده: "مَن مِنكُم يَحفَظُ عن رَسولِ اللهِ -صلى الله عليه و آله و سلم- ما قال فِي الفِتنَة؟" فقال حذيفة: " أَنَـا". قال: "مَاذَا قَـالَ؟". قال: " أَمَّـا الفِتنَة, فِتنَة الرجُل فِـي أهلِهِ و ماله فَتُكَفِّرُها الصلاة و الصَّدَقَة و الصيام, و الأمر بالمعروف, و النهي عن المُنكَر". فقال عمر: "لَيس عَن ذَلِكَ أسأَلُكَ, وَ إنَّما عَن الفِتنَة التِي تَموجُ مَوجَ البَحر". فقال حذيفة: " يَـا أمـير المُؤمنين, لَيسَ لَكَ فيها نَصِيبٌ!"-أو: "لَن يضُرّكَ مِنهَا شَيء!".- قال: "إنَّ بَينَكَ و بَينها بَابًا مُغلَقاً". قال عمر: " أيُفتَحُ البَـابُ أم يُكسَرُ؟". قال: "بَل يُكسَرُ يا أمِير المُؤمنِينَ". فقال عمر: "إذَن لَا يُغلَقُ بَعدَها أبَداً". فقال من روى لهم هذا الحديث, حذيفة, رضي الله عنه و أرضاه: " أَكَـانَ عُمر يعرِفُ مَن هُوَ البَـاب؟". قال: "نَعَم, كَمَا أنَّ دُونَ الغَدِ اللَّيلَة, إنِّي حَدَّثتُهُ حَديثاً لَيسَ بالأغَالِيط". فقال مسروق: "وَ مَن البَابُ؟". قال حذيفة: "البَـابُ عُمَـر!".

تقدَّمَ عُمر رضي الله عنه و أرضاه ليصلي بالنَّـاسِ كعادته, لصلاة الفجر, بعد أن سوّى الصفوف, و قال: "استوا". ثم كبر: "اللهُ أَكبَر!". تقدم ذلك الشقي, أبو لؤلؤة المجوسي, و كان غلاما عند المغيرة بن شعبة, كان ناقشا, كان يعمل على النحاس و الحديد. رآه عمر

قبل ذلك بأيَّـام, فقال: "اصنَع لِي رَحَى". فقال: "سأصنع لك رحى, يتكلم عنها النَّـاس!". فَقَـالَ عُمَر: "تَوَعَّدَنِي العَبد!".- "توعدني العبد"-.

طعنه ذلك الرجل المجوسي بخنجره المسموم طعنات, فخرَّ عمر رضي الله عنه و أرضاه, مغشيًّا عليه, فتقدم ليصلِّي بالنَّـاس عبد الرحمن بن عوف, فصلى بالناس بأقصر سورتين, ثمَّ قام ذلك الشقي فطعن, و كان عنده ذلك الخنجر ذو حدَّين, يطعن ذهابا و إيابا. فطعن اثني عشر رجلا, مات منهم ستة, حتى اجتمع الناس عليه في ظلمة الفجر, اجتمع الناس عليه, و ألقى بعضهم عليه ثوبا. فلما رأى أنه قد أدركه الناس طعن نفسه و انتحر.

حمل عمر رضي الله عنه و أرضاه, إلى داره, فلما أفاق في آخر النهار, ماذا قال؟ سأل أول ما سأل: " أصَلَّى النَّـاس؟" قالوا: "نعم يـا أمير المُؤمِنين". قال: " أَلَا إنَّهُ لا حَظَّ فِي الإسلامِ لِمَن تَرَكَ الصَّلاة". -أو: "لمن ضَيَّعَ الصّلاة". ثم قال رضي الله عنه: "مَن قَتَلَنِي؟". قالوا: "رَجُلٌ مَجوسِي, غُلامُ المُغِيرة". فقال: "الحَمدُ لله الذي لَم يَجعَل مَن يَقتُلني رَكَعَ لله ركعَة".

ثم أُتِيَ له بقدح من لبن, فشرب عمر رضي الله عنه و أرضاه, فخرج اللبن من جروحه, فعلم أنها الوفاة, فأوصى, و جعل الشورى في ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, مات عنهم و هو راضٍ. جعلها في: عثمان و علي بن أبي طالب و الزبير و طلحة و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص, و جعل عليهم كشاهد: عبد الله بن عمر, رضي الله عنهم جميعا.

ثم قال لابنه عبد الله: "اذهَب إلَى أمّ المُؤمِنِين عَـــائَشَـــة, و استَأذِن, قل لهَا: عُمر و لَا تَقل لها أَمِيرُ المؤمنين, فإنِيّ اليَوم, لَستُ بِـأمِيرٍ لِلمُؤمِنين". يستأذن أن يدفن عند صاحبيه, عند رسول الله, و عند أبي بكر. فذهب عبد الله بن عمر, و استأذن من أم المؤمنين عائشة, فأذنت له, و قالت: " أمَّـــــا إنِّـي كُنتُ ادَّخرت هذا المكان لنفسي, و لكني أوثر به عمر". -" ولكني أوثر به عمر!"- فذهب عبد الله إلى أبيه, و بشره بالخبر ففرح عمر و حمد الله.

ثم دخل المسلمون على عمر يذكرونه بما عمله من خير للإسلام و المسلمين.

روى البخاري و مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه و أرضاه أنه لما كان عند عمر دخل رجل, فقال: "رَحِمَكَ اللَّـــهُ يَا عُمَــر, كَم سَمِعتُ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ''**كُنتُ أَنَـا وَ أَبُـو بَكرٍ وَ عُـمَر**'' و ''**فَعَلتُ أَنَـا وَ أَبُـو بَكرٍ وَ عُـمَر**'' و ''**دَخَلتُ أَنَـا وَ أَبُـو بَكرٍ وَ عُـمَر**'' و ''**خَرَجتُ أَنَـا وَ أَبُـو بَكرٍ وَ عُـمَر**'' و ''**ذَهَبتُ أَنَـا وَ أَبُـو بَكرٍ وَ عُـمَر**'' بِإذنِ اللهِ, يَجعَلُكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيكَ". قال عبد الله بن عباس, فالتفتّ, فإذا هو علي بن أبي طالب, رضي الله عنه و أرضاه.

مات عمر, فحُمِلَ و دُفِنَ عِندَ قَبرِ صَاحِبَيهِ, عند قبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و قبر أبي بكر الصديق.

و هذه من أعظم مناقب عمر بن الخطاب, و لم أَرَ من العلماء من نبَّهَ إليها و أشار إليها. حيث إنه قد روى الإمام البيهقي و حسنه الشيخ الألباني عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من حديث جابر, أنه رأى أُناس قد اجتمعوا على جنازة قد قبروها, فقال: "**مَن هَذَا؟**". قالوا: "رجلٌ حبشي". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: "**لَا إِلَــهَ إلَّا الله, جَاءَ مِن أرضِهِ وَ سَمَاهُ, إلَى التُّربَةِ التِي خُلِقَ مِنهَا**".

و كذلك روى الإمام عبد الرزاق في مصنفه عن ابن عباس, و هذا الحديث يأخذ حكم الرفع, قال ابن عباس, رضي الله عنهما و أرضاه: "كُلُّ إنسَانٍ يُدفَنُ فِي التُّربَةِ التِي خُلِقَ مِنهَا".-"كُلُّ إنسَانٍ يُدفَنُ فِي التُّربَةِ التِي خُلِقَ مِنهَا"-. و دُفِنَ أبو بكرٍ و عمر مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, بجوار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

قال سفيان الثوري رحمه الله: "من قَدَّمَ عَلِيّاً على أبي بَكرٍ و عُمَر, فقد خَطَّأَ أبـا بـكر و عُمر و المُهاجرين, و الأنصار".

و قال شريك رحمه الله, قال: " مَن قَدّم عَلِيًّـا على أبي بكر و عمر فلا خير فيه". -فلا خير فيه-.

و كذلك قال أبو أسامة: " أتدرون من أبو بكر و عمر؟ هما أبوا الإسلام و أمه". -هما أبوا الإسلام و أمه-.

و كذلك قال جعفر الصادق رحمه الله: " أَنـا بَريء من كل من تَكَلَّم في أبي بكر و عمر إلَّا بِخَير!".- إلا بخير- و لمّا سأله سالم بن أبي حفصة, سأل جعفرا عن أبي بكر و عمر, قال: "يَـا سَالِـم, تولاهما, و تبرَّأ من عدوهما". قال: "فإِنّي أُشهِد اللهَ أني أتولَّاهما, و أبرأ من عدوهما". قال: "يا سالم, أَوَيَسُبُّ الرَّجُل جدّه؟ أبو بكر جدي! لا نَالتنِي شفَاعة رَسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- إن أنا سَبَبتُ أبا بكر و عمر".

هذا باختصار و اقتصار فيما جاء عن فضل و منقبة و مكانة عمر بن الخطاب, رضيي الله عن عمر.

و الله تبارك و تعالى أعلم

و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين

و جزاكم الله خيرا.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ: عُثمَـــان بن عَفَّـــان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز من أطاعه, مذل من عصاه, و الصلاة و السلام على نبيه و مصطفاه, و على آله و صحبه و من والاه.

أمّا بعد, فقد كنا نكلمنا بشيء من الإختصار و الإيجاز, عن أبي بكر الصديق, ثم أردفنا ذلك بالكلام حول سيرة عمر الفاروق, بشيء من الإختصار و الإيجاز, و ها نحن في هذه الليلة المباركة, مع ثالث الناس بعد الأنبياء و المرسلين, مع ذي النورين, مع ذي الهجرتين, مع ذي البيعتين. ألا و هو عثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه.

هو أبو عبد الله, و قيل أبو عمر, عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي. ولد بعد عام الفيل بستة أعوام, فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم يكبره بستة أعوام إذ أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم على الصحيح ولد في عام الفيل.

نشأ في قريش نشأة حسنة, تعلم أنسابها, و تعام أمور دنياه, فكان من تجار قريش, من الأثرياء.

و هنا وقفة:

حيث أننا نجد من بين أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم الكبير و الصغير, الغني و الفقير, نجد الرجل و المرأة, نجد المستضعف و نجد من أهل السؤدد و الجاه. فمن كان من فقراء المسلمين, يتشبه و يتأسى و يقتدي بفقراء الصحابة, من كان من فقراء المسلمين يتأسى فقراء الصحابة, و من كان من أغنياء المسلمين, و من تجار المسلمين, و من أثرياء المسلمين, فيتأسى بأغنياء و تجار و أثرياء الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم. من كان من الشباب يتأسى

بشباب الصحابة, من كان من الشيوخ, يتأسى بشيوخ الصحابة, من كان من الضعفاء, يتأسى بالضعفاء من الصحابة. من كان من أصحاب الجاه عند قومه, يتأسى بأصحاب الجاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و كيف نصروا بهذا الجاه, و بهذه الوجاهة دين الله سبحانه و تعالى و واجهوا أقوامهم و كلموهم في أمر هذا الدين.

فإذَن نجد لنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم القدوات, و قد جاء في الحديث, و هو ضعيف: " **أَصحَابِي كَالنُّجُـــومِ, بِأيِّهِم اقتَدَيتُم اهتَدَيتُـــــم**". و الحديث فيه ضعف إلا أنه يستأنس به في هذا المقام.

عثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه, قلنا كان من الأثرياء, و كان من التجار, و تاجر و رحل إلى اليمن كما رحل إلى الشام في رحلتي الشتاء و الصيف.

كان ليس بالقصير و لا بالطويل, حسن الوجه طويل اللحية, حتى قال عبد الله بن حزم: "مَـا رأيتُ أجمَلَ مِنهُ, لا ذكراً و لا أُنثى".

و قال السائب: "كَـــانَ عُثمان يصبغُ وَ يُخَلِّلُ لِحيَته بـالصُّفرة". قال: "فمـا رَأيتُ شَيخاً أجمَل مِن عُثمَــــان". رضي الله عن عثمان.

كان محبوبا عند سائر قريش, و إليه يجلسون و يتسامرون حتى قالوا في أمثالهم: " أحبَّكَ الله". أو أو أحبك الرحمن, كحب قريش لعثمان".- "أحبك الرحمن كحب قريش لعثمان".

هكذا كان عثمان رضي الله عنه و أرضاه في قومه.

لمّا بزغ نور الإسلام, و بعث بالنبي عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم, كان من الأوائل الذين سارعوا و هبوا إلى الإسلام دون تـلَكُّؤ, و دون تلعثم و دون تردد لأوَّلِ وهلة لما دعاه أبو بكر رضي الله عنه و أرضاه إلى الإسلام أجاب سريعا و لم يُعرف عنه التَّلَكُّؤ. كيف و هو صاحب

العقل الرجيح, حيث أنه لم يزن لا في الجاهلية و لا في الإسلام, حيث أنه لم يشرب الخمر لا في الجاهلية و لا في الإسلام, حيث أنه لم يسجد لصنم قط رضي الله عنه و أرضاه.

عثمان أجاب سريعا إلى الإسلام, و كان رابع أربعة, حيث كما روى الإمام ابن إسحـــاق في السيرة قال: "ليس بعد أبي بكر و علي و زيد إلَّا عُثمَـان".

فكان من الأولين, كان من المهاجرين الذين سبقوا لهذا الدين.

لـمَّـــا أسلـم ناله من الإضطهاد ما نال سائر الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم, فاختار أن يهاجر. هاجر هو, مع من؟ مع رقيـــة زوجته. بنت من؟ بنت النبـــيّ صلى الله عليه و آله و سلم. هاجر إلى أين؟ هاجر إلى أرض ليست أرضه, إلى قوم ليسو بقومه لا يجمعهم معه لا نسب و لا عرق و لا لون و لا دين. إلى أرض ليست بأرضه, إلى سماء ليست بسمائه, هاجر إلى الحبشة, و انظروا إلى البَون الشاسع و الفرق الواسع ما بين مكة و الحبشة, و لم يكن عندهم آنذاك لا طائرات, و لا سيارات, و لا قطارات. كم بذل من المشقة في سبيل ذلك! و كان هو رضي الله عنه و أرضاه أول مهاجر في سبيل الله بعد لوط كما قال صلى الله عليه و آله و سلم فيما رواه الإمـــام البخـــــاري. فسبق بالهجرة إلى الحبشة.

و هنا نقف وقفة:

ألا و هي أن الحبشة آنذاك ليست بدار إسلام, هي أرض يحكمها النصارى, و كذلك مكة آنذاك لا يحكمها الإسلام, فهو هاجر من دار كفر إلى دار كفر و لكن يشرع إن لم تكن هناك أرضا للمسلمين أو دارا للإسلام و أهله أن يهاجر الإنسان من الدار التي يكثر فيها الشر إلى الدار التي يكون الشر فيها أقل, و هكذا.

و قد جاء في الحديث المتفق عليه من حديث الرجل الذي قتل مئة نفس أن العالم أمره أن يخرج من أرضه إلى أرض أخرى يعبد فيها الله سبحانه و تعالى.

إذن فلا يُثَرَّب على بعض شيوخنا حينما يختار على الرغم منه أن يترك ديار, الديار التي كانت تحكم بشرع الله, و هي الآن دار كفر طارئ, لا تحكم بشرع الله سبحانه و تعالى, إلى ديار الكفر الأصلية. حينما يسافرون و يهاجرون إلى أمثال أوربا مثلا, التي يقل فيها الشر, أي شر نعني؟ الشر الذي يكون من باب التسلط على الدعاة بالسجن و القهر و القتل و التشريد و التعذيب و التنكيل إلى غير ذلك. اختار بعض شيوخنا, كشيخنا أبي قتادة الفلسطيني حفظه الله*, أن يهاجر مثلا من الأردن إلى بريطانيا و كلاهما تحكم بغير شرع الله, و لكن أولائك يدعون أنهم أكثر حرية, و أنهم يسمحون للآراء, و يسمحون للدعاة, أن يعبروا و أن يتكلموا, أما هناك فليس أمام الشيخ إلّا السجن و القهر و لربما القتل. و هكذا غيره من الشيوخ انتقلوا من دار تحكمها القوانين الوضعية إلى دار الكفار الأصليين, لِمَ؟ لأنها أخفّ شرّا بالنسبة إليهم. هكذا فعل جمهرة من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم حينما هاجروا الهجرة الأولى من مكة, و لم تكن آنذاك تُحكم بشريعة الله, إلى الحبشة, و كانت آنذاك تحكم من قبل النصارى. و لكن, كما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: "**فِيهـــا مَلِكٌ لَا يُظلَـــم عِندَهُ أَحَـــــد**". كما جاء عند أحمد.

إذن كان عثمان رضي الله عنه و أرضاه أول من هاجر في سبيل الله بعد لوط. هاجر بأهله, هاجر برقيـــة بنت النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

مكث هناك في غربة غريبة, لا أهل و لا قوم و لا عشيرة! يعبد الله سبحانه و تعالى على بصيرة. إلى أن جاء ذلك الخبر و تلك الشائعة, أنّ قريش برمتها قد دخلوا في دين الله و قد أسلموا, و ذلك بعد نزول سورة النَّجـــم.

فعاد عثمان رضي الله عنه و أرضاه بمن عاد. عاد إلى مكة و إذا بالخبر ليس كما سمع و ليس كما أُشيعَ!

مكث في مكة إلى أن أَذِنَ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالهجرة الثانية إلى المدينة. فهاجر عثمان رضي الله عنه و أرضاه برقية بنت النبي صلى الله عليه و آله و سلم زوجة عثمان. سافر و هاجر بها للمرة الثانية و لكن إلى المدينة. فسمي و عرف بذي الهجرتين رضي الله عنه و أرضاه. أمَّـــا الهجرة الأولى فإلى الحبشة, و أما الهجرة الثانية فإلى المدينة.

لَـمَّــــــا كان في المـدينـــــــــــــة, شارك في نصرة الإسلام بكلّ ما تحمل الكلمة من معنى. بلسانه و بماله و بسنانه رضي الله عنه و أرضاه. شارك في سائر غزوات النبي صلى الله عليه و آله و سلم, اللهم إلا بـــــدر. لِـمَ تَخَلَّفَ عن بدر؟

-أولا: لم يخرج النبي صلى الله عليه و آله و سلم للنفير و إنما خرج للعير, لعير قريش.

-ثُمَّ: هو صلى الله عليه و آله و سلم من أجلس عثمـــان عند زوجه, عند بنت النبي رقيـــة و قد كانت مريضة رضي الله عنها و أرضاها فجلس يطببها رضي الله عنه و أرضاه.

فما أن عاد المسلمون من غزوة بدر, إلَّا قد توفاها الله سبحانه و تعالى. و قد قسم النبي صلى الله عليه و آله و سلم نصيبه من الغنيمة في بدر و الأجر كذلك, فجعله و عده أنه من أهل بدر.

لَمَّـا توفيت رقية بنت النبي صلى الله عليه و آله و سلم زوج عثمان رضي الله عنه و أرضاه, لم يلبث طويلا إلا و زوجه النبي صلى الله عليه و آله و سلم بابنته الثانية و هي أم كلثوم. و ليس فقط, بل كان الأمر ليس من عنديات النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و ليس من اجتهاده و اختياره لابنته و لكنه قال: **"هَـكَـــــذَا أَمَـرَنِـــي رَبِّـي"**. أمره الله سبحانه و تعالى بأن يزوج عثمان من ابنته الثانية كما جاء ذلك عند ابن عساكر في تاريخه.

زوج عثمان ابنته الثانية فسمي لأجل ذلك بذي النُّــورَيـن, أما النور الأول فهي رقية بنت محمد صلى الله عليه و آله و سلم, و أمَّــا النور الثاني فهي أُمُّ كلثوم بنت محمد صلى الله عليه و آله و سلم بنات خديجة, رضي الله عن خديجة.

استمر عثمان رضي الله عنه و أرضاه في نصرت الإسلام و أهله, كما قلنا شارك في سائر الغزوات اللهم إلا بدر و كذلك في غزوة غطفـــــان. لِمَ؟ مـا سبب تخلفه؟

تأملوا إلى هذه المنقبة العظيمة: خلَّفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أميرا على المدينة. النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما خلَّف عليا في غزوة تبوك على المدينة, كذلك خَلَّف عُثمان بن عفان رضي الله عنه في غزوة غطفان على المدينة. إذَن لا عزاء للشيعة الرافضة حينما يستدلون بأنّ الإمامة لعلي باستخلاف النبي صلى الله عليه و آله و سلم له في بعض الغزوات, إذ أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم إستخلف غيره من الصحابة أيضا فهذه المنقبة مشتركة بين بعض أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

كذلك في سائر الغزوات, أمّا في جيش العسرة, في غزوة تبوك كان في ضنك و ضيق شديد و كانت هذه الغزوة في القيظ, أي في الحر الشديد, و تعلمون أن تبوك بعيدة جدا عن المدينة, و المواصلات آنذاك هي العير و الإبل. كان الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم يتناوبون على الإبل, واحد بركب و ثلاثة يمشون على أقدامهم رضي الله عنهم جميعا. النبي صلى الله عليه و آله و سلم استحثّ الصحابة على البذل و تجهيز هذه الغزوة, و قال: **"مَــن جَهَّـــزَ جَيش العُسرَة لَـهُ الجَنَّـــــــة"**. كما جاء في بعض الروايات, و ذكرها الإمام السيوطي رحمه الله.

جاء عثمـان. بمذا جاء؟ هل جاء بخفي حنين؟ جاء بتسعمأة و خمسين بعيرا! و بخمسين فرسا!

تأملوا إلى هذا الكم العظيم من المال, كم يبلغ في وقت الحالي؟ البعير الواحد الإبل الواحد الناقة الواحدة الفرس الواحدة كم تبلغ من الأموال في زمننا الحالي! عثمان لم يأت بواحدة و لا باثنتين

و لا بثلاث, بتسعمأة و خمسين بعيرا و بخمسين فرسا, رضي الله عن عثمان! ثم لم يكتف بهذا القدر, بل جاء بألف دينار و وضعها في حجر النبي صلى الله عليه و آله و سلم, فاستهل وجه النبي صلى الله عليه و آله و سلم فرحا مسرورا, و هو يقلب الأموال و يقول: **"مَـــا ضَرَّ عُثمَـان مَـا فَعَلَ بَعدَ اليَـوم,مَا ضَرَّ عُثمَانَ مَا فَعَلَ بَعدَ اليَـوم"**. مَرَّتَين. كما روى ذلك الإمام الترمذي رحمه الله رحمة واسعة.

فتأملوا هذا الكم الكبير من الأموال التي بذلها عثمان في سبيل الله سبحانه و تعالى. لذلك روى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه و أرضاه أنه قال: ((اشترَى عُثمان الجَنَّة من رسولِ الله صلى الله عليه و آله و سلم مَرَّتين المرة الأولى في بِئر رومَة)). لما هَاجَر الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم من مكة إلى المدينة تغير عليهم طعم الماء و كان هناك بئرا تسمى بِـرومَة, و كان ماءها عذبا فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم استحث من يشتريها -كما في بعض الروايات- فجاء عثمان و اشتراها بخمس و ثلاثين ألفا. اشتراها و جعلها للمسلمين قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَـن يَشتَرِيهَا للمُسلمِينَ بالجَنَّة؟"**. – بـالجنَّــــة!-. فتصدق عثمان رضي الله عنه و أرضاه و أخرج تلك الأموال الطائلة, هل لنفسه؟ بل لله و لرسوله و للمؤمنين, فكان المسلمون يشربون من هذا الماء العذب الزلال طيلة مكثهم في المدينة. هذه المرة الأولى التي ذكرها أبو هريرة رضي الله عنه و أرضاه, و قال: ((وَ أمَّـا المرة الثـانية فهي في تجهيز جيش العسرة)). لما جهزه عثمان رضي الله عنه و أرضاه.

لذلك لا تغربوا و لا تعجبوا حين تسمعون النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما في بعض الروايـات, يرفع يديه و يَدعُ لعثمان: **"اللَّهُمّ اغفِر لِعُثمَـان مَـا تَقَدَّمَ و مَا تأخَّر وَ مَـا أعلَنَ و مَـا أسَـرَّ"**. إلى غير ذلك من الدعوات الطيبات من خير البريات صلى الله عليه و آله و سلم.

ثم لا تعجبوا حين يقول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"لَا يَضُــــرّ عُثمَــان مَا فَعَلَ بَعد اليوم"**. كذلك لا تعجبوا حين يتخير أصحال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: فيختارون أبـا بَـــكر ثم عمر ثم عُثمـان كما جاء في حديث ابن عمر المتفق عليه, قال: "كانَ أصحَاب النَّبي صلى الله عليه و آله و سلم يتخَيَّرونَ فَلَا يَعدِلُونَ بِـأبي بَكر أحدا ثُم عمر ثُم عُثمَان". رواه البخاري و مسلم.

مـــرة كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم في بيته كما روى ذلك الإمـــام مسلـم مضطجعا فدخل أبـو بـــكرٍ و لم يجلس النبي صلى الله عليه و آله و سلم, ثم دخل عمر و لم يجلس النبي صلى الله عليه و آله و سلم, ثم دخل عثمـان فجلس النبي صلى الله عليه و آله و سلم. فلما سألته عائشة عن ذلك قال: **"مَـــالِي لَا أستَحي مِمَّن تَستَحِي مِنهُ المَلَائكَة"**. هكذا جاء في رواية الإمام مسلم. و في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان في بستان و قد أرخى قدميه في البئر و قد كشف عن ساقيه, فدخل أبو بكر فلم يغط ساقيه, عمر كذلك, لمّا دخل عثمان غطى, فقيل له في ذلك فقال: **"مَــالِي لَا أستَحِي مِمَّن تَستَحِــي مِنهُ المَلَائِكَة"**.

و قد مر معنا آنفا حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي أخرجاه في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان في حائط, أي في بستان, فاستأذن الأول فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"إِئـذَن لَـهُ وَ بَشِّـرهُ بِـالجَنَّـــة"**. فإذا هو أبو بكر. إستأذن الثاني قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما قال في الأوّل, فإذا هو عـمر. استأذن الثالث فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"إِئـــذَن لَـــهُ وَ بَشِّـرهُ بِـالجَنَّـــةِ عَلَى بَلـوَى تُصِيبُـــهُ"**. فإذا هو عثمان رضي الله عنه و أرضاه. فلمَّا أخبره بذلك أبو موسى الأشعري, حمد الله و استرجع و قال: "الله المُستَعَان وَ عَلَيه التكلَان".

تعلمون أن أشد الناس بلاءً كما جاء عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم الأنبياء ثُمَّ الأمثل فالأمثل. يبتلى المرء على قدر دينه. فعثمان رضي الله عنه و أرضاه, كان في آخر المطاف ابتلي كما سيأتي معنا, و كما بشره النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما كان على الجبل, فاهتز و ارتجَّ, فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: " **أثبُت! فَمَـا عَلَيكَ إلَّا نَبيٌ وَ صِدِّقٌ وَ شَهِيـدَان**". و كان معه يومئذ أبو بكر و عمر و عثمان. كما في الصحيحين.

فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم شهد لعثمان بالشهادة و كفى بها منقبة عظيمة لعثمان رضي الله عن عثمـــان.

مكث مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و في صحبة النبي صلى الله عليه و آله و سلم حتى توفيت أمّ كلثــوم في عهد رســول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فقال النبي: "**لَـو كَـانَت لِي ثَـالِثَــة لَزَوَّجتُـهَا لِعُثمَـان**". كما روى ذلك الإمـام ابن عســاكـر رحمه الله.

توفي النبي صلى الله عليه و آله و سلم و انتقل إلى الرفيق الأعلى. كان على العهد عثمـان لم يغير و لم يبدل, هكذا في عهد أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه حتى قربه أبو بكر و أدناه منه و جعله كاتبه.

ثم في عهد عمر كان من أهل مشورة عمر, إلى أن طُعِنَ عمر, طعنه ذلك المجوسي عليه لعائن الله تترى. فكان عمر في فراش الموت و هو على فراش الموت, جعل الأمر من بعده لِمَن؟

قال: " أَجعَلُهُ فِي هَاؤلَاء السِّتَّة" -تأماوا- "الذِينَ مَاتَ رَسُـــول اللهِ -صلى الله عليه و آله و سلم- وَ هُوَ عَلَيهِم رَاضٍ".

تــأمل, رسول الله قد رضي عن عثمان, فكيف لا يرضى البعض عن عثمان, رضي الله عنه و أرضاه. بـل أعظم من ذلك, رضي الله عنه! كيف ذلك؟ ذلك في صلح الحديبية! لما سار النبي صلى الله عليه و آله و سلم بمن معه إلى البيت, قاصدين البيت ليطوفوا بـالبيت, أشيع عند

قريش أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم جاء غازيـــا. انتدب النبي صلى الله عليه و آله و سلم رجلا ليكون هو رسوله, ليكون رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه و آله و سلم و سفير النبي, من هو؟ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه. أرسله النبي صلى الله عليه و آله و سلم لقريش ليكلمهم في الأمر أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يأت غازيا.

فلما ذهب إليهم عثمان و كلمهم في الأمر, عرضوا عليه و قالوا: "طُف بالبيت!"-"طُف بالبيت!". و لكم أن تتصوروا عثمان له سنوات لم يزر البيت, لم يدخل البيت الحرام, لم يطف بالبيت من ست سنين من الهجرة, و هو مشتاق و نفسه تتوقد لبيت الله الحرام إلّا أنّه قال: "مَـا كَـانَ لِي أن أَطُفَ قَبلَ رَسُـولِ الله!" صلى الله عليه و آله و سلم.

تـأخّر عثمان عند قريش, فاجتمع الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم, و أُشيع أنّ قريش قد قَتلت عُثمان بن عفّان. فثار الصحابة, و اجتمعوا و تواطأوا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تحت الشجرة يبايعونه, على ماذا؟ يبايعونه كما جاء في الصحيحين على الموت! ز في روايـة على أن لا يفرّوا. لماذا يموتون؟ و لماذا يقدموا أنفسهم؟ دفاعاً عن عثمان, و ثأراً لعثمان! رضي الله عنه عثمان و رضي الله عن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ثُمَّ قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم أمام مشهد من الصحابة عظيم, هكذا أخذ بيده الشريفة و قال: **"هَـذِهِ عَـن عُثمَـان"**.- **"هذهِ عَن عُثمان"**. فأنزل الله سبحانه و تعالى:{ لَقَـد رَضِـيَ اللهُ عَنِ المُؤمِنِـينَ إذ يُبَـايِعُـونَكَ تَحتَ الشَّجَـرةِ}.

ما سبب البيعة؟ هو الدفاع و الذود عن عثمان رضي الله عنه و أرضاه! بسبب ذلك رضي الله سبحانه و تعالى عليهم جميعا.

ما لبثوا إلّا و قد أقبل عثمان سليما معافى رضي الله عنه و أرضاه فبايع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و باشر البيعة بنفسه, فسمي بذي البيعتين. فهو كما مرّ معنا: ذو الهجرتين و ذو النورين و ذو البيعتين!

فـإذَن رضي الله عنه و رضي عنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما قال عمر رضي الله عنه و أرضاه: " أترُكُ الأمر شُورى فِـي السِتَّـة الذين مَـاتَ رَسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هُوَ عَنهُم رَاضٍ".- من هم؟ -: عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب و طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوّام و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم و أرضاهم. و هاؤلاء من جملة العشرة المبشرين بالجنة, و سابعهم من؟ أبو بكر و قد توفي, و ثامنهم عمر و قد حضر أجله كما ترون و تاسعهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه و أرضاه و قد مات في عهد عمر رضي الله عنه و أرضاه, و عاشرهم سعيد بن زيد لم يجعله عمر رضي الله عنه و أرضاه من أهل الشورى! لِمَ؟ لأنه كان قريبا لعمر, هو ابن عم عمر و زوج لأخته فأبعده عمر لكي يكون له أسلم. فجعل الشورى في هاؤلاء الستة.

جاء من خبرهم باختصار بعد استشهاد الفاروق رضي الله عنه و أرضاه: تنازل طلحة لعثمان بن عفّان رضي الله عنه و أرضاه, و تنازل الزبير لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه, و تنازل سعد بن أبي وقاص لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه و أرضاه. كم بقي؟ بقي ثلاثة! عثمان و علي و عبد الرحمن.

قال عبد الرحمن: " أَمّـا أنَـا فَلَيسَ لِـي فِيـهَا نَصِيبٌ, وَ لَستُ مِن أهلِهَـا". كلَّمَ الشيخين لكي يتنازل أحدهما للآخر, فسكت الشيخان رضي الله عنهما. سكت عثمان و سكت علي.
قال: " اجعَلُوهُ لِي". فاستأذن ثلاثة أيام و استشار الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم في هذا الأمر قال: "فَلَم أرَ أحداً يَعدِل بِعُثمَـان". ثم قال لعليٍ و أخذ عليه الميثاق إن بايعتك تحكم بكتاب الله و بسنة رسول الله؟ قال: " اللَّهُمّ نَعَـم ما استطعت إلى ذلِكَ سبِيلاً". قال:

"وَ إِن بَـايَعت لِعُثمَـان تسمع و تطيع؟". قال: " اللَّهُمَّ نَعم". فَقَال لِعثمان نفس ما قال لعلي, قال: "اللَّهُـمَّ نعَم". قال: "إِنِّــي أُبَـايِعُ عُثمـان بن عفّان". و مد يده و بايعه على الكتاب و السنة و أن يسير فيهم بسير الخليفتين من قبله أبي بكر و عمر.

تـأملوا, هذه هي البيعات, ليس البيعة على القوانين الوضعية و لا على الإشتراكية و لا على العلمانية و لا على الديمقراطية, إنما البيعة على الكتاب و السنة!

قال ابن خلدون: "مَـــا سُمِّيَ الخليفةُ خَلِيفَةً إلَّا لأنّه يخلِفُ رَسُــول الله صلى الله عليه و آله و سلم في إقَــامَةِ الحُدودِ". و قال: " الخَلِيفَةُ كَالأجِير للأُمَّــة, استَجَــارَتهُ الأُمَّة لكَي يُطَبِّق فيهَا شَرع الله".

بويعَ على الكتاب و السنة. بايعه عبد الرحمن بن عوف ثم بايعه علي ثم سعد و الزبير و طلحة و سائر المهاجرين و الأنصار.

لذلك قـال الإمــام الـدّارقطنــي رحمه الله: " مَن قـدّم عليًّا على عثمـان فقـد أزرى بالـمهـاجريـن و الأنصـــار".

و قـال حمـاد بن زيـد رحمه الله: " مَن قـدّم عليا على عثمان فقــد خـــوّن أصحـــاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم". — لِـمَ؟ لأنّهـم هم الذين اختاروه و هم الذين أجمعــوا عليه و تطابقوا و تواطأوا على اختيـار عثمان بن عفّان رضي الله عنه و أرضاه.

بويع لعثمان بالخلافة, و كان مما سار فيه من عدله و زهده و الأمور التي حصلت في زمن خلافته, و يشار هنا إلى أنّ خلافة عثمان هي أطول مدة للخلافة الراشدة التي ذكرها النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما في الحديث الذي رواه الإمــام أحمــد و أبـو داود أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: " **الخِـــلَافَـةُ بَعـدِي ثَــلَاثُــونَ عَـامـاً**". — ثلاثون عاما! فذكر من جملتها: عهد عثمان رضي الله عنه و أرضاه, فهو من الخلفاء الراشدين

المهديين المرضيين كما جاء في حديث العـربـاض بن سـارية رضي الله عنه و أرضاه, و قد تقدّم في الدرس الأول, الذي رواه الإمام التـــرمذي قال: "**فَعَلَيكُـــم بِسُنَّتِـــي وَ سُنَّة الخُلفَاء الرَّاشدِينَ المَهدِيّين مِن بَعــدِي**". فكان من بينهم و من جملتهم عثمان رضي الله عنه و أرضاه.

في زمنه كان أوَّل غزو للبحـــر, غزا المسلمون البحر بقيادة معـــاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه و أرضاه, ففتحت الفتوح, و فتحت أفريقية كاملة التي هي الآن مسلمة فتحت في عهد عثمان رضي الله عنه و أرضاه, و بقي بعض التوسعات التي حصلت بعد ذلك, بسبب ماذا؟ بسبب ركوب البحر و غزو البحر في زمن عثمان رضي الله عنه و أرضاه.

و ممّا حدث في زمن عثمان رضي الله عنه و أرضاه أنه أجرى الأعطيات للمؤذّنين, و كان هو أول من فعل ذلك رضي الله عنه و أرضاه إكراما لمن يصدح و يصدع بالأذان و بذكر الله سبحانه و تعالى ليل نهار.

كذلك مما حصل في زمنه أنه وسّع المسجد النبوي. كذلك ساهم في توسيع المسجد الحرام.

و هكذا كانت أعمال البر لعثمان رضي الله عنه و أرضاه كثيرة لا تحصر, و هو من الزهّاد العبّاد الذين يتلون كتاب الله آناء الليل و أطراف النهار. لذلك اشتهر عمر بالهيبة, و اشتهر عثمان بالتلاوة كما اشتهر علي بالقضـاء رضي الله عنهم جميعا.

اشتهر عثمان بالتلاوة كان لصيقا بكتاب الله تعالى تلاوة و قولا و عملا. جاءت الروايات الصحيحة عن عثمان رضي الله عنه و أرضاه أنه يقرأ القرآن كاملا, يتلوا القرآن كاملا من الجلدة إلى الجلدة ما بين دفّتـي المصحف في ركعة من الليل, في ركعة من الليل! رضي الله عن عثمان.

كان هذا من زهده و من تقواه و من عبادته لله سبحانه و تعالى. و من أعظم مناقب عثمان رضي الله عنه و أرضاه أنه جمع المصحف, جمع القراءات على الرسـم العثمـــاني. لـمّا اختلف النـــاس في القراءات و في تلاوة القرآن في عهد عثمان في بعض الغزوات, رءاهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه و أرضاه, فأتى إلى عثمان و اشتكى له: " أَدرِكِ الأُمَّـــة قَبل أن تَفتَرِق!". فجمع عثمان رضي الله عنه و أرضاه الناس على مصحف واحد, و قد وكّل به بعض أجلّاء الصحابة و بعض التابعين, كان منهم: عبد الله بن الزبير و زيد بن ثابت و غيرهم رضي الله عنهم جميعا.

كتبوا المصحف, و نسخوه عدة نسخ, أرسل إلى الأمصار و أمر بتحريق بقية الكتابات التي كتبها الناس. كتبوا المصحف لكي لا يختلفوا في القراءة. جمع الناس على مصحف واحد, و هو ما يسمى إلى اليوم بالرسم العثماني. من شروط صحة التلاوة أن تكون موافقة للرسم العثماني. لا يزال الناس في كل زمان و في كل مكان, في كل الأعصار و في كل الأمصار يتلون المصحف الذي كتبه عثمان رضي الله عنه و أرضاه, فكم من الأجور في صحيفة عثمان رضي الله عنه و أرضاه! و فعل ذلك بحضرة مجمع من الصحابة, لم ينكر عليه أحد, بل أقرّوه و أيّدوه.

قال علي رضي الله عنه و أرضاه: "لَـو لَم يَفعَلـهُ عُثمَـــان لَفَعَلتُـــهُ أَنَـــا". – " لو لم يفعله عثمان لفعلته أنا".

هكذا كان عثمان في خلافته, و هذه بعض مناقب عثمان رضي الله عنه و أرضاه.

استمرت السنوات الست الأولى من خلافته دون أن ينكر عليه أحد كما ذكر الإمام الـزُّهـرِي رحمه الله, محمد بن شهـــاب, محمد بن مسلم بن شهاب الزهري رحمه الله, ذكر أنّ السنوات الست الأولى لم ينكر على عثمان فيها أحد, أما السنوات الست الباقية الأخيرة فتكلم بعض الرويبضة, و تكلم بعض الأوباش من الناس في عثمان, و تكلموا عليه و وضعوا عليه و زادوا

عليه بعلم و بدون علم, بفقه و بدون فقه, تكلّموا و زادوا و طالوا في عثمان و في شأن عثمان و في بعض الأمور التي اجتهد فيها عثمان رضي الله عنه و أرضاه و هو خليفة مهدي راشد!

كان من جملة ذلك, قالو: انه محىَ المصحف! تـأمّلـوا. المناقب يعدونها مثالب! قالوا انه محى المصحف! يعنون أنه جمع الناس على مصحف واحد, فبيّن لهم عثمان ذلك و بين لهم وجهته في ذلك رضي الله عنه و أرضاه.

ثم أنكروا عليه أيضا أنه حمى الحمى, فقال عثمان: "و اللهِ مَا حَمَيتُهَـا لِإبِلِي وَ لَا لِأَغنَـامِي, و إنَّمَا لِإبِـلِ الصَّدَقَة". – لإبل الصدقة حتى ترعى منها و فيها.

ثم أنكروا عليه تقريب أقاربـه و تولية أقـاربه و أنّه أعطى الأعطيات لأقـاربه. فقال: " أمّـا الأُعطِيَات فَهِيَ مِن مَـالِي وَ لَيسَت مِن بَيتِ مَالِ المُسلمِين" – و هي من قبيل الصِّلَة و الصَّدقة كما بين النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن أعطيتك للغريب صدقة و أما للقريب فهو, أمّا الأول فبالغَينِ و الثاني بالقافِ, للقريب فهي صلة و صدقة, صلة و صدقة.

فكان عثمان رضي الله عنه و أرضاه يعطي أقاربه لأجل ذلك. و أما أنه ولاهم و قرّبهـم فقال في ذلك و بيّن و أفصح عن اجتهاده, قال: " أَمَـا تَرَونَ, أَسأَلُكُم بِالله, أَلَيسَ النَّبِـيّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يولي قُريشاً مَا لَا يُولِي غَيرَهُم" — " أَسأَلُكُم بِـالله, أَلَم يَكُن النَّبِيّ صلى الله عليه و آله و سلّم يُولِي بَنِي هَـاشِم مَا لَا يولِي لِغَيرِهِم!". فكام يستدلّ لذلك على اجتهاده بـأنّه قرب أقاربه.

ثُمّ أنكروا عَلَيهِ أيضاً أنّه وَلّى الشّباب, وَلى الشباب! فأجابهم لذلك و قال: " إن أنكَرتُم عَلَيَّ فَقَد فَعَلَ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ذلكَ حَيثُ وَلَّـى أُسَـامَة بن زَيـد, و كان صَغيراً حدثاً –رضي الله عنه و أرضاه — عمرُهُ لَا يَتجَاوز بِضعَةَ عَشَر". فهكذا أجابهم عثمان.

لكنَّ أهـل الفتنـة أبَو و أصرّوا إلّا النَّيل من عثمان رضي الله عنه و أرضاه.

خرجوا من عدة أمصار, خرجوا من مصر و خرجوا من البصرة و خرجوا من الكوفة. كلهم من أوباش الناس و من سقط الناس

قال شيخ الإسلام ابن تيميـــة رحمـه الله: "لَيسَ فِيهِـم أَحَدٌ مِن خِيارِ النّـــاس, و ليسَ فِيهم أحَـــدٌ مِن أصحـابِ رَسُـــولِ الله صلى الله عليه و آله و سلّم و حَـاشَا أصحـابَ النّبي أن يَتَــوَرَّطُوا فِي دَمِ عُثمَـان".

و كل الروايات التي جاءت في أن بعض الصحابة شاركوا في قتله أو ألَّبوا عليه كلها مكذوبة ضعيفة لا أصل لها, كأن قالوا أنّ عمّـار بن ياسر شارك, أو أنّ محمّد بن أبي بكر شارك أو نحو ذلك كلها روايات لا أصل لها.

اجتمع هاؤلاء و زعموا أنهم قد أرادوا الحجّ, أنهم أتوا مُلَبّين, و ذلك في شوال من سنة خمس و ثلاثين, أتول إلى ذي الحُليفة, أو ذي الجحفة, أتوا إلى هذا الميقات و اجتمعوا و ساروا في الناس بالدسائس و الأكاذيب و الخزعبلات إلى غير ذلك و كان من رؤوسهم ابن السوداء, عبد الله بن سبأ, و كان من رؤوسهم كذلك الأشجّ, و كان من رؤوسهم الأعوَر, و نحو ذلك من أولائك الناس الذين هم من أهل الفتنة, الذين يؤلّبون على عثمان رضي الله عنه و أرضاه.

اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم ليدفعوا عن عثمان يوم الدار لمّا حوصر في الدار اجتمع جمهرة من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم. كان منهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه و هو القائل: "لَعنَـةُ اللهِ عَلَى قَتَلَتِ عُثمان فِي البَرّ و البَحرِ وَ السّهلِ و الجبَلِ!". و كان منهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه و أرضاه, و كان منهم الحسن و الحسين رضي الله عنهم جميعا. و أتاهم زيد بن ثابت رضي الله عنه و دخل على عثمان و قال: "هَـا هُم الأَنصَـــار أتَو لِيَنصُرُوا الله مَرَّةً ثـانية نصَرُوهُ مَعَ رَسُول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و أتَو لِيَنصُروكَ سَبعُمأة سَيف – أو ثمَانمأة سَيف – كلّهم يَذُبُّ عَنكَ يَـا أمِيرَ المُؤمِنين". قال: " إن

كَانَت لِي عَليكُم طَاعَةٌ فَاغمِدُوا سُيُوفَكُم". قال: "لَا أُرِيدُ أن أَكُونَ أَوَّل مَن سَفَكَ الدِّمَاء فِي أمّـةِ مُحَمَّـدٍ صلى الله عليه و آله و سلم".

ضحّى بنفسه حقنا للدماء. أتاه معاوية من الشام, قال له: "ثَلَاث أَيَّـام وَ أنتَ بِـالشَّام". فقال: "بئسَ مَـا قُلتَ, و اللهِ لَا أخرُجُ مِن مَدِينَـــة رَسـولِ الله صلى الله عليه و آله و سلم".

أصَـــرَّ عُثمان على من معه من الصحابة رضي الله عنهم جميعا أن لا يسلُّوا سيوفهم و أصرّ أن لا يخلع ذلك القميص الذي قمَّصَــه الله سبحانه و تعالى و هو الخلافة. و استبشر بالشهادة التي بشره بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و كان في أيامه الأخيرة, في يومه الأخير رأى النبي صلى الله عليه و آله و سلم في المنام و أبا بكر و عمر و يقولون له: "تُفطِر عِندَنَا الليلَــة". و أصبح صائما رضي الله عنه و أرضاه و كان من هديه أنه يصوم الدهر. فلما أصبح صائما حوصر البيت, فتسور عليه بعض الأشقياء الجبناء, دخلوا على عثمان في يوم الدار رضي الله عنه و أرضاه, و هو يتلوا القرآن. فأمّا الأول فأخذ بلحية عثمان رضي الله عنه و أرضاه و جرّه و تلتله من لحيته و أمّا الثاني فأتى بسيفه و ضرب عثمان فاتّقاه بيده فقطع كفّه فقال عثمان: " أَمَـا وَ اللهِ إِنَّهَـا أوَّلُ كَفٍّ كَتَبَت المُفَصَّل". - أي من القرآن- " أَمَـا وَ اللهِ إِنَّهَـا أوَّلُ كَفٍّ كَتَبَت المُفَصَّل". ثم أتى آخر فضربه بعمود من حديد على رأسه فأدماه, فقال: " اللَّهُـمَّ لَا يَقتَصُّ لِدَمي غَيرَكِ".-" اللَّهُـمَّ لَا يَقتَصُّ لِدَمي غَيرَكِ".

ثمَّ أتاه أشقاهم بسيفه فوجاه على بطنه, أتت زوج عثمان رضي الله عنها و أرضاها نائلة تتقي عن عثمان بيدها تدفع السيف بيدها, حتى قطع أصابعها رضي الله عنها و أرضاها, ثم قتل عثمان, و جاء آخر و طعنه تسع طعنات قال: "ثلاث لله و ست لما في نفسي". كانت قطرة من دمه سقطت على قول الله تعالى: {فَسَيَكفِيكَهُـمُ اللهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيــمُ}. -{فَسَيَكفِيكَهُـمُ اللهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيــمُ}. و ذلك المصحف هو المعروف بمصحف الإمام. جاء آخر بعد ذلك و ادّعى أنه سيصلّي على عثمان فدخل و كان

قد قال بينه و بين نفسه قبل ذلك لشدة ما سمع على عثمان من الأكاذيب و الترّهات و الشطحات, قال: "للهِ عليّ أن أصفع وجه عثان" – "لله علي أن أصفع وجه عثمان". فدخل عليه و لم يدركه في حياته فصفعه بعد مماته, هذا الرجل رءاه محمد بن سيرين و هو يطوف بالبيت و هو يدعو: "اللَّهُمّ اغفر لي و ما أظنّك تفعل, اللهم اغفر لي و ما أظنك تفعل". فتعجب له و تعجب لأمره محمد بن سيرين: "مَـا شَأنُكَ؟" فقال و قصّ عليه الخبر بأنه صفع عثمان, ثمّ أخرج يده و إذا هي كالخشبة مشلولة قد شلها الله سبحانه و تعالى.

و هكذا الشأن في سائر قتلت عثمان الذين اجتمعوا عليه و ألّبوا عليه يوم الدار, ما منهم إلا مات في شر ميتة. منه ذلك الرجل الذي رؤيَ بالشام و قد قطعت يداه و رجلاه و هو قد ذهب بصره و هو يقول: "وا حرّ النـار! وا حرّ النـار!". فلما سؤل, قال: ((كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فدعا علي و قال: " اللَّهُمَّ اقطَع يَدَيهِ وَ رِجلَيهِ و اعمِ بِصَرَهُ و أدخِلهُ النار".قال: "هذه كلها قد أصابتني و لم يبق إلّا حر النار".)).

هكذا كان الشأن في من تواطأ على قتل عثمان في يوم الدار. عثمان شهيد الدار كما وصفه النبي صلى الله عليه و آله و سلم, عثمان الذي ضحى بنفسه لأجل حقن دماء المسلمين رضي الله عنه و أرضاه. لم يصلِّ علَيه إلا نفر من المسلمين. تقدّموا و صلّوا عليه بدمائه و بثيابه التي قتل فيها شهيدا و دفنوه, رضي الله عن عثمان.

هذه بعض الأخبار عن عثمان رضي الله عنه و أرضاه, و لعنة الله على قاتليه. و سيأتي معنا بحول الله و طوله و منته في الدرس المقبل بعون الله في خبر علي رضي الله عنه و أرضاه و ما حدث بعد مقتل عثمان, رضي الله عن الجميع.

و الله تبـارك و تعـالى أعلم و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين

و جزاكـم اللَّـــــهُ خَـــــيراً

الدَّرسُ الرَّابع: عَلِي بن أَبِي طَـالِب

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله معز من أطاعه مذل من عصاه, و الصلاة و السلام على نبيّه و مصطفاه و على آله و صحبه و من والاه.

أمّـا بعد: فقد تكلمنا في الدرس المنصرم عن ذي النورين و ها نحن نتكلم في هذا الدرس عن أبي الحسنين, نتكلم عن الأسد الغالب, عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه.

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم القرشي الهاشمي. ولد قبل مبعث النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعشر سنين, و نشأ و تربى و ترعرع في كنف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. حيث كان أبوه ليس من الأثرياء, ليس من الأغنياء, فكان إخوانه و أبناء عمومته يعينونه على تربية أبنائه. فكان علي في بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أنعم و أكرِم برجلٍ نشأ في بيت النبوة, نشأ في بيت محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم.

أوّل ما بُعِث للنبي صلى الله عليه و آله و سلم كان علي من المسارعين إلى الإيمان و الإسلام و لم يسبقه لذلك الفضل إلّا خديجة رضي الله عنها و أرضاها. لما عرض النبي صلى الله عليه و آله و سلم عليها الإسلام أسلمت مباشرة, ثم علي رضي الله عنه و أرضاه.

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: " أوّلُ مَن آمَن عَلِي".

و قال محمد القُرَضِي رحمه الله: " أَوَّلُ مَن آمَنَ خَدِيجَة, وَ مِنَ الرِّجَـــالِ أبو بَكرٍ وَ عَلِي". — إلا أن أبا بكر هو أول من صدع بالإسلام و لكن الأمر ليس كذلك مع علي, إذ أنه كان صبياً صغيراً, فكان يفرق من أبيه و يهاب والده و هو أبو طالب. فكتم و أسر إسلامه إلى أن رءاه أبوه و هو في الطريق فقال له: "لقد أسلمت؟". فقال علي: "نَعَـــم!". فقال أبو طالب:

" آزِر ابن عمّك!". – " آزر ابن عمك!". فمكث علي رضي الله عنه و أرضاه مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم منذ حداثة سنه في مكة يذوق ما يذوقه النبي صلى الله عليه و آله و سلم من تعب و نصب لأجل إيصال هذه الدعوة للناس صافية نقية كما أنزلها الله سبحانه و تعالى. و جاع كما جاع النبي حيث حوصر معه فربط على بطنه الحجارة من الجوع رضي الله عنه و أرضاه, و مكث هكذا في مكة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و التصديق به و اتباع الشرائع و الشعائر أوّلاً بأوّل, و الدعوة إلى دين الإسلام, إلى أن شاء الله سبحانه و تعالى و أذن بالهجرة, فأذِن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعــامّة أصحابه بالهجرة و لكنه استبقى علياً, لِـمَ؟ لِمُهمّة صعبة لا يستطيع عليها إلا أهل الوفاء, أهل التضحية, أهل الشجاعة من أمثال علي رضي الله عنه و أرضاه.

لمّـا اجتمعت قريش على النيل من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على قتله, كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يعدّ للهجرة, فمما صنعه تورية و تعمية على قريش أنه جعل عليا ينام على فراشه. و قد حوصر بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم, حاصره الكفار بأسيافهم يعزمون على قتله, فخرج النبي صلى الله عليه و آله و سلم آمنا سالما من بينهم, و قد أغشى الله أبصارهم. و نام تلك الليلة كما روي, علي رضي الله عنه و أرضاه, على فراش النبي.

تخيّلوا هذا الموقف العظيم في أيّ لحظة تتناوله السيوف, و هو بكل شجاعة و رباطة جأش ينام على فراش النبي صلى الله عليه و آله و سلم المستهدف من قِبَلِ قريش.

ثم سار النبي صلى الله عليه و آله و سلم و نجى مع صاحبه, مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه الذي قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم في ما رواه الإمام الترمذي: **"رَحِــمَ اللهُ أَبَـا بَــكر, زَوَّجَـنِي ابنَتَه وَ حَمَلَـنِي إِلَـى المَدِينَــة وَ أَعتَقَ بِـلَالاً, وَ رَحِـمَ اللهُ عُمَـر كَـانَ يَصدَع بِـالحَـقِّ وَ إِن كَـانَ مُـرّاً لَـم يَترُك لَهُ الحَـقُّ صَــاحِباً, وَ رَحِـمَ اللهُ عَلِيّاً"**. ثم أثنى

النبي صلى الله عليه و آله و سلم على عليٍّ بما سيمر معنا بإذن الله سبحانه و تعالى في هذه الإضاءات من سيرته رحمه الله و رضي الله عنه.

لما سار النبي صلى الله عليه و آله و سلم تكفل علي بما أمره النبي صلى الله عليه و آله و سلم من أداء الأمانات إلى أهلها من قريش, ثم تبعه إلى دار هجرته إلى المدينة.

في المدينة قام النبي صلى الله عليه و آله و سلم بتزويج عليا, بمن؟ بابنته فاطمة البتول رضي الله عنها و أرضاها, فكما أنّ أبا بكر الصديق زوج ابنته عائشة للنبي صلى الله عليه و آله و سلم, و كما أنّ عمر بن الخطاب زوج ابنته حفصة للنبي صلى الله عليه و آله و سلم, و كما أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم زوج ابنتيه رقية و أمّ كلثوم لعثمان بن عفّان رضي الله عنه و أرضاه, كذلك زوج فاطمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه.

عاش هذا الشاب اليافع مع زوجته ابنة خير البشر جميعا عيشة التقشف و الزهد حتى انه لم يأت لها بخادم, حتى انه يقول: "كُنَّا نَنَام عَلَى شِقِّ إيهَابِ كَبشٍ و تَعجِن فَاطِمَة عَلى الشّقِّ الآخر!".

علي, هذا الزاهد الذي كان في خلافته يشتري ثوباً بأربع دراهم. كان يركب الحمار و يقول: "هَكَذَا أُهِينُ الدُّنيَا!".- "هكذا أهين الدنيا!".

في بيته الأسَري مع بنت النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنجب منها الحسن و الحسين رضي الله عنهما. كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يحبهما حبا عظيما, حتى قال عنهما: **"هُمَا رَيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنيَا"**. و قال صلى الله عليه و آله و سلم عن الحسن و الحسين: **"الحَسَن وَ الحُسَين سَيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة"**-تأمّلوا-" **وَ أَبُوهُمَا خَيرٌ مِنهُمَا"**. رواه ابن ماجة و صححه الألباني. -و أبوهما خير منهما!-

حينما تذكُرُ عليًّا تشتمّ رائحة الغبار ترى لمعان السيوف, هذا الشهم الشجاع رضي الله عنه و أرضاه, في معركة بدر كان في المقدمة و شارك في المبارزة و بارز شيبة بن ربيعة, فما كان منه إلّا أن صرعه رضي الله عنه و أرضاه.

قال أبو ذرّ: " {هَـذَانِ خَصمَـانِ اختَصَمُـوا فِي رَبِّهِـم} -قال- نَزَلَت فِ بَدرٍ, نزَلَت فِي عَلِيّ وَ حَمزَة وَ عُبَيـدَة و فِي رَبِيعَـة و شَيبَة"-أو-" في عُتبَة وَ شَيبَة أبنَاء رَبِيعَة وَ فِي الوَلِيد بن عُتبَـة". كما جاء ذلك عند البخاري في صحيحه.

في غزوة أُحُد خرج للمبارزة طلحـة بن عثمان فخرج له علـي رضي الله عنه و أرضاه فابتدره بسيفه فقطع رجله فسقط و انكشفت عورته, فقال: " أسـأَلُكَ بِاللهِ و الرحِم يَا ابنَ العَمّ". فتركه عليٌّ رضي الله عنه و لم يجهز عليه استحياءً منه. -استحياءً منه!-.

كذلك في معركة الخندق, غزوة الخندق لـمَّـا تحزَّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من كل حدب و صوب, جاء و عبر من عبر من صناديد المشركين, و دعا للمبارزة. أتى عمرو بن ودّ العامري, هذا المشرك الشجاع, الذي لا يقف له أو أمامه أحد في المعارك و في الصولات, حتى قالت العرب: "إنَّ الفرار من المبارزة من العار و الشنار إلا من أمام عمرو بن ودّ". هذا مستثنى من جملة العار و الشنار إذ أنهم يعرفون بأسه و قوّته. فخرج هذا المشرك متبختراً يدعو للمبارزة مستهزءاً يقول: هو مشتاق إلى النّار, فهل أحد منكم مشتاق إلى الجنة؟ - فخرج له علي رضي الله عنه و أرضاه, فتبارز معه حتى ثار الغبار فقتله فكبّر المسلمون.

هذا شيء من قوّة علي في الحق و من بسالته في المعارك.

في خيبر و ما أدراكم ما خيبر! كما جاء في الحديث في الصحيحين من رواية سهـل بن سعد السَّـاعديّ و من رواية سعد بن أبي وقـاص و من رواية أبي هـريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: " **لأُعطِـيَنَّ الرَّايَــةَ غَداً رَجُـلاً يُحِبُّهُ اللهُ وَ رَسُـولُهُ وَ يُحِبُّ اللهَ وَ**

رَسُولَهُ". -تأمّلوا إلى هذه المنقبة العالية و هذه الشهادة الغالية من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, يحبه الله و رسوله! و يحب الله و رسولَه!-. قال سهل بن سعد: "فباتوا كلٌّ يَأمَلُ أَن يَكُونَ هُوَ هُوَ". كلٌّ يأمل أن يُعطاها. قال عمر بن الخطاب رضي الله عن عمر, قال: "فَمَا أَحبَبتُ الإِمَارَةَ إِلَّا يَومَئِذٍ!" -" ما أحببت الإمارة إلا يومئذ". فلما أصبحوا من الغد سأل النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه, قالوا: "يَا رَسُولَ الله, إنَّهُ يَشتَكِي مِن عَينَيه!" -به الرمد- فاستدعاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و نفث في عينيه فعادتا كما كانتا و أفضل! ثم أعطاه الراية و قال: **"سِر عَلَى بَرَكَةِ الله"**. و قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم و بشّر انه يُفتح على يديه. فلمّا جاء خيبر خرج أحد فرسان اليهود و اسمه مرحب, و هو يرتجز في الناس:

قَد عَلِمَت خَيبَرَ أَنِّي مَرحَبُ ... شَاكِي السِّلَاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ

فخرج إليه علي رضي الله عنه و أرضاه و هو يقول:

أَنَا الَّذِي سَمَّتنِي أُمِّي حَيدَرَة ... كَلَيثِ غَابَاتٍ كَرِيه المَنظَرَة

فتبارز معه فضربه بالسيف على هامته حتى وصل إلى أضراسه, هكذا جاء في روايات أهل السنة. أمَّا عند الشيعة الرافضة فهم في الكذب لا يشاق لهم غبار, يقولون: إنه ضربه بالسيف ففلقه نصفين! و ليس فقط, بل نزل السيف على الأرض فشقّها نصفين حتى شق سبعة أراضين! هذا عند الرافضة. أو عيّنَة من كذبهم و مبالغتهم و غلوّهم في علي رضي الله عنه و أرضاه. لذلك يقول علي رضي الله عنه و أرضاه: "إثنان يدخلون فيَّ النار: مُحِبٌّ مُغَالٍ وَ مُبغِضٌ مُعَادِي". فلا تكن من هاؤلاء و لا تكن من هاؤلاء, بل كن كما كان أهل الحق و هم يحبون جميع أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم من الصحابة و القرابة, و يتقرّبون بحبهم إلى الله سبحانه و تعالى, لكن لا يرفعونهم عن مقدارهم. أهل السنة و الجماعة وسط في أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين النواصب الذين نصبوا العداء لعلي و لآل البيت

و بين الروافض الذين رفضوا أصحاب النبي كأبي بكر و عمر و عثمان. أهل السنة يحبون الصحابة جميعا و هم كذلك ليسو كالخوارج الذين يحبون الشيخين أبي بكر و عمر و يتكلمون في عثمان و علي و يكفرون عليّا و معاوية و عمرو بن العاص إلى غير ذلك. نحن وسط, لا نغلوا في الصحابة و لا نرفعهم عن قدرهم و لا نبخسهم قدرهم.

إذَن صرع علي فارس اليهود, صرعه في خيبر, ثم استمر القتال فجاء يهوديٌّ و ضرب علي بالسيف فسقط منه الترس الذي كان يتترّس به. فما كان من علي إلّا أنه أخذ باب خيبر و تترس به طوال المعركة. ثم لما انتهت المعركة و فتح الله سبحانه و تعالى على المؤمنين على الموحّدين و أظهرهم على اليهود, جاء ثمانية من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم يحاولون أن يقلبوا الباب, ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا! و هذا إن دلَّ يدلّ على قوّة علي رضي الله عنه و أرضاه. علي, الذي روى ابن عساكر, أنه كان يلبس درعا صدرا لا ظعر له, فلما سؤل عن ذلك قال: "إن وَلَّيتُ الأعدَاءَ ظَهري فَلَا أبقَاهُ اللهُ عَلَيَّ".-"إن وليت الأعداء ظهري فلا أبقاه الله علي!".

و هكذا كان هو حامل لواء النبي صلى الله عليه و آله و سلم في سائر المعارك و في سائر المشاهد و في سائر الغزوات, إلّا أنه لـمَّا جاءت غزوة تبوك خلَّفَه النبي صلى الله عليه و آله و سلم على المدينة. لما خلّفه على المدينة وجد علي في نفسه, كيف يجلس مع الصبيان و النساء و النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد خرج بالجند و بسائر أصحابه لمقابلة الروم. فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما روى ذلك الإمام مسلم و الترمذي تسلية لعليّ, قال: " **أَمَا تُحِبُّ أَن تَكُونَ مِنّي بِمَنزِلَةِ هَارُون مِن مُوسَى إلَّا أنّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي**". و هنا نقف وقفة إن صحّ لنا أن نقف.

-الرافضة الشيع الإمامية يحتجون بهذا الحديث على أن الخليفة من بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو علي بن أبي طالب. و نحن نردُّ عليهم من أوجُه.

أمّـا الوجه الأوَّل: فهذه المنقبة العظيمة و هي استخلاف علي على المدينة لم يتوحّد و يتفرّد بها علي بل شاركه غيره من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما في بعض الغزوات, كما أشرنا في الدرس الـماضي أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم استخلف عثمان بن عفّان رضي الله عنه في غزوة غطفان و استخلف غيره من الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم جميعا, فإذن هذا الفضل لم يفرد به علي رضي الله عنه و أرضاه. هذا أوّلا.

و أمّا ثانيا: فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم اسطحب معه لصقاه من الصحابة, ليستشيرهم في أمر هذه الغزوة العظيمة التي خرج فيها خلق عظيم. قيل ثلاثون ألفا, و قيل أربعون ألفا و بعض أهل التاريخ و المغازي يقولون سبعون ألفًا, في صحبة النبي صلى الله عليه و آله و سلم في غزوة تبوك. اسطحب النبي صلى الله عليه و آله و سلم أبـا بـكر و عمر و عثمان معه, فهذه منقبة! كما أنّ تلك منقبة. و الصحابة يكمل بعضهم بعضا و الأدوار تتفاوت عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ثم نقول ثالثاً: " **أَلَا تُحِـبُّ أَن تَكُـونَ مِنّـِي بِمَنـــزِلَةِ هَـــارُون مِن مُـوسَى إلَّا أنّـهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي**". متى قالها النبي صلى الله عليه و آله و سلم؟ قالها تسلية لعلي رضي الله عنه و أرضاه, ثم من تـأمّل في نصّ الحديث فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم قال له: " **أَلَا تُحِـبُّ أَن تَكُـونَ مِنّـِي بِمَنـــزِلَةِ هَـــارُون مِن مُـوسَى**". في ماذا؟ لـمّـا ذهب موسى إلى ربه إلى ميقات ربه خلّف على قومه هارون يسوسهم, فكذلك النبي صلى الله عليه و سلم فعل في غزوة تبوك, خلّف علياً رضي الله عنه و أرضاه على الـمدينة يسوسهم.

ثم يذكر أهل التاريخ أنّ هارون مات قبل موسى, هارون مات قبل موسى فلا وجه للإستدلال بهذا الحديث على أن الإمام بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه.

عليّ صاحب فضل عظيم جليل لا ينكره إلا بغيض. النبي صلى الله عليه و آلهو سلم قال كما في صحيح مسلم لعليّ و عن عليّ: **"لَا يُحِبُّـهُ إِلَّا مُـؤمِن وَ لَا يُبغِضُـهُ إِلَّا مُنَـافِق"**. لا يحبه إلا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق!

لذلك يقول جابر بن عبد الله كما روى عن الإمام ابن عبـد الـبرّ في الإستصحاب في معرفة الأصحاب قال جابر رضي الله عنه و أرضاه: "كُنَّـا نَعرِفُ مُنَـافِقِـي هَذِهِ الأُمَّـة مِن بُغضِهِـم لِعَـلِيّ بن أَبِي طَـالِب". رضي الله عنه و أرضاه.

إذن هذه علامة ظاهرة للمنافقين كما بيّن رسول رب العالمين صلى الله عليه و آله و سلم: **"لَا يُحِبُّـهُ إِلَّا مُـؤمِن وَ لَا يُبغِضُـهُ إِلَّا مُنَـافِق"**.

كذلك قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَن آذى عَلِيًّا فَقَد آذَانِي"**. كما روى ذلك الإمام أحمد في مسنده

كذلك قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَّـــن كُنتُ مَـــولَاهُ فَعَـــلِيٌّ مَـولَاه"**. — و في بعض الزيادات كما عند أحمــد– قال: **"اللَّهُــمَّ وَالِي مَــن وَالَاه وَ عَـــادِي مَــن عَـادَاه"**. هكذا دعا النبي صلى الله عليه و آله و سلم على من يعادي علياً رضي الله عنه و أرضاه.

و مناقب علي و فضائل علي كثيرة لا تحصر, لذلك قال الإمـام أحمــد رحمه الله: " أَكثَـرُ الصَّحَـــابَةِ جَاءَ فِي فَضلِهِم"–أو– "جَاءَت الأَحَـادِيثُ فِي فَضَـائِلِهِم عَـلِيّ بن أَبِي طَالِب". رضي الله عنه و أرضاه.

و أفرد الإمــام النسائي رحمه الله كتابا في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه.

و لكن كما أنه قد جاءت في علي الفضائل العظيمة و المناقب الجسيمة كذلك كان هو من أكثر من وُضِعَ عليهم من رجالات هذه الأمّة. لذلك يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "وَضَعَتِ الرّافضـة".-أو- "وَلَّدَت الرافضة كَثِيراً مِن الفَضائِل المَوضُوعَة لِعَلِيّ مَـا هُوَ بِغِنىً عَنهَا".

علي رضي الله عنه و ألاضاه لا ينقصه تلك الفضائل التي وضعها الرافضة, بل صح عند أهل السنة و الجماعة الأحاديث الكثيرة و ألآثار و الروايات عن رسول الله و عن آله و عن أصحابه و عن التابعين في فضل علي رضي الله عنه و أرضاه.

عمر بن الخطّاب يقول: " أَقضَـانَا عَلِيّ و أقرَأُنَـا أُبَـيّ". — " أقضانا علي و أقرأنا أُبـيّ".

و كذلك يقول عمر رضي الله عنه و أرضاه: " أَستَعِـيذُ بِـاللهِ مِن مُعضِلَـــةٍ لَيسَ لَهَا أَبُــو الحَسَــن". -و هو علي رضي الله عنه و أرضاه-.

فهو كان من أقضى الصحابة جميعاً رضي الله عنهم و أرضاهم.

و ذلك من دعاء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم له كما جاء عند الترمذي أنه بعثه إلى اليمن و دعا له بالعلم الشرعي فتفقه علي رضي الله عنه و أرضاه و كان من علماء الصحابة, و كان كذلك من خطباء الصحابة.

قالوا: خطباء الصحابة: أبو بــكر و علي رضي الله عنهم جميعا.

لـمَّا توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و انتقل إلى الرفيق الأعلى, كان علي رضي الله عنه و أرضاه من أهل مشورة الخلفاء الراشدين قبله و كان يقضي في زمانهم و كان يخرج في الغزو معهم و كان يأتمر بأمرهم و ينتهي عن نهيهم و كان يقبل أعطياتهم من الفيء و الغنائم.

فعلي رضي الله عنه و أرضاه لم يثبت عنه قط أنه طعن في أبي بكر أو طعن في عمر أو طعن في عثمان. كما لم يثبت عنه قط أنه أَلَّبَ عليهم أو حرض عليهم أو رأى الخروج عليهم.

كذلك لم يثبت قط عن أبي بكر أو عن عمر أو عن عثمان أنهم طعنو في علي رضي الله عنه و أرضاه. بل كانوا كما قال الله سبحانه و تعالى {وَ نَزَعنَا مَا فِي صُدُرِهِم مِن غِلٍّ}. هكذا قال علي هو بنفسه عنه و عن أبي بكر و عمر و عثمان, و كان يعرف لهم السابقة كما مر معنا آنفاً في الدروس الماضية في درس أبي بكر و درس عمر و درس عثمان بن عفّان رضي الله عنهم جميعاً ما يغني إعادته في هذا الدرس أو في هذا المجلس.

إلى أن قُتِلَ عثمان رضي الله عنه و أرضاه, لما قتل عثمان كانت واقعة و باقعة على سائر أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم. حتى قال أبو حميد الساعدي كما روى ذلك ابن عساكر قال: "للهِ عَلَيَّ أَن لَا أَضحَكَ بَعدَ مَقتَلِ عُثمَان حَتَّى أَلقَى الله سُبحانه و تَعَالى".

كان الصحابة رضوان الله عليهم هالهم ما حصل لعثمان رضي الله عنه و أرضاه فسارعوا بالبيعة لعلي رضي الله عنه و أرضاه.

بايعه المهاجرون و الأنصار في ظل تلك الأجواء -إن صحّ التعبير- المكهربة خرج الزبير و خرج طلحة و خرجت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها و أرضاها مع ابن أختها و هو محرم لها, عبد الله بن الزبير و هو ابن أسماء بنت أبي بكر.

خرجوا قِبَل البصرة يريدون أن يرفعوا عن أنفسهم ما نالهم من الإبطاء في نصرة عثمان بن عفّان رضي الله عنه و أرضاه.

اجتهدوا فخرجوا و توجّهوا إلى البصرة, عندها خرج منها عام العليّ على البصرة و بعث له. فأتى علي رضي الله عنه و أرضاه بجيش قوامه أربعة آلاف.

اسطافا الجيشان و اصطلحوا و اتفقوا إلّا أنّ أهل الفتنة لم يرق لهم ذلك بل سعوا جاهدين طوال الليل على أمر بُيِّتَ بليل.

قاموا بقتل مجموعة من جيش الزبير و طلحة و قتلوا كذلك من جيش علي ففزع الجميع إلى السلاح في صبيحة ذلك اليوم و وقع ما وقع من الفتنة التي حصلت في معركة الجمل.

تلك المعارك التي قال عنها عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "نَجَّى اللهُ سبحانه و تَعَالى مِنهَا سُيُوفَنَا فَلَا نَخُوضُ فِيهَا بِأَلسِنَتِنَا".

ثم حصل الذي حصل و بعد ذلك, أو قبل ذلك و في أثنائه بعثت نائلة إلى معاوية في الشام, قيل بقميصه, بقميص عثمان, و قيل بأصابعها التي قطعت يوم الدار. تستنصر معاوية و هو من أهل الدم, هو من أولياء عثمان و من أقاربه. قال الله تعالى: {وَ مَن قُتِلَ مَظلُومًا فَقَد جَعَلنَا لِوَلِيِّهِ سُلطَانًا فَلَا يُسرِف فِي القَتلِ, إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً}. فألَّبَ مُعاوية أهل الشام و حرضهم على الأخذ بثأر عثمان الذي قُتل صبرا في الدار و نُكِّلَ به. اجتهد معاوية رضي الله عنه و أرضاه و أراد الأخذ بثأر عثمان و أن يقتص له فكانت و دارت بينه و بين عليّ رضي الله عنه و أرضاه مراسلات و محادثات, عليٌّ يأمره بأنه ينزل عن الإمرة في الشام, و معاوية لا يسمع لذلك و يقول: "لَا أُبَايِع حَتّى يُقتَصّ لِعُثمَان".

دارت الرسائل بينهم على ذلك النمط حتّى خرج الجيشان, علي بمن معه و معاوية بمن معه, فالتقيا فالتقى الجيشان في صفّين فدارت معركة صفّين التي جاء فيها الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من حديث عمّار بن ياسر كما عند مسلم قال: **"وَيحَ عَمَّار تَقتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ"**. – الفئة الباغية هي فئة معاوية رضي الله عنه و أرضاه. اجتهد و أخطأ, و النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال كما في الصحيحين: **"إِذَا اجتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجرَانِ, وَ إِذَا اجتَهَدَ فَأَخطَأَ فَلَهُ أَجرٌ"**. فأصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم يدورون بين الأجر و الأجرين.

النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال و دعا لعليٍّ: " **اللَّـهُمَّ أَدِرِ الحَــقَّ مَعَــهُ حَيثُ دَارَ**". كما جاء في مسند الإمام أحمــد.

حصلت تلك الفتنة بينه و بين معاوية رضي الله عنه و أرضاه. بعد ذلك و في ظلّ هذه الأجواء نبتت نابتة الخوارج و خرج الخوارج و كانت أوّل فِرقة تَخرُجُ في الإسلام, فِرقةُ الخوارج و هي فرقة ضالّة مُضِلَّة و قد جاءت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما في الصحيحين عن الخوارج و أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال فيهم: " **لَإِن أَدرَكتُهُم لَأَقتُلَنَّهُم قَتلَ عَــادٍ**". و قال صلى الله عليه و آله و سلم: "**شَــرُّ قَتلَى تَحتَ أَدِيمِ السَّمَــاء**". و قال صلى الله عليه و آله و سلم: "**تَحقِــرُونَ صَــلَاتَكُم إِلَــى صَــلَاتِهِم وَ صِيَامُكُم إِلَى صِيَامِهِــم**". إلى غير ذلك من الأحاديث التي جاءت في فرقة الخوارج.

لكن لماذا سُمُّوا بالخوارج؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "مَـا سُمِّيَ الخَــوَارِجُ بِهَذَا الإِسمِ إِلَّا لِأَنَّهُـم خَرَجُـوا عَلى خِيَـارِ المُسلِمِينَ".

خرجوا على خيار المسلمين فليس إِذَن من خرج على شرار العالمين يُعَدّ من الخوارج. أولائك خرجوا على خيار المسلمين, أمَّـا من يخرج اليوم كما حصل في ظلّ الثورات العربية, خرجوا على شرار الخلق و الخليقة أجمعين, فهاؤلاء لا يُسَمَّونَ بِحالٍ أنّهم من الخوارج, سُمِّيَ الخوارج بالخوارج لأنهم خرجوا على خيار المسلمين -تأمّلوا- و علي بن أبي طالب من خيار المسلمين كما مرّ معنا.

و الشيخ العلّامة الإمام عمر بن عبد الرحمن, المعتقل عند الأمريكان فكّ الله أسره و كان الله في عونه يقول لخصومه: "إِذَا كُنَّـا نَحـنُ خَوَارِجَ فَهَـل أَنتُم عُثمَـان أَم عَلِيّ". -هل أنتم عثمان أم علي؟ رضي الله عنهم جميعا.

إذن أوّلاً: الخـوارج خرجوا على خيار المسلمين.

ثم إنّ للخوارج أصُولاً فاسدة كاسدة بينها علماء الأصول, بينها علماء العقيدة, بينها من كتب في الفرق, و من تلك الأصول:

أنّهم يكفرون بالكبيرة: يكفّرون شارب الخمر يكفرون الزان, السارق, القاتل, عاقّ الوالدين, إلى غير ذلك.

لذك كفّروا عليّاً و كفَّروا معاوية و كفّروا عمرو بن العاص و كفّروا المعسكرَين لأمور إنتقدوها عليهم.

فهم إذن يكفرون بالكبيرة فهل من يرميهم أهل الإرجاء اليوم بـأنّهم من الخوارج, من خيار المسلمين اليوم الذين ضَحّوا بأنفسهم و أموالهم و أوقاتهم لرفع لَا إِلَـهَ إِلَّا الله, هَل هاؤلاء يُكَفِّرونَ بالكبيرة؟ هل يكفرون المسلمين لأنّهم شربوا الخمر أو أكلوا الربا أو قتلوا أو فعلوا بعض تلك الأفعال التي لا تخرج صاحبها من الملّة؟ حاشاهم حاشاهم!

كذلك من أصول الخوارج أنهم يكفرون بالعموم, إذا كفر الحاكم عندهم كفر المحكوم, لذلك كفّروا عليا و معاوية و لم يكتفوا بذلك بل جرّوا ذيل التكفير على سائر المعسكرَين ممن خالفوهم.

و هكذا, لهم أصول عديدة فلِذلك لم يقل أحدٌ قطّ بأنّ عائشة أو طلحة أو الزبير أو معاوية أنهم من الخوارج, مع أنهم اقتتلوا مع علي رضي الله عنه و أرضاه. لِـمَ؟ لأنّهم لم يقولوا بأصول الخوارج, و إنما الخوارج فرقة أخرى, نابتةٌ نبتت و أصَّلت بعض الأصول الفاسدة و قالت بها و قاتلت عليها.

هاؤلاء الخوارج مع الشر العميم الذي جاءوا به مع ذلك لم يبادرهم علي بالقتال بل أرسل إليهم من يحاورهم و يأخذ بأيديهم.

أرسل إليهم عبد الله بن عبّاس حبر الأمّة و ترجمان القرءان يحاورهم و يناظرهم حتّى رد منهم خلقٌ عظيم و بقي و أصرّ البعض فعندئذٍ قد أعذر علي رضي الله عنه في ذلك.

فقاتلهم رضي الله عنه و أرضاه و هذه من مناقبه, أنه قاتل الخوارج الذين جاءت النصوص عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في قتالهم.

قاتلهم في النهروان و قاتلهم في حروراء و أثخن فيهم. قاتلهم علي رضي الله عنه و أرضاه و لم يكن يعتقد كفرهم و إنما قاتلهم للأسباب الآنفة فليس كل من يقاتل يُكَفَّر, أو لأجل كفره أو لمناط كفره, بل لما سؤل عن الخوارج أكفَّارٌ هم؟ -تأملوا إلى إنصافه رحمه الله- أكُفَّار هم؟ قال: "مِنَ الكُفرِ فَرُّوا". قالوا: " أَمُنَافقون هم؟". قال: " المُنَافِقُونَ لَا يَذكُرُونَ اللهَ إلَّا قَلِيلاً". قالوا: " إذَن مَا هُم؟". قال: " إِخوَانُنَا بَغَوا عَلَينَا". -"إخواننا بغوا علينا!"-.

هكذا شاء الله سبحانه و تعالى لخلافة علي أن يشوبها بعض الأمور من الفتن و القلاقل من أهل الفتن أو من المجتهدين من الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم أجمعين.

حكم علي رضي الله عنه و أرضاه بعدلٍ في الرعية طوال خمس سنوات. ثم قام أشقى القوم, كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنّ عليًّا يقتله أشقى هذه الأمة.

قام عبد الرحمن بن ملجم, و كان بادئ ذي بدء من شيعة علي أي في صفّ علي ثم خرج عليه و هو رجل من الخوارج.

اتفق مع رجلين كلٌّ منهم يقتل واحدا. اتفقوا لقتل علي و لقتل معاوية و لقتل عمرو بن العاصي رضي الله عنهم جميعا.

فأما من سار إلى معاوية, فلما تبادره بالسيف رآه معاوية فتنحى عنه جانبا فأصابه في أسفل ظهره في مؤخّرته فتعالج بعد ذلك و قد كان حكم على الشام عشرين سنة ثم أصباح خليفة بعد ذلك عشرين سنة.

و أمّا الذي سار لقتل عمرو فكان عمرو آنذاك مريضا فوكّل بالنيابة عنه يصلي بالناس خارجة, فلمّا تقدم ليصلي بالناس تبادره ذلك الخارجي بالسيف فقتله ظانا أنه عمر بن العاص –أو ابن العاصي, على أقوال–.

و أمّا عبد الرحمن فذهب إلى علي رضي الله عنه و أرضاه, و كان من هدي علي أنه يخرج بدرَّته في الفجر يوقظ الناس لصلاة الفجر. فابتدره قيل قبل الصلاة و قيل في أثناء الصلاة و قيل بعد الصلاة بسيفه على رأسه فقتله, و قد كان قد قال علي أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال له: "**تَخْتَضِبُ هَـذِهِ مِن هَذِهِ**". يعني بدم رأسه رضي الله عنه و أرضاه.

فسقط عليًّا مدرَّجاً بدمائه شهيدا رضي الله عنه و أرضاه كما وصفه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شهد له بالشهادة.

أتى الخبر لأم كلثوم بنت علي بمقتل أبيها فبكت و قالت: "مَـالِي وَ لِلصُّبح, مَالِي وَ لِصَلَاةِ الصُبحِ, قُتِلَ زَوجِـي عُمَر فِي صَلَاةِ الغَـدَاة و قُتِلَ أَبِي عَليّ فِي صَلَاةِ الغَدَاة". و سمعت امرأة تقول في المدينة:

يـا ليتهـا إذ فـدت عَمـراً بخـارجة   فدت عليًّا بمـن شـاءت من البشـر

و لكن هكذا شاء الله و هكذا قدّر الله سبحانه و تعالى لأصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لسائر الخلفاء الراشدين بالشهادة إلّا الصدّيق رضي الله عنه و أرضاه و قد روي أنه مات مسموما رضي الله عنه و أرضاه.

فمات عليّ رضي الله عنه و أرضاه بالشهادة كما سبقه لذلك عثمان و سبقه لذلك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه و أرضاه.

في عهد خلافته كان شديدا على من؟ على من يغلو فيه. و هذه رسالة أخيرة للشيعة الرافضة الذين يرفعون عليًّا من مرتبة البشرية إلى الألوهية و الربوبية.

أتى نفر من الناس إلى عليّ فقالوا: " أَنت هو, أَنتَ هُوَ!". قال: " وَ مَـن هُـوَ؟". قالوا: " أنت هو, أنت هو!". قال: "وَ مَن هُوَ؟". قالوا: "ربّـنا". فما كان من علي إلّا أن دعا قَنبرا, هكذا بفتح القاف, و أمره أن يخدّ الأخدود و يجمع الأخشاب و يضرم النار و ألقاهم في النار و قال:

إِنِّـي إِذَا رَأَيـتُ الأَمـرَ أَمراً مُنـكَراً   أَجَّجـتُ نَـارِي وَ دَعَـوتُ قَنـبَراً

لـما سمع بذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه و أرضاه كما عند البخاري, لم ينكر على عليّ قتل هاؤلاء الغلاة و إنّما أنكر عليه أنه حرّقهم بالنار, و هذه مسألة اجتهادية خلافية و قال أنّه سمع النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه يقول: **"لَا يُحَـرِّق بِـالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّــار"**. -سبحانه و تعالى-. فأنكر عليه هذه المسألة و هي التحريق, و هي مسألة خلافية بين الصحابة رضوان الله عليهم. كان أبو بكر يختار تحريق الـمرتدّين, و قد عهد إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه و أرضاه بتحريق المرتدين و أن يجعل لهم الحضائر من نار. و اختار ذلك أيضا علي بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه كما في هذا الحديث, و حمل بعض العلماء كما نقل عنهم الإمام ابن حجر رحمه الله, -حملوا قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"لَا يُعَذِّب بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّـار"**. أو قوله: **"إِنِّـي لَا أُعَـذِّبُ بِـالنَّـارِ"**.- على التواضع و ليس على التحريم. و المسألة لها بسط ليس هذا هو محل بحث هذه الـمسألة و إنما تُرجع إلى أبوابها من كتب الفقه و من كتب فقه الجهاد, فإذَن هذه عيِّنة يسيرة عن هذا الخليفة الراشدي المهديّ و هو عليّ رضي الله عنه و أرضاه.

و الله تبـــارك و تعـــالى أعلـــم

و صلّى الله و سلم على نبينا محمـد و على آلـه و صحبه أجمعـين

و جزاكم الله خـــيراً

الدَّرْسُ الخَامِسُ: طَلحَةُ بن عُبَيد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز من أطاعه مُذلّ من عصاه, و الصلاة و السلام على نبيه و مصطفاه و على آله و صحبه و من والاه.

أمّا بعد: فقد تكلمنا بفضله الله سبحانه و تعالى و منته عن أصحاب المكانة الرفيعة, عن الخلفاء الأربعة, عمّن كانوا وزراء لخير الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلّم, عن أفضل من طلعت عليهم الشمس بعد الأنبياء و المرسلين, عن أبي بكر و عمر و عثمان و علي. هاؤلاء هم أفضل الصحابة و القرابة.

قال الإمام عبد السلام اللاقاني و هو شيخ المالكية في زمنه: " أَفضَلُ الصّحابة أهلُ الحُدَيبِية, و أفضلُ أَهل الحُدَيبِية أَهلُ أُحُد, وَ أَفضَلُ أَهلِ أحُد أهلُ بَدر, و أَفضَلُ أَهل بَدر العَشَرَة المُبَشّرِينَ بالجنّة, و أفضَل العَشَرة الخُلَفَاء الأَربَعَة, وَ أفضَلُ الخُلَفَاءِ الأَربَعَة أَبو بكر الصدّيق رضي الله عنهم جَمِيعًا".

الشيعة الرافضة يزعمون أنهم يحبون عليّا و لكنّهم في الوقت ذاته يبغضون أبا بَكرٍ و عمر و عثمان. أمّا النّاصبة النواصب فيحبون أبا بكر و عمر و عثمان, ولكنهم في الوقت ذاته يبغضون عليًّا. أمّا الخوارج فيحبون أبا بكر و عمر و يبغضون عثمان و عليًّا. أمّا نحن فنسلك ما سلكه الأوائل من الأماثل من أصحاب الجادّة من اهل السنة و الجماعة من الفرقة الناجية أنهم يحبون الصحابة جميعا, و خاصة الخلفاء الراشدين المهديّين و هم في الوقت ذاته, أي أهل السنة و الجماعة, لا يتكلمون فيما شجر بين الصحابة و لا يخوضون في ذلك و لا ينتقصون أحدا منهم لا بالسلب و لا بالثلب و لا بالنقص, بل يعرفون لجميع أولائك حقّهم, كيف و نبيّهم صلى الله عليه و آله و سلم كما روى الشيخان أنّه قال: " **لَا تَسُبُّوا أَصحَابِي**".– "**لَا**

تَسُــبُّوا أَصــحَابِي, فَـوَ الَّذِي نَفسِي بِيَـدِهِ لَو أَنفَـقَ أَحَـدُكُم مِثـلَ أُحُـدٍ ذَهَـباً مَـا بَلَــغَ مُـدَّ أَحَدِهِم وَ لَا نَصِــيفَهُ".

تـأمّـلوا و تفكّروا, لو يكن لأحدٍ منكم مثل أحد ذهبا و لا يكسب مثل* هذا الذهب و لا يستودعه عنده بل ينفقه كله في سبيل الله سبحانه و تعالى, في طاعة الله سبحانه و تعالى على المساكين على الفقراء على المجاهدين على أسر الشهداء, ما بلغ مُدَّ أحدهم و لا نصيفة. هكذا قال الصادق المصدوق صلى الله عليه و آله و سلم.

و روى الإمام الطبراني و حسّنه الألبـاني أنّ النّبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: **"مَـن سَبَّ أَصــحَابِي فَعَـلَيهِ لَعنَـة اللهِ وَ المَلَائِكَة وَ النّاسِ أَجمَعِــين"**. فحذاري حذاري من هذه الورطة العظيمة.

و كما قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:

ثم السّــكوتُ واجـب عمّا جــرى　　　بينــهمُ مـن فـعل مـا قـــد قُــدِّرَ

ثم السكوت واجب –و ليس من الأمور المستحبّة أو المندوبة–.

ثـم السـكوت واجـب عما جـرى　　　بيـــنهـمُ مِـن فِعـل مـــا قـد قُـدّرَ

فَـــكـلّـُـهـــم مجـتـهـــدٌ مُـثـــاب　　　خـطـأُهـم يَــغـفـــره الـــوهّـــاب

*قلت (المُفَرّغ): في الدرس الصوتي الخامس لهذه السلسلة في الدقيق السابعة و الثانية ما بين الخامسة و الثلاثين و الحادية و الأربعين ثانية لم أفهم جيدا الكلمة التي قالها الشيخ تقبله الله و لذا اخترت أن أبَيّن ذلك, و لعله قال: "و لا يكسب مثل هذا الذهب" و هو ما نقلته في التفريغ إلّا أنني أرجو كما بينت في المقدّمة أنه إن كان هناك من خطأ نحوي أو إملائي أو أي خطأ في نقلي لهذا الدرس أو شيئا فاتني نقله و نحو ذلك لو قام أحد الأفاضل بتصحيحه و إعادة نشره مصححا فله ذلك و نرجو له الأجر و الثواب عند الله, كما أني أعتذر مرة ثانية من ضعف علمي و قوة جهلي فأسأل الله أن يرزقنا العلم النافع و العمل الصالح و الإخلاص في الأقوال و الأعمال.

سبحانه و تعالى.

قال صلى الله عليه و آله و سلم في الحديث الّذي أخرجاه في الصحيحين: " **إِذَا اجتَـهَـــدَ الحَـــاكِمُ فَـأَصَـابَ فَلَـــهُ أَجـرَان وَ إِذَا اجتَهَـــدَ فَـأَخطَـأَ فَلَـهُ أَجـرٌ**".

فالصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم في ما اجتهدوا هم يدورون بين الأجر و الأجرين, أولائك قوم قد حطّوا رحالهم في الجنّة فكيف يـأتي لكع بن لكع و يتكلم في أولائك الأعلام, في أولائك العظام رضي الله عنهم و أرضاهم.

إذن إن صحّ التعبير كما يُعبّرون في الوقت المعاصر فيقولون: "الصحـابة خطٌّ أَحَمـر". لا يُتجاوز هذا الخطّ. لِمَ؟ لأنّنا نقف عند ما قال الله و قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. و ليست هي من حظوظ النفس من أعجبني من الصحابة قبلته و رفعته أما من ليس كذلك فأطعن فيه و أسلب و أسب حاشا و حاشا.

إذَن هذه وقفة لا بدّ منها قبل أن نتجاوز الخلفاء الراشدين الأربعة إلى بقية العشرة المبشّرين بالجنة.

نحن اليوم و إياكم مع طلحة الخير, مع طلحة الجـود, مع طلحة الفيّـاض رضي الله عنه و أرضاه.

هذا الصحابي الجليل هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر القرشي التيمي. كان ربعة من الرجال, لا بالطويل و لا بالقصير و هو إلى القصر أقرب, كان أبيض قريب من الحمرة جميل الوجه كثير الشعر عريض ما بين المنكبين ضخم القدمين رضي الله عنه و أرضاه.

سافر إلى بصرى من أرض الشام –نسأل الله سبحانه و تعالى أن ينصر إخواننا من أهل الشام و أن يخلّصهم من الطواغيت و أهل الشرك و الإجرام, اللهم آمين– ذهب طلحة إلى الشام فالتقى هناك براهب من خيرة الرهبان, كان في صومعته فلما سمع بالقافلة قال: "هل فيهم من

أهل الحرم؟". قالوا: "نعم". فجيء له بطلحة فسأل طلحة, كما أخرج ذلك الإمام ابن سعد في الطبقات, قال: "هَل خَـرَجَ فِـيكم أَحمَـد؟". قال: "و مَن أَحمَـد؟". قال: " أَحمَـد بن عَبدِ الله". قال: "وَ مَـا شَـأنُه؟". قال: "هُوَ نَبِي وَ يَخرُجُ فِي هَذِهِ الأَيَّـام, يَخرُجُ إلى أرضِ الحَـرَّة و النَّخل".-يشير إلى المدينة-. فقال طلحة: "فَوقعَ ذَلِك فِي قَلبِي".

ثم لمـا عاد بعد أشهر إلى مكة كان أوّل ما سأل عنه: "هَل حَدَثَ مِن حَدَث؟". فقالوا: "نعم, محمّد الأمين تنبّأ و اتّبعه على ذلك ابن أبي قحافة". فقال طلحة: "وَ اللهِ لَا يَجتَمِعُ مُحمّدٌ وَ أَبو بَكرٍ عَلَى ضَلَالَة". -هكذا بقوله الرجيح- "و الله لا يجتمع محمد و أبو بكر على ضلالة!". فسار إلى أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه إذ هو من عشيرته و من أقاربه فكلاهما من بني تيم من قريش.

سار إليه فعرض أبو بكر عليه الإسلام فاستحسنه فأسلم. فكان بذلك ليس فقط من العشرة المبشّرين بالجنة بل كان كذلك من الثمانية السابقين بالإسلام الأوّلين من المهاجرين و كان من الستة أهل الشورى الذين أوكل عمر إليهم الشورى و قال: "هاؤلاء الذين مات رسول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- عنهم و هو راض". و كان من الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه.

لمّا أسلم لم يكن بمعزل عن العذاب و النكال الذي ينال الصحابة رضي الله عنهم و أرضاهم, فقام نوفل بن خويلد بأسر طلحة, و ربطه بالحبال, قيده بالحبال و أنزل عليه أصناف النكال حتى يرجع عن دينه, حتى يعود, حتى يراجع كما يتراجع اليوم الكثير و لا حول و لا قوّة إلّا بالله في زمن التراجعات.

فأبى و أصرّ و صبر و صابر على دين الله سبحانه و تعالى, كيف و قد لامس قلبه حلاوة الإيمان و سمع كلام الرحمن سبحانه و تعالى فثبت على الدين و كان مع النبي الأمين صلى الله

عليه و آله و سلم طيلة مكّة, يصيبه ما يصيب المسلمين, إلى أن أَذِنَ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالهجرة, فهاجر مع من هاجر إلى المدينة.

و في المدينة آخى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين طلحة و بين أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم جميعا.

في المدينة خرجت و ظهرت حقيقة معدن طلحة رضي الله عنه و أرضاه و الناس معادن كما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما عند الإمام البخاري: **"خِيَارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُم فِي الإِسلَامِ النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَ الفِضَّةِ"**.

كان طلحة من أرقى و أسمى تلك المعادن لا سيما في الشجاعة حيث كان مقداما.

في بدر أرسله النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو و سعيد بن زيد لمهمّة لكي يجسُّوا و يأتوا بخبر عير قريش, فلما ذهبوا فما رجعوا و آبُوا إلّا و قد وقعت معركة بدر, ففاتهم هذا الخير العظيم, فاتهم المشاركة المباشرة في غزوة بدر, و لكنهم شاركوا حيث أنهم ذهبوا في الإستطلاع و هذا عمل عسكري يتقدّم المعركة, فلمّا عاد النبي صلى الله عليه و آله و سلم من هذه الغزوة العظيمة, من غزوة الفرقان أعطاهم سهمهم في الغزوة, أعطاهم و قسم لهم القسم و السهم و الأجر فجعلهم من أهل بدر الذين قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهلِ بَدرٍ فَقَالَ اعمَلُوا مَا شِئتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم"**. رواه الشيخان.

تحسر طلحة و ندم لأنه لم يشارك المشاركة المباشرة في المعركة لـمَّا حمي الوطيس و لكنّ الله أخّره إلى غزوة أُحُد.

لـمَّا انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و التقى الجيشان و حمي الوطيس و ثار الغبار, عند ذلك كان طلحة من الثابتين حول رسول الله صلى الله عليه و آله و

سلم, قال صلى الله عليه و آله و سلم: **"لَقَـــد رَأيتُنِي فِي أُحُـدٍ وَ عَن يَمِــنِي جِـبرِيل وَ عَن يَسَــارِي طَلـحَة"**. رضي الله عن طلحة.

لمّا تقدّم المشركون في اتّجاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, قال النبي: **"مَـن لِلقَــومِ وَ لَـهُ الجَـــنَّة!"-"مَـن يَـدفَـع عَنَّـا القَـوم وَ لَـهُ الجَـنَّة!"**. و كان طلحة في اثني عشر رجل حول النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال طلحة: " أَنَـا". فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَــكَانَك"**. فقال: **"مَـن لِلقَــوم؟"** فقال رجل من الأنصار: " أَنـا". فقال: **"أَنتَ"**. فتقدّم الأنصاري بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يدفع عنه المشركين حتى قُتِل. فقال النبي صلى الله عليه و آله وسلم: **"مَن لِلقَــومِ"**. قال طلحة: " أَنَـا". قال النبي: **"مَــكـانَكَ! مَن لِلقَوم؟"**. فقام رجل من الأنصار و قال: " أنَا". فقال: **" أَنتَ"**. فتقدّم فقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى قُتل, و هكذا حتى لم يبق إلّا طلحة فقال طلحة: " أَنَـا أَدفَعهُم عَنك يَـا رَسُـولَ الله". فقال: **" أَنتَ"**. فتقدّمَ طلحة – رضي الله عن طلحة– فقاتل و أثخن في المشركين حتى نزل السيف على أصابعه فقطعها فقال طلحة: "حِسّ!".-تألّمَ رضي الله عنه و أرضاه– فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"وَ الَّذِي نَفسِي بِيَــدِهِ لَـو قُلـتَ بِســمِ الله لَـرَفَعَتـكَ المَـلَائِـكَة وَ النَّـاسُ يَنظُـرُونَ"**.

ثم لا زال طلحة يدفع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, أُصيبَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم في أُحُد و شُجَّ وجهه الشريف صلى الله عليه و آله و سلم, أراد أن يَرتقي صخرة فثقُلَ صلى الله عليه و آله و سلم من الإعياء و التعب و الجراح فأتى طلحة رضي الله عنه و أرضاه فنزل فصعد النبي صلى الله عليه و آله وسلم على ظهره حتى ارتقى الصخرة.

قال في حديث الزبير كما عند الإمام الترمذي رحمه الله: "فَلَمَّا استَوَى النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله و سلم على الصخرة قال: **" أَوجَــبَ طَلـحَة" – " أَوجَبَ طلحة!"**. -أي وجبت له الجنة لما قام به من تضحية و فداء لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و ليس فقط, بل كان يتلقى السهام بيده رضي الله عنه و أرضاه دون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, يذبّ عن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كما جاء عند البخاري أنه يده شلّاء للأسهم التي تصدّاها عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و دون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يصل له أحد بسهامه.

و اليوم قد وصل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعض الأوباش الأوشاب بكلامه و باستهزائه و بقوله على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, يصوّرون له الصور المسيئة بأبي هو و أمّي صلى الله عليه و آله و سلم, من يذبّ عن رسول الله؟ صلى الله عليه و آله و سلم.

كما جاء عند البخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف لمّا كان واقفا في الصفّ في بدر و إذا بغلامَين صغيرين, معاذ و معوَّذ, أحدهما عن يمينه و الآخر عن شماله: "يَـا عَمّ" -يقول الأوّل- فيلتفت و إذا به غلام صغير-و الغلام من الرجال ما لم يبلغ الحلم كما أنّ الجارية من النساء ما لم تبلغ الحلم- فقال: "نَعَم". قال: " أَينَ أَبُو جَـهل؟". قال: "وَ مَـا خَـطبُكَ مَعَهُ؟". قال: "سَمِعـتُ أَنَّـهُ يَسُبّ النَّبِيّ -صلى الله عليه و آله و سلم-". قال: "وَ مَـاذَا تَصـنَعُ بِهِ؟". قال: "وَ اللهِ لَا يُـفَارِقُ سَـوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يُقتَل الأعجَل مِنَّا". ثم غمزه الآخر عن شماله فقال له كما قال الأول, فبينما هو على ذلك إذ رأى أبـا جهل يصول بين النـاس. فقال: "هَذَا صَـاحِبُكُم الَّذِي تَسـأَلَانِ عَنه". فتقدّما كالصَّقرَين رضي الله عنهما و ابتدراه بالسيوف حتى قتلاه. هكذا كانوا يذبّون عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

كذلك فعل طلحة بن عبيد الله رحمه الله و رضي الله سبحانه و تعالى عنه.

كان من أوائل الذَّابِّين المدافعين المناصرين لرسول رب العالمين صلى الله عليه و آله و سلم. حتى أثخنته الجراح قالت ابنتاه: "قـد أُصِيبَ فِي أُحُـد أَكـثَر مِن أَربَعَ وَ عِشرِينَ جراحَة, مِنها مَا فِي رَأسِه وَ مِنها مَا فِي جَسَدِه, إِمَّـا ضَربَة بِسَيف أو طَعنَة بِرُمح أو رَميَة بِسَهم". كل ذلك لأجل دين الله و لأجل الذود عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. حتى قال الرسول

صلى الله عليه و آله و سلم عن طلحة: **"مَــن أَرَادَ أَن يَـرَى شَـهِيداً يَمشِــي عَلَى الأَرضِ فَلْيَنظُرُ إِلَى طَلحَـة"**.- **"مَــن أَرَادَ أَن يَـرَى شَـهِيداً يَمشِــي عَلَى الأَرضِ فَليَنظُر إِلَى طَلحَـة"**. كما رواه الإمام الترمذي رحمه الله.

بل قال صلى الله عليه و آله و سلم في قول الله تعالى: {مِنَ الـمُؤمِنِينَ رِجَـالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيهِ، فَمِنهُم مَن قَضَى نَحبَهُ وَ مِنهُم مَن يَنتظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبدِيلاً}. قال صلى الله عليه و آله و سلم: **"طَـلحَـة مِمَّن قَضَى نَحـبَهُ"**. رواه الترمذي.

كيف ذلك؟ كيف قضى نحبه و هو حي بين الصحابة, لم يقتل في تلك الغزوة, في تلك الغَزَاة. قالوا: قال بعض الشراح كما في تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي: "قالوا بأنّه بَذَلَ أقصَى جُهدَه و بَذَل نَفسه في سَبِل الله و لكنّ الله سبحانه و تعالى لم يقدّر له أن يُقتَل فِي تِلكَ المعرَكة".

"طلحة ممن قضى نَحبه". هكذا قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

و قال كما عند الترمذي: **"طَـلحَـة وَ الـزُّبَــير جَـارَايَ فِي الجَــنَّة"-"جَـارَايَ فِي الجَنَّة!"**. و الحديث فيه ضعف و إن كان أخرجه الحاكم و قال صحيح الإسناد.

و كما أنّ طلحة من الشجعان من الفرسان الذين خاضوا جميع المشاهد و جميع الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و مع أبي بكر و مع عمر و مع عثمان من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم, كذلك كان من الكرماء, من كرماء قريش في الإسلام و كما قالت العرب: "الشجاعة و الكرم صنوان"-"الشجاعة و الكرم صنوان!". قلّما يتخلّف الكرم عن الشجاع و قلّما تتخلّف الشجاعة عن الكريم و أقصى غايات الجود أن يجود المرء بنفسه في سبيل الله سبحانه و تعالى {إِنَّ اللهَ اشتَرَى مِنَ الـمُؤمِنِينَ أَنفُسَهُم وَ أَموَالَهُم }

طلحة كان سخيًّا, كان باذلا لماله في سبيل الله سبحانه و تعالى, لذلك أطلق النبي صلى الله عليه و آله و سلم عليه و أسماه بِطَلحَـةَ الخَـيرِ و كذلك بِطَلحَـةَ الجود. و لمّا اشترى بأمواله بئراً و جعلها للمسلمين أسماه النبي صلى الله عليه آله و سلم بطَلـحَةَ الفَيَّـاض. يفيض من أمواله على المسلمين, على المساكين, على الفقراء, على المجاهدين, و البذل في سبيل الله سبحانه و تعالى قد حثّنا الله سبحانه و تعالى عليه و حثّنا النبي صلى الله عليه و آله و سلم عليه في نصوص كثيرة أشهر من أن تُذكر. فاليوم نجد أُناساً ضَحُّوا بالغالي و الرخيص في سبيل الدّفاع عن هذا الدين, بذلوا المُهَج لأجل سلامة المنهج, بذلوا الدماء و للأسف هناك أناس ممن فتح الله سبحانه و تعالى عليهم في الخطوط الخلفية يشحّون ببعض الدراهم, يشحّون ببعض الأموال التي استخلفهم الله عليها, التي هي أمانة في أعناقهم, يبخلون بها عن المجاهدين و عن المساكين و عن الفقراء و عن المحتاجين. شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لمّا سُؤِلَ عن تلك المسألة: إذا أعطينا المجاهدين من الأموال مات الجياع, أيُّهُما نُقَدِّم؟ قال: "يُعطَى المجـاهِدُون وَ إن مَـاتَ الجِيَـاع". -و إن مات الجياع!-. و للأسف البعض من آخر أولويّاته اليوم أن يعطي بعض أمواله للمجاهدين أو بعض زكواته للمجاهدين, تجده يساهم هنا و هناك و لكنّه يغفل عن هذا الخير العظيم. الصحابة رضي الله تبارك و تعالى عليهم و عنه ما كانوا يغضّون الطرف عن هذا الميدان. كانوا يساهمون بأنفسهم كما يساهمون بألسنتهم كما يساهمون بأموالهم, كما قال صلى الله عليه و آله و سلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: **"جَـاهِدُوا المُشرِكِينَ بِـأَمـوَالِـكُم وَ أَلسِنَتِـكُم وَ أنفُسِـكُم"**.

طلحة كان من بين أولائك الذين يجاهدون بأموالهم يبذلون في الغزوات, حينما ينتدب النبي صلى الله عليه و آله و سلم للتجهيز يبذل طلحة و ليس فقط بل حتى يبذل على المساكين و يبذل على إخوانه رضي الله عنه و أرضاه.

و مَـرَّةً أتاه مال مِن حَضرَمَوت, أتاه سبعُمِأة ألف من الأموال فبات تلك الليلة متململا فسألته زوجته و هي أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, و هي من

التابعيات الجليلات. سألته عن سبب ذلك الأرق, فقال: " أَتَـانِي مَـالٌ مِن حَضرَمَوت, أَتَانِي سَبعُمِأة أَلف". فقالت له: " أَينَ أَنتَ مِن أَخِـلَّائِكَ؟" –"أين أنت من أخلائك, تُفَرِّق الأموَال عَلَيهِم!". فَأُعجِبَ لِرأيها و قال: "نِعـمَ مَـا قُـلتِ". تَأمّـلوا إلى الزّوجات الصالحات كيف يأمرن أزوجهن بالإنفاق و بالسخاء و بالكرم ليس كبعض النساء اللواتي يأمرن أزواجهنّ بالشُّحِ و البخل و عدم الإنفاق, و هذا ليس بغريب على أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. هي من بيت كرم و من بيت سخاء و ليست بمعزل عن أخواتها, عن أم المؤمنين عائشة و عن أسماء ذات النطاقَين رضي الله عنهن. عائشة ما كان المال يمكث في يدها, أيّ مال تحصل عليه تفرّقه في سبيل الله. أمّا أسمـاء فكانت تُجَمِّع المال ثُمّ تبذُلهُ فِي سَبِيل الله. عائشة تبذل المال و إن كان قليلا: **"اتَّقُوا النَّار و لَو بِشُحِّ تَمرَة"*, "وَ رُبَّ دِرهَـم سَبَـقَ أَلفَ دِرهَـم"**. و لكنَّ أسمـاء بنت أبي بكر رضي الله عنها و أرضاها كانت تجمع ثم تتصدّق و تخرج هذه الأموال, كذلك كانت أمّ كلثوم بنت أبي بكر زوجة طلحة بن عبيد الله, الطيّبات للطيّبين. فأُعجِبَ بِرَأيِهَا و حصافتها, فلمّا كان من صبيحة الغد فرّقَ جَمِيع الأموال على المهاجرين و الأنصار.

كذلك أتاه رجل و سأله بعض المال فقال: "وَ اللهِ مَـا عِندِي إلَّا حَـائِط".-أي بستان-. قال: "وَ قَد عَرَضَ عَلَيَّ عُـثمَان بن عَفَّان أَن يَشتريه مِنّي بِكَذَا وَ كَذَا ألف". قال: "فَـإن رَأَيتَ أَن أُعطِيكَ الحَـائِط أَو أَبِيعَهُ عَلَى عُـثمَان وَ أُعطِيَكَ الثَّمَن". قال: "الثمن". فباعه على عثمان و أعطاه الثمن.

---

*قلت (المفرّغ): هكذا تلفَّظ الشيخ رحمه الله تعالى في درسه الخامس في الدقيقة السابعة و الثلاثين في الثانية ما بين الخامسة و الأربعين و الخامسة و الخمسين فقال "اتقوا النار و لو بشح تمرة" "بشح" أي باء فشين فحاء و الله أعلم, و لعل الأصل هو "اتَّقُوا النَّارَ وَ لَو بِشقِّ تَمرَة, فَمَن لَم يَجِد فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَة". و رواه البخاري و مسلم, و اخترت أن أتركه كما هو و بإذن الله أسأل الله أن ييسر من حضر الدرس و أُجيز فيه فيصحح لنا أو محقق للحديث أو أحدا يبين لنا الصواب.

هكذا هي نبذة يسيرة من سخاء طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه و أرضاه, طلحة الفيّاض كما أسماه النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

عاش في كنف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مدافعا عن هذا الدين, ثابتا على هذا الدين إلى أن استُخلِفَ الصّدِّيق رضي الله عنه و أرضاه.

كذلك كان في حياة الصديق ثم في حياة عمر ثم في حياة عثمان, و قربت حياة طلحة و شارفت على الإنتهاء, و لكنها ما كانت لتذهب دون قتل و قتال, ما كان له أن يموت على فراشه كما يموت البعير.

كما قال الزبير: "نَحـنُ أُمَّـةٌ لَا نَمُـوتُ إلَّا قَتلَى فمَالِي أَرَى الفُرُشَ قَد كَثُرَ عَلَيها الأموَاتُ".

طلحة بن عبيد الله الذي زكاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شهد له بالشهادة, شهد له كما مر معنا من حديث الترمذي: **"مَـن أَرَادَ أَن يَـنظُرَ إِلَى شَهِـيدٍ يَمشِـي عَلَى الأَرضِ فَليَنظُر إِلَى طَلحَة"**. و شهد له كذلك في رواية أبي هريرة كما في الصحيحين أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم لمّا صَعِدَ الجَـبَل, الحديث المشهور, كان معه كما في حديث أبي هريرة: أبو بكر و همر و عثمان و علي و طلحة و الزبير, فلمّا ارتجّ الجبل قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: " **أُثبُـت! فَمَـا عَلَيـكَ إلَّا نَبِيّ أَو صِدّيـقٌ أَو شَهِـيدُ**".

فأَبو بكر صِدِّيق رضي الله عنه و أرضاه, و عُمَر و عثمان و علي و طلحة و الزبير من الشهداء.

و مِن اللطيف أنّهم كانوا يحرصون على أن يتأسّوا بالأنبياء و الشهداء.

جلس مَرَّة طلحة مع الزبير, و دائما إذا يُذكَر طَلحة يُذكر الزبير و إذا يُذكر الزبير يُذكَر طلحة رضي الله عنهم و أرضاهم. مرة جلسا معاً فقال طلحة للزبير: " أَنَـا أَسمَيتُ أبنَائي بِأسمَاءِ

الأنبياءِ وَ أَنتَ أَسمَيتَ أَبنَاءكَ بِـأَسمَـاءِ الشُّهَدَاءِ". فقال له الزبير: "وَ لَكِنِّي أطمَحُ أَن يَكُونَ أَبنَـائِي مِنَ الشُّهَدَاءِ فَهَل تَطمَحُ أن يَكُونَ أَبنَـاءكَ مِنَ الأنبِيَاءِ؟". -هذه من الملاطفة كما روى ذلك الإمام ابن حجر رحمه الله في كتاب الأدب مِن شرحه لصحيح البخاري-.

طلحة بن عبيد الله لـمّا وقع ما وقع لعثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه تَـأَلَّمَ لأجلِ ذلك و لِجَرَّاءِ ذلك فخرج مع الزبير و مع أُمِّ المُؤمنـين عَـائِشَـة و عبد الله بن الـزبـير, للطلب بدم عثمان. رآه قبيسة بن جـابر, رأى طلحة مهموما مغموما فسأله عن ذلك, عن سبب هذا الهمّ الذي هو فيه فقال: "وَ مَـالِي لَا أهتَمُّ وَ قَـد كُنَّا يَداً وَاحِـدَةً وَ أصبَحنَا جَبَلَينِ مِن حَدِيدٍ يَزحَفُ هَذَا إلى هَذَا وَ هَـذَا إِلَى هَذَا". -فهذا هو سبب همّ طلحة رضي الله عنه و أرضاه, أنّه يقاتل في الفتنة- و لكِنَّهُ قال: "وَقَعَ مـا وَقَـعَ لِـعُثمَانَ و لَا نَرى أَن نُكَفِّرَ ذَلِكَ إلَّا بِـإِرَاقَـةِ دِمَـائِنَا". كان يرى نفسه قد قصّرَ في الذود و الدفاع عن عثمان, يرى نفسه أنه لم يقم بحقِّ عثمان, يرى نفسه أنه لربّما تخاذل في نصرة عثمان, رضي الله عنهم جميعا, فلذلك خرج في الطلب بدم عثمان و اجتهد في ذلك و قال: "اللَّهُـمَّ خُـذ لِعُثمَانَ مِن دَمِي اليَومَ حَتَّى تَرضَى".-"اللهم خذ لعثمان من دمي اليوم حتى ترضى!". فوقع ما وقع في معركة الجمل, و اقتتل الفريقان.

في أثناء ذلك استدعاه علي رضي الله عنه و أرضاه, فلمّا أتى عنده قال له عليّ: " أَسـأَلُكَ بِـاللهِ, أَلَـم تَسـمَع رَسُـول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: " **الـلَّـهُمَّ مَـن كُـنتُ مَـولَاهُ فَـهَذَا عَـلِيٌّ مَـولاهُ**". قال: "اللهمَّ نَعَم". قال: "فَـكَيفَ خَـرَجتَ".-"فكيف خرجت!"-. قال: "لَمَ أَذكُـر". -و كان الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم من الوقّـافين عند حدود الله, إذا ذُكِّـروا تذَكَّروا و لم تـأخُذهم العزة بـالإثم و لم تأخذهم الأنفة و التكبّر على الحقّ-. فرجع طلحة رضي الله عنه و أرضاه و ترك المعركة, فأتاه سهم قدّره الله سبحانه و تعالى فوقع في ركبته فنزف طلحة رضي الله عنه و أرضاه حتى مات شهيداً. قيل أنّ صاحب السهم

هو مـروان بن الحـكم, و قيل هو غيره, و رجّح الإمام ابن كثير كما في البداية و النهاية أنه ليس مروان بن الحكم لأسباب و استبعد ذلك.

فلمّا انتهت المعركة مرّ علي رضي الله عنه و أرضاه على طلحة مجندلا بدمائه فنزل علي رضي الله عنه و أرضاه و مسح عن طلحة الغبار و قال: "يَـعِزُّ عَلَيَّ أبـا مُحمَّـد أَن أَرَاكَ مُجنـدَلاً".- "يعز علي أبا محمد أن أراك مجندلا!"-. و بكى و قال: "يَـا لَيتَنِي مِتُّ قَبلَ هَـذَا بِعشرِينَ سَنَـة".-"يا ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة!"-. هذا هو الودّ بين الصحابة و القرابة, ليس كما يصوّرِه أولائك الشراذم بأنهم كانوا على عِداء و على جفاء و يسب بعضهم بعضاً إلى آخره.

اجتهدوا و أخطأوا و البعض منهم اجتهد و أصاب.

بكى عليّ رضي الله عنه و أرضاه على طلحة لمحبّته له, و ليس كذلك, بل لـمَّا أتاه ابنه عمران بن طلحة بن عبيد الله و دخل على علي رضي الله عنه و أرضاه فرح لأجل ذلك عليّ و قرّبه و أدناه و قال: "إِنَّنِي لأَرجُو أَن أَكُـونَ أَنـا وَ أبـاك و الزُّبَـير مِمَّن قَـالَ الله سبحانَهُ وَ تَعَالَى عَنهُم {وَ نَزَعنَا مَـا فِي صُـــدُورِهِم مِن غِـلٍّ إِخـوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ }.

هكذا يرجو علي رضي الله عنه و أرضاه لتعلم سلامة صدره رضي الله عنه و أرضاه على بقية الصحابة و أن لم يكن بينهم إلَّا بعض الإجتهادات رضي الله عنهم و أرضاهم.

كذلك إن كان بينهم ما يصوِّره الرافضة الشيعة فنقول لهم كيف و على ما تزوج الحسن بن علي بـأُمّ الحارث بنت طلحة بن عبيد الله. إن كان في طلحة ما تقولون من النقيصة فكيف يتزوج الحسن بن علي رضي الله عنهما بابنة طلحة و أنتم تزعمون أن الحسن من المعصومين, فيلزم على هذا القول, و إن كُنّا لا نُقِرّ به و لكن نُلزِمُهم بما ألزموا به أنفسهم, على هذا القول يلزمكم أن تُزَكُّوا طلحة و آل طلحة رضي الله عنه و أرضاه.

فهذه شذرات تتعلق بهذه السيرة, تكلمنا بإيجازٍ و كلمات مختصر, نسأل الله سبحانه و تعالى أن يبارك فيها و أن يكتبنا ممن يحبّ أصحاب نبيه و يترضّى عليهم, كما قال الإمام الذهبي رحمه الله كما في سير أعلام النبلاء: "اللهمّ إنّا نُشهِدُكَ أنّا نُحبّ أصحَابَ نَبِيّكَ وَ أنّا نُبغِض مَن قَتَلَهُم". -كمَن قَتَلَ طَلحَة وَ مَن قَتَلَ الزُّبَير وَ مَن قَتَلَ عَلِيّ بن أَبِي طَالِب رضي الله عنه و أرضاه-.

علي قال عن طلحة: "بَشِّر قَاتِلَ طَلحَة بِالنَّار".

كما قال عن قاتل الزبير: "بَشِّر قَاتِلَ ابنَ صَفِيَّة بِالنَّارِ".

رضي الله عنهم جميعا.

و الله تبارك و تعالى أعلم

و صلى الله و سلّم على نبيّنا مُحمَّد و على آله و صحبه أجمعين

و جزاكم الله خيرا.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: الزُّبَيرُ بن العَوَّام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معزّ من أطاعه مذلّ من عصاه و الصلاة و السلام على نبيه و مصطفاه و على آله و صحبه و من والاه.

أمَّا بعد: فقد كما قد تكلّمنا في الدرس الماضي عن طلحة الخير, عن طلحة الجود, عن طلحة الفيّاض, رضي الله سبحانه و تعالى عليه و عنه.

و اليوم نتكلم عن رجل لا يُذكر طلحة إلّا و يُردَف معهُ, هو و طلحة كفرسي رهان في السن و في القدر و المنزلة و الشجاعة و الكرم.

نتكلّم في هذه الليلة عن المهاجري, عن الحواري رضي الله عنه و أرضاه, نتكلم عن الزبير بن العوّام.

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي رضي الله عنه و أرضاه. ولِدَ قَبل البعثة بثمان سنين, قيل إنه ولد و طلحة و علي و سعد في نفس العام, في نفس السنة.

أُمّه عمّة النبي صلى الله عليه و آله و سلم صفيّة بنت عبد المطّلب, و ما أدراكم من صفية المؤمنة الصحابية المهاجرة. لمّا حصلت غزوة الأحزاب, غزوة الخندق, لمّا تألّب الكفار و الفجار على النبي المختار صلى الله عليه و آله و سلم و على المهاجرين و الأنصار أراد اليهود أن ينقضوا كعادتهم, أن ينقضوا العهود.

فأرسلوا طليعة ليروا هل في المدينة من رجال حتى يطمأِنُّوا, و كما قيل:

خــلا لَكِ الجَــوّ فبيــضي و اصفــري   و نــقّــري مــا شئــت أن تنقّــري

اليهود لا يقاتلون المسلمين إلّا على حين غِرّة يتحينون الفرص.

فتقدّمت تلك الطليعة من يهود إلى حصن للمسلمين, به نساء المسلمين, و ليس فيه من الرجال إلا حسان بن ثابت رضي الله عنه و أرضاه و كان كبيرا في السن. فتقدّم أشقى اليهود لينظر هل في هذا الحصن من رجال. فلما دخل كمنت له صفية خلف الباب بعمود من حديد فضربته على رأسه حتى أردته فأخذت السكين فذبحته, قطعت رأسه, ثم رمت برأسه من فوق الحصن فتدحرج على أصحابه فقالوا لمّا رأوا رأس صاحبهم الحصن مملوء من الرجال.

لذلك يقول بعض الشيوخ المعاصرين من شيوخنا: "نَحنُ لَا نُريد رِجَالاً كَأبي بكرٍ و عُمرَ و عُثمانَ و عليٍّ, بل نريد رجالاً كصَفيَّة". رضي الله عن صفيّة, نعم كصفية, ثمّ ذكر هذه الواقعة.

لكم أن تتصوّروا بعد ذلك كيف نشّأت صفية ابنها الزبير رضي الله عنه و أرضاه.

الزبير نشأ يتيما, تكفّل به عمه نوفل بن خويلد, و كانت أمّه تحبسه في الظلام حتى يطلق الخوف طلاقا ثلاثا, بينونة كبرى لا رَجعَة له بعدها.

كانت تشدّ عليه و تقسو عليه لا كرها فيه و إنّما لمّا قيل لها في ذلك قالت: " أَصنَعُ مِنه رَجُلا".-"أصنع منه رجلا!"-.

لمّا كان غلاما صغيرا تشاجر هو مع أحد أقرانه من الصبية فكسر له يده!

الزبير الذي نشأ هذه النشأة التي هي بعيدة كل البعد عن الترف و عن الرخاء و عن اللّين, لمّا بُعِث و أُرسلَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان من أوائل من أسلم و أوائل من آمن على الرغم من حداثة سنه رضي الله عنه.

آمن و أسلم على يد من؟ على يد أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه و أرضاه, و كما مرّ معنا أنه قد أسلم على يد أبي بكر الصديق: عثمان و طلحة و الزبير و عبد الرحمن و سعد و كلهم من العشرة المبشرين بالجنة.

أسلم و هو حدث صغير عمره لم يتجاوز الثامنة, و اتبع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و لم يبالي ما يصيبه من جرّاء ذلك. {أَحَسِبَ النَّـاسُ أَن يُترَكُوا أَن يَقُـــولُوا آمَنَّا وَ هُم لَا يُفتَنُون} أي, و هم لا يُختَبَرُون, لَا يُمتَحَنُون.

امتُحِنَ الزبير على الرغم من حداثة سنّه, إلَّا أنّ عمه لم يأخذ به رأفة, شفقة, فلفّه في حصير و علّقه و أشعل النار من تحته يُدَخّن عليه و يقول له: " أُكفُر بربّ محمد أدرأ عنك العذاب" فيقول الزبير رضي الله عنه و أرضاه: "وَ اللهِ لَا أَرجِعُ إلَى الكُفرِ أبَدًا".-"و الله لا أرجع إلى الكفر أبدا!"-.

و ما هي إلّا كسحابة صيف, و هكذا الإبتلاءات يعقبها الرخاء و يعقبها التمكين, كل محنة بعدها بإذن الله منحة, كل نقمة بعدها بإذن الله نعمة, لكن من يظفر, من يفوز؟ هم الـمُتّقون!.

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول كما في الحديث, حديث ابن عباس الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله يقول: **"إِنَّ النَّصــرَ مَـعَ الصَّــبرِ"**. و قال الله سبحانه و تعالى: {فَـإِنَّ مَـعَ العُســـرِ يُسراً إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً} لذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ".

فبعد ذلك كان ما كان من فترة العذاب و النكال بالزبير رضي الله عنه و أرضاه إلّا أنه أصرّ و صبر و صابر حتّى سُرّي عنه.

و في أثناء حياته في مكة نفحت نفحة من الشيطان, قيل ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قد أُسِرَ, قد أُخِذَ فَسار الزبير متوشّحاً سلاحه و قد سلّ سيفه يبحث عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في أرجاء مكة.

كم كان عمره آنذاك؟ كان ابن اثنتي عشرة سنة! لذلك من رءاه و هو على تلك الحال يقولون: "الغلام الغلام!". و بيده السيف. "الغلام الغلام". و بيده السيف. فلمّا التقى بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم في أعلى مكة سأله النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن ذلك, عن صنيعه ذلك, قال: "بَـلَغَنِي يَـا رَسُــولَ اللهِ أَنَّكَ أُخِذتَ". قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: "**وَ مَــاذَا تَفعَـلُ فِي مَـن أَخَــذَنِي؟**". قال: " أَضرِبُهُ بِسَيفِي هَذَا".-"أضربه بسيفي هذا!"-. و في رواية قال: " أَعرِضُ أَهــلَ مَـكَّة عَلَـيهِ". -أي, يسير في أهل مكة بالتقتيل بسيفه رضي الله عنه الصقيل-. كما روى ذلك الإمام الحاكم رحمه الله في مستدركه و الإمام أبو نُعَيم في الحلية.

فدعا النبي صلى الله عليه و آله وسلم للزبير و لسيف الزبير! فكان كما قال سعيد بن المسيّب: " أَوَّلُ سَيفٍ سُلَّ فِي الإِسلَامِ سَيف الزّبَير بن العوَّام".-رضي الله عنه و أرضاه-.

و كفى بها منقبة جليلة في الذود عن سيد الأنام صلى الله عليه و آله و سلم.

عاش في كنف النبي صلى الله عليه و آله و سلم و معه إلى وقت الهجرة, هاجر إلى المدينة و قد كان قد هاجر قبلها إلى الحبشة, و لكنّه لم يطل المكث هناك, عاد ثم أيضا هاجر إلى المدينة. تأمّلوا في هذا الشاب الصغير كيف يترك بلده مسقط رأسه إلى ديار لا يعرفها. لأجل مذا؟ هل لأجل الدنيا؟ لأجل دين الله, لأجل رفع كلمة الله, فهاجر إلى المدينة و قد تزوّج بأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها و عن أبيها. ذات النطاقين, فولدت له عبد الله. تأمّلوا, الزبير كما مرّ معنا سمى أبناءه بأسماء الشهداء, يطمح و يأمل أن يكون أبناءه من الشهداء, و كان كذلك لأغلبهم فهو سمى عبد الله و به يكنى على عبد الله بن جحش, و سمى جعفر على جعفر الطيار, جعفر بن أبي طالب, و سمى مصعب على مصعب بن عمير و هكذا.

أبناء الزبير كانوا كما رجا لهم من المكانة و الفضل في جين الله سبحانه و تعالى. جلس مرة عبد الله بن الزبير مع مصعب بن الزبير مع عروة بن الزبير مع عبد الله بن عمر عند الكعبة, فقيل: "تَمَنَّوا". فقال عبد الله بن الزبير: " أمّـا أنـا فَأتَمَـنّى الخِـلَافَة". و قال مصعب: "وَ أَمَّـا أنَـا فَأَتَمَـنَّى إمرَة العِـراقِ وَ الزَّواجُ بِسُكَينة بنت الحُسَـين". و قال عروة: " أَمَّـا أَنَـا فَـأَتَمَنَّى أَن يُحمَلَ عَنِّي العِلم وَ الحدِيث". و قال عبد الله بن عمر: "وَ أَمَّـا أنَـا فَـأَتَمَنَّى أَن يَغفِرَ اللهُ لِي". كما ذكر ذلك الإمام الذهبي رحمه الله في السير في المجلد الرابع.

و حدث و حصل لكلٍّ منهم ما يأمل و يرجو, و أمّا عبد الله بن عمر فبإذن الله قد نال مغفرة الله سبحانه و تعالى.

أمّا عبد الله بن الزبير فقد حصلت له الخلافة, و كما أسماه الإمام ابن حزم رحمه الله: "سَـادِسُ الخلفاء الراشدين". مَن الخامس؟ من يستحضر الخامس؟* الحسن بن علي! خامس الخلفاء الراشدين, هو الحسن بن علي, أمّا ما يذكر عن عمر بن عبد العزيز فهذا من قبيل المجاز لا الحقيقة لصلاحه و لسيره على ما سار عليه الخلفاء الراشدون. فأسماه الإمام ابن حزم رحمه الله بسادس الخلفاء الراشديس لعدله و صلاحه و تقواه.

و كذلك مصعب حصلت له الإمرة على العراق و الزواج ببنت الحسين.

و عروة من أكثر من نقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن من قبله من الصحابة أو عن خالته أم المؤمنين عائشة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

---

*كان الشيخ رحمه الله كثيرَ ما يختبر الجالسين له في دروسه و شروحه و محاضراته و هنا نلاحظ أنّه يسأل الحاضرين و يختبر ذكاءهم و ثقافتهم في تاريخ الإسلام, و هو أسلوب جيّد لإفادة من جهل معلومة أو أكثر و هو بسؤال و جواب حتى ترسخ في قلوب المستمعين, كما أنها طريقة جيّدة في إثبات تركيز الحاضرين في الدرس و عدم سهوهم آنذاك, و لعلكم تلاحظون ذلك في أكثر من درس من دروسه رحمه الله, و في بعض الأحيان كان يجيز الناس بهدية و نحو ذلك من كتب حتى تعلو همتهم, فجزاه الله خيرا و رحمه الله و تقبله و جعله في علّيين آمين.

فهاؤلاء من أبناء الزبير بن العوام رضي الله عنه و أرضاه و كما تعلمون مما جاء عند البخاري و قد بوّب عليه الإمام البخاري رحمه الله كما في كتاب الجهاد من صحيحه: "بَـابُ مَن طَـلَبَ الـوَلَد للجِهـادِ فِي سَبِيلِ اللهِ". و أخرج فيه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قصة سليمان بن داود عليهما السلام أنّه قال: "لَأَطُـوفَنَّ اللّيلَة عَلى مِأة امرَأَة"–أو قال–"عَلَى تِسعٍ وَ تِسعينَ امرأة كُلّهُنَّ يَـأتِي بِمجَاهِدٍ يجاهِدُ فِي سبِيلِ الله". فكان هذا مطلبه و هذه أمنيته, و كما قال العلّامة ابن القيّم رحمه الله: "مِن أَعظَمِ البِرِّ الجِهَـادُ فِي سَبِيلِ الله". لِمَ؟ لأنّه قد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما عند أبي داود أنّ الشّهيد يَشفع لسبعين من أهل بيته, هكذا كان يرجو الزبير بن العوّام في تسميته لأبنائه بأسماء الشهداء.

و للأسف تجد البعض اليوم يسمّي أبناءه و فلذات كبده بأسماء المُغنّين, بأسماء اللّاعبين, بأسماء الممثّلين و يترك أسماء الأنبياء و المرسلين, أسماء الشهداء و المجاهدين, أسماء الصحابة و القرابة, رضي الله عنهم أجمعين.

العرب تقول: "لِكُلٍّ له مِن اسمِهِ نَصِيب". و "العناوِينُ تدُلُّ عَلَى المضَامِن".–غالبا–.

و النبي صلى الله عليه و آله و سلم عمد إلى تغيير الأسماء إلى الأسماء الحسنة, كما بوّبَ لذلك الإمام ابن القيّم رحمه الله في ((تُحفَة المَودود فِي أحكَـامِ المَولود)).

الزبير بن العوام اهتمّ لأجل ذلك و ليس فقط بل نافس أبناءه في الجهاد و في البذل و في التضحية و أخيراً في الشهادة. أمّا في الجهاد فلا يُشَقّ له غبار.

في بدر كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم و من معه عنده فرسان, فرس عليه الزبير بن العوام في ميمنة الجيش و فرس عليه المقداد بن الأسود في ميسرة الجيش. و قاتل الزبير في بدر و أبلى بلاءً حسناً حتى قتل عددا من المشركين, منهم السائب بن أبي السائب, و منهم عمه نوفل بن خويلد, هذا الرجل الكافر الذي كان ممن يصدون عن سبيل الله, يصدون عن دين الله, يبذلون و يجتهدون في محاربة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تصدّى له ابن أخيه

الزبير بن العوّام رضي الله عنه و أرضاه فقتل عمّه, و هكذا تكون أسمى صور البراء من المشركين و الولاء للمؤمنين.

في أُحُـد لـمّا انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان هو في المقدّمة يذبّ عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و في ختام هذه الغزوة في آخر غزوة أحد بعد أن حصل ما حصل انتدب النبي صلى الله عليه و آله و سلم مجموعة من فرسان المسلمين و جعل عليهم أبا بكر و الزبير, كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها و أرضاها لـمّا حدّثت ابن أُختها عروة بن الزبير, ابن أسماء, قالت له: "إِنّ أَبَواكَ"–أي أبا بكر و الزبير–"كَـانَا مِمَّن قال الله فيهم"–"كانوا مِمَّن قَال اللهُ فِيهِم {الَّذِينَ استَجَابُواْ لِلَّهِ وَ الرَّسُـــولِ مِن بَعدِ مَا أَصَـــابَهُمُ القَرح }". فانتُدِب الزبير و انتُدب الصديق, جعلهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم على سبعين من أصحابه يتبعون جيش قريش. لِـمَ؟ حتى لا يظنّ أولائك أنّ بالمؤمنين الضّعف, أنه قد حلّ بالمؤمنين الضعف, فتبعوهم, فلمّا بلغ الخبر إلى قريش أسرعوا فارّين إلى مكة و قد علموا أن بالمسلمين قوّة إذ أنّهم اتبعوهم حتى بعد تلك الغزوة.

كذلك كان الزبير في عامّة غزوات النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

في فتح مكة أعطاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم لواء سعد بن عُبادة, فدخل مكة بلوائين, و هذه أيضاً من مناقبه.

في حنين لـمّا انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تقدّم الزبير مدافعا عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

قبل ذلك في غزوة الأحزاب في غزوة الخندق, لـمّا تألّب من تألّب على رسول الله, قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَـن يَـأتِيـنِي بِخَـبَرِ بَـنِي قُـرَيظَةَ"**. فقال الزبير: " أَنَـا". قالها ثانيةً. قال الزبير: " أَنَـا". ثالثةً. قال الزبير: " أَنَـا". فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم:

"إِنَّ لِـكُلِّ نَبِـيٍّ حَـوَارِي, وَ حَـوَارِيّ الـزُّبَـير".

فالزبير من حواري رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما جاء ذلك الحديث عند البخاري و مسلم.

و كذلك جاء في بعض رواياته أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: "**الزُّبَـيرُ ابنُ عَمَّـتِي وَ حَـــوَارِيّ مِـن أُمَّــتِي**".

الله سبحانه و تعالى يقول {يَـأَيُّهَـــا الذِينَ آمَنُوا كُـــونُوا أَنصَـارَ اللهِ كَمَـا قَالَ عِيسَى ابنُ مَريَمَ لِلحَـوَارِيِّينَ مَن أَنصَـارِي إِلَى اللهِ، قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحنُ أَنصَارُ اللهِ } .

سُمِّيَ الحواريُّون بهذا الإسم من لبسهم للبياض كما قيل, لذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما عند الحاكم في مستدركه عن ابن عباس مرفوعا قال: "إلبَسُـــوا مِـن ثِيَـابِـكُم البَيَـاض وَ كَفِّـنُوا فِـيهِ مَوتَـاكُم فَـإِنَّهُ مِن خَــيرِ ثِيَابِكُم".

و قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه و أرضاه: "إِنِّي أُحِبُّ القَـارِئَ أبيَضَ الثِّيَاب".

مَـا معنى الحـــواري؟ الذي كان من بين من تُسمي بهذا الإسم بشهادة النبي صلى الله عليه و آله و سلم الزبير بن العوام, الحواري هو خالص الأصحاب, هو من خاصة الخاصة, النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال عن الزبير: "**وَ حَـــوَارِيّ الــزُّبَـــيرُ**". فأكرم بها من منقبة عظيمة جليلة للزبير بن العـوّام.

كذلك في حديث عبد الله بن الزبير لـمّا أخبر أباه بـأنه كان ينظر إليه يصول في القوم و هو من فوق الأطُمّ, مِن فوق الحصن في غزوة الأحزاب, هو و عمر بن أبي سلمة كانا لم يتجاوزا الثلاث سنين, عبد الله بن الزبير و أحد أقرانه, كلٌّ منهم يضع اليد للآخر فيعتلي الحصن فينظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقاتلون و يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

قال عبد الله بن الزبير لأبيه: "رَأَيتُكَ تَصُولُ فِي القَومِ". فقال: "يَا بُنَيّ فِي هَذا اليَومِ فَدَّانِي رَسُول الله -صلى الله عليه و آله و سلم- و جَمَعَ لِي أبَوَيهِ".-أي قال له فداك أبي و أُمّي-. قتأمّل و تفكر في هذه المنقبة العظيمة في هذه المنزلة التي بلغها الزبير رضي الله عنه و أرضاه حيث أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم يجمع له أبَوَيهِ.

و لم يكن الزبير رضي الله عنه و أرضاه بمنأى عن الكرم, بمنأى عن البذل في سبيل الله سبحانه و تعالى. باع بيتا بستمأة ألف, فقيل له في ذلك, قيل له لقد غُبِنتَ فقال: " أَمَا وَ اللهِ لَم أُغبَن, بل جَعَلتُهُ فِي سَبيلِ اللهِ". قالوا له إنك خسر في هذه الصفقة إذ أنّ البيت يسوى و يستحق أكثر من ذلك بكثير فقال: "لم أُغبن, لا و اللهِ, بَل جعلته في سبيل الله".

الزبير قيل أن عنده ألف من المماليك, من المملوكين, كلٌّ منهم يعطيه خراجه لا يصل إلى بيته إلا و قد فرّق تلك الأموال على من يستحقها, على من يستحقها من المؤمنين و المساكين و الفقراء و المجاهدين. يبذل تلك الأموال الطائلة في سبيل الله سبحانه و تعالى.

و هكذا كان طيلة حياته, حتى لمّا تُوفّيَ و قُتِلَ شهيداً كان عليه من الديون الشيء الكثير, قيل أكثر من ألفَي ألف! يعني أكثر من مليونين! و قد قال لابنه عبد الله في معركة الجمل كما سيأتي معنا و أوصاه, قال له: "سَدِّد دُيُونِي, فَإن لَم تَستَطِع فَاستَعِن بِمَولَايَ". تعجّب عبد الله و قال: "مَن مَولَاكَ؟" فقال: "اللهُ سُبحانهُ و تعَالَى مَولاي, نِعمَ المَولَى وَ نِعمَ النَّصِير". قال عبد الله: "فَمَا وَجَدتُ كُربَةً فِي سَدَادِ دَينِ أبي فَأستَعِنُ بِمَولَاهُ إلَّا وَ يَقضِيهَا".-سبحانه و تعالى-.

الزبير بن العوام رضي الله عنه و أرضاه كما أسلفنا شهد الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و المشاهد كلّها.

بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم ينتهِ بَذلهُ رضي الله عنه, لم ينتهِ عطَاؤه رضي الله عنه, بل شارك في القتال و في الفتوحات حتى شارك في الغزوة العظيمة, في المعركة العظيمة التي

كانت بين المسلمين و بين الروم و هي اليرموك, و أبلى فيها بلاءً حسناً, قيل انه اخترق جيش الكفّار مرتين من أوله إلى آخره و يعود حتى أُصيب في قفاه رضي الله عنه و أرضاه, و قيل انه كان يضرب بسيفين و كان يضع ابنه عبد الله يمسك بلجام الفرس و يضرب بسيفين فيخترق صفوف المشركين حتى يخرج من الجهة المقابلة و يعود, و قيل انه جعل ابنه عبد الله على فرس لوحده يقاتل و أوكل به من يراه و ابنه عبد الله آنذاك لم يتجاوز العاشرة من عمره.

الزبير بن العوّام رضي الله عنه و أرضاه مرة ضرب أحد المشركين على رأسه و عليه المِغفَر فلم يقف السيف إلّا عند سرج الخيل, شقّه نصفين, فقيل له في ذلك: "مَـا أجود سيفـك!". فغضب الزبير, يعني العمل ليس عمل السيف و إنما عمل الذراع و يد الزبير رضي الله عنه و أرضاه.

و أتت أيام الشهادة للزبير بن العوام رضي الله عنه و أرضاه, و كما مر معنا في الدروس الآنفة أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال على الجبل: " **أُثبُت فَمَـا عَلَيـكَ إِلَّا نَبِيّ و صِدِّيق و شَهِيد**". كما في رواية أبي هريرة عند مسلم, و كان معه الزبير رضي الله عنه و أرضاه.

خرج الزبير مجتهدا مع من خرج في معركة الجمل و حصل القتال بينه و بين علي رضي الله عنه و أرضاه. في أثناء ذلك القتال قال له علي رضي الله عنه و أرضاه: "نَـاشَدتُـكَ أَلَـم تَـسمَـع النبي صلى الله عليه و آله و سلم قَالَ لَك مَرَّةً: "**يَـا زُبَــير, أَتُحِــبُّ عَـلِيًّا؟**". فقلتَ: "يَـا أبَا عبدِ الله وَ كَيفَ لَا أُحِبُّه وَ هُو ابن خَـالتِي وَ ابن عَمِّي وَ مِن أَبنَـاءِ دِينِي". فقال لك النبي صلى الله عليه و آله و سلم: "**كَيفَ أنتَ حِينَـمَا تُقَـاتِلهُ وَ أَنتَ لَهُ ظالِمٍ**".-"**و أنت له ظالم**"-. فتذكّر الزبير لما ذُكِّر فخرج و اعتزل المعركة, فلما كان بواد السباع لحق به عمرو بن جرموس فقتله غدراً, و أنّى له أن يقتل الزبير مواجهةً, قيل قتله و هو نائم, و قيل قتله و هو في الصلاة. فأتى يُبشّر عليّاً بـأنّه قتل الزبير, فقال علي رضي الله عنه و أرضاه بعدما زجره و طرده: "بَشِّــرُوا قَـاتِلَ ابنَ صَفِـيَّةَ بِـالنَّارِ, بَشِّـرُوا قَـاتِـلَ ابنَ صَـفِيَّة بِـالنَّار!". فلمّا بلغه ذلك

قيل أنه انتحر و قتل نفسه و قيل أنه أطال الله في عمره حتى بلغ في خلافة عبد الله بن الزبير, فظفر به مصعب رضي اللع عنه و أرضاه فأرسل يستفتي أخـاه, يستفتي عبد الله بن الزبير عن ذلك, هل يقتله بالزبير؟ فقال عبد الله بن الزبير: " أَأَنَّـا أَقتُـلُ هَـذَا بِـالزُّبَـــير؟ لَا وَ اللهِ وَ لَا بِشِسعِ نَعلِهِ". –"و لا بشسع نعله!"–.

لـمَّا رأى عليّ رضي الله عنه و أرضاه سيف الزبير استعبر و قال: "كَـم ذَبَّ وَ دَفَـعَ الـكُرُبَـات عَن وَجـهِ رَسُولِ اللهِ".–صلى الله عليه و آله و سلم–. دفع الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم!

هذا أنموذج عن حياة هذا البطل الفذّ الشهم الفاضل الكريم و هو الزبير بن العوام رضي الله عنه و أرضاه, رجاء أن نتأسّى به و نتأسّى بغيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و الله تبارك و تعالى أعلم

و صلى الله و سلم على نبيّنا محمّد و على آله و صحبه أجمعين

و جزاكـم الله خـــــيراً

الدَّرْسُ السَّـابِعُ: عَبدُ الرَّحمَن بن عَوف

بِســـمِ اللَّـهِ الـرَّحمَـــــنِ الرَّحِـــــيمِ

الحمد لله معزّ من أطاعه مذلّ من عصاه و الصلاة و السلام على نبيه و مصطفاه و على آله و صحبه و من والاه.

أمّـا بعد: فقد كنا تكلمنا في الدرس المنصرم عن أسدٍ من آساد الإسلام و عن رمزٍ و علَمٍ من الأعلام ألا و هو الزبير بن العـوّام رضي الله عنه و أرضاه, الذي ذبّ و دافع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى قال سفـيان الـثّوري رحمه الله: "النَّجـدَة فِي الصَّـحَابَةِ ثَـلَاثَـةٌ: حَمـــزَة وَ عَـلِيّ وَ الزُّبَــير". هاؤلاء الثلاثة في وقت الشدائد في وقت المحن في المعارك في الملاحم في القتال هاؤلاء هو الـمُبَرَّزون من بين سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, حتى قال من رأى الزبير أنّ في صدره أمثال العيون من الطعان و الرمي, بل كان ابنه عروة لطالما يدخل يده في بعض جراح أبيه يلعب في تلك الجراح, و كما تعلمون أنّ الجراح و الكلوم هي وِسام الشهداء! إذا افتخر أُناسٌ من الأقزام ببعض الأوسمة كالنجوم و التيجان و الأشرطة و الشُّرط و نحو ذلك فإنّ وسام الشهداء هي الجراح, الكلوم! فَسَل نفسك يا عبد الله, و الكلام موجّه للعبد الفقير أوّلا*, كم وسام تحمل من تلك الأوسمة؟ أخشى على نفسي و على كثيرٍ من المسلمين أن يعود الطرف حسيرا كسيرا.

ذاك هو الزبير رضي الله عنه و أرضاه و قد كنا تكلمنا عنه ببعض ما جاء في سيرته.

أمّا هذه الليلة فنحن و إياكم مع الغني الشاكر, كثير من المسلمين يكون من قبيل الغني الكافر, أو التاجر الفاجر الذي كما روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: **"كُلُّ تَاجِرٍ فَاجِر, إلّا مَن بَرَّ وَ صَدَّقَ وَ اتَّقَى"**. و في رواية: **"يُبعَثُ التُّجَّارُ يَومَ القِيَامَةِ فُجَّاراً إلَّا مَن اتَّقَى و صَدَّقَ وَ بَرَّ"**.

ممن اتقى و صدّق و برّ ما نحن و إياكم في موعد مع ذكره بشيء مما عنَّ لنا.

و هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث القرشي الزهري رضي الله عنه و أرضاه. وُلِدَ بعد عام الفيل بعشر سنين, يعني هو أصغر من النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلم بعشر سنين.

عاش و نشأ في مكّة كما عاش غيره من الأوّلين السابقين إلى أن بُعِثَ إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فكان من الأوائل, كان ثامن ثمانية يسلم و يذعن لما جاء به صلى الله عليه و آله و سلم.

أسلم و آمن على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه, و كم في صحائف أبي بكر رضي الله عنه و أرضاه من الأجور و الحسنات, لربّما الواحد منا منذ أن يعلم و يعرف طريق الهداية إلى أن يموت, إلى أن يُوارى إلى أن يشب, إلى أن يشيب, و هو لا يدعو غيره إلى الدين, إلى الطريق, إلى الصراط المستقيم و النهج القويم. هو كالماء الطاهر, طاهر في نفسه غير مطهر لغيره. لا بدّ أن نكون كالماء الطّهور طاهر في نفسه مطهّر لغيره, مطهر المجتمع من الأدران و النجس سواء منه ما يتعلق بالسياسة أو بالاقتصاد أو بالاجتماع أو بكل نواحي الدين.

أسلم و آمن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه و أرضاه, و لما تقدم للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و ذكر له عن اسمه و كان اسمه آنذاك في الجاهلية: عبد عمرو و قيل عبد الكعبة و قيل عبد الحارث. فأسماه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و غيّر اسمه من هذا التعبيد لغير الله

إلى التعبيد لله سبحانه و تعالى. فأسماه بعبد الرحمن و هذا فيه تغيير الأسماء إلى الأسماء الحسنة. لِمَ؟ لأن الإسم يدل على المسمى و يؤثر على المسمى غاية التأثير حتى جاء عن سعيد بن المسيب بن حزن أنه قال عن جده حزن أنه أتى إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فسأله النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن اسمه فقال: "حَـزَن". فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"بَـل أَنـتَ سَـهل"**. غَيَّرَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم اسمه من حزن إلى سهل و لكنه لعله رأى أن يستمر على ذلك الإسم أو مضى الناس على ذلك الإسم و هو حزن فقال حفيده و هو سعيد: "لَا تَـزَالُ الحُزُونَـة فِينَا أَهلَ بَيتِهِ".

فإذَن الإسم يَدُلّ على المسمى, و لإسم يُؤَثر على المسمى, فالله الله! في اختيار الأسماء الحسنة كما قال صلى الله عليه و آله و سلم فيما روي عنه: **"أَحَبُّ الأسمـاءُ إلَى اللهِ عَبدُ اللهِ وَ عَبدُ الرَّحمَـنِ وَ أَصـدَقُهَـا الحَـارِثُ وَ هَمَّـام وَ أَبغَضُـهَا حَـرب وَ مُـرَّة"**.

فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم هو الذي سمى هذا الصحابي بعبد الرحمـن.

نشأ على الإسلام و عاش على الإسلام في الفترة المكية في العهد المكي و لم يكن بمنأى عن سائر أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم الغرباء في ذلك الحين من التعذيب و النكال و المضايقة.

تجدون أننا كلما نُعرّج على صحابي من هاؤلاء العشرة نذكر أنه ابتُلي في بداية الطريق و عُذِّب و كان له النصيب من التعذيب. الله سبحانه و تعالى أليس بقادر على أن يدفع عن أولائك الكوكبة المؤمنة؟ أليس بقـادرٍ أن ينصرهم في بداية الطريق و أن يمكن لأولائك؟ بلى و لكنّ الله سبحانه و تعالى من حكمته أنه يمحّص و يمتحن و يختبر لعلم علم الظهور, و إلّا هو يعلم جلّ في علاه, ما ستأول إليه الأحداث, ليعلم علم الظهور للناس من هو الصادق, من هو الكاذب و لا بدّ في بداية الطريق من ابتلاء قبل التمكين.

لمّا سؤل الإمام الشافعي رحمه الله: " أَيُبتَلَى المرء أم يُمَـكَّن؟". قال: "لَا يُمَــكَّنُ حَتَّى يُبتَــلَى". –"لا يمكن حتى يُبتلى!"–. و كما قيل: "النّعيم لا يُدرَك بِـالنَّعيم".–"النعيم لا يُدرك بالنعيم!".–. و قيل: "الهناء لا يُدرَكُ إلَّا بـالعَنَاء".–"الهناء لا يُدرك إلّا بالعناء!".– سواء كان هذا الهناء من هناء الدنيا أو الآخرة أو منهما جميعا! و قيل أيضا: "مَن لَمَ تَكُن لَه بِدايَة مُحرِقة لَم تَكُن لَه نِهايَة مُشرِقَة".

هكذا هو الطريق, تتبع سير أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم واحدا واحدا, ما منهم إلا و قد ابتُلي في بداية الطريق ثُمّ انظر ما آل إليه في آخر الطريق سواء في الدنيا أو في الآخرة.

كما قال الإمام أحمد رحمه الله لَمّا قِيلَ لَه مَتى الراحة, متى ترتاح؟ قال: "عِندَ أوّل قَدَم نَضَعهَا فِي الجنّـة". و كما قال شيخه الإمام الشافعي رحمه الله: "الرَّاحـةُ للرِّجـالِ غَفلَةٌ".

إذَن عبد الرحمن لم يكن بمنأى عن أولائك الرجال, فناله ما ناله في بداية الدعوة مما آلَ بهِ إلى أن يشدّ الرحال, إلى أين؟ إلى الحبشة في الهجرة الأولى, هاجر و ترك الأحباب و الأصحاب و الديار إلى أرض الحبشة, إلى أرضٍ يعبد الله سبحانه و تعالى فيها. ثمّ مكث مع بقيّة من هاجر هنالك حتى عاد إلى مكة و بعدها هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة.

و هناك آخى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين عبد الرحمن بن عوف و بين سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي رضي الله عنهم جميعا كما آخى بين غيره من المهاجرين و الأنصار, و كان من معالم الأخوة, و تأمّلوُا إلى أي درجة وصلت, أنه إذا مات أحدهما يرثه الآخر و هكذا العكس بالعكس ثمّ نُسِخَ هذا الحكم و بقيت المناصرة و المؤازرة و التظافر بينهم رضي الله عنهم.

أوّل ما نزل عنده, هل تضجّر سعد؟ حاشاه حاشاه! بل ضرب أروع الأمثلة في التضحية و الإيثار و هذا من عادة الأنصار رضي الله عنهم و أرضاه, الذين من صفاتهم يحبُّون من هاجر

إليهم. -تَـأمّل- هم من سينزل أولائك الأقوام الذين فرُّوا بدينهم, لا مال لا جاه لا سلطان و نزلوا عندهم. هم من يقوم على طعامهم, شرابهم, إيوائهم, و مع ذلك يحبونهم.

يـا ضَيـفَـنا لَـو جـئتنا لـوَجَـدتنا نحـن الضّيــوف و أنت رب المنــزل

هكذا كان الأنصار رضي الله عنهم جميعا.

سعد بن الربيع رضي الله عنه و أرضاه كان من أغنى الأنصار, قال له: " أُشَـاطِرك مَـالِي".- "الحـائِطُ -البستان- لَكَ نِصفَهُ وَ لِي النِّصفَ الآخَر". -و ليس فقك, ليس هذا هو العجب, بل العجب أنه يقول له-: "لِي زَوجَتَـانِ أُطَلِّـقُ أَحسَنـهُمَا لَك وَ تَتَزَوَّجها". قال عبد الرحمن رضي الله عنه و أرضاه و لم يكن كبعض الأقوام من الإستغلاليين الذين يتنهزون الفرص, لا بل عنده من الأنَفَة و الرِّفعة و عزّة المؤمن, قال له: "بَـارَكَ اللهُ لَك فِي أهلِكَ و بَـارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَـالِكَ, دُلَّنِي عَلى السُّوق". هكذا أجابه عبد الرحمن رضي الله عنه و أرضاه فدلّه على السوق فذهب فتاجر شيئا فشيئا حتى فتح الله سبحانه و تعالى عليه كما روى ذلك الإمام ابن هشام في السيرة.

لَـمّا فتح الله عليه في بداية تجارته تزوّج على نوى من ذهب, فقال له النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما صحّ عنه أولم و لو بشاة. إذا نال الإنسان شيء من السعادة و الفرح يشرع له أن يشرك إخوانه في هذا الفرح, في هذا السرور لذلك شُرِعت الوليمة في العرس و الإجابة لها من الأمور الواجبة كما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم في الصحيح: **"وَ إِذَا دَعَـاكَ فَـأَجِب"**. و نصّ العلماء رحمهم الله على أنّ إجابة وليمة العرس واجبة.

ثمّ أصبح من أثرياء و أغنياء الصحابة حتى قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيما رواه الطبراني و غيره أنّه كان في الجنّة فسمع خشبة فسأل فإذا هو بلال, رضي الله عن بلال, قال: **"فَـاستَبطَأتُ عَبدَ الـرَّحمَـن بن عَوف"**.-رضي الله عنه و أرضاه-**"حَـتَّى أَيِستُ"**-قال- **"فَـإِذَا هُو مُقبِـلٌ قلت: عبد الرحمن"**. قال: "بِـأبي أنت و أُمِّي يَـا رَسُول الله". قال:

"ظَنَنــتُ أَن لَا أَرَاكَ أَبَــداً". قال: "لِكَثرَةِ مَـالِي أُحَـاسَبُ عَلَيهِ وَ أُمَحَّص". لكثرة ما عنده من أموال رضي الله عنه و أرضاه كان يُسألُ. لذلك الفقراء من هذه الأمة هم أوّل من يدخلون الجنّة, أمّا الأغنياء فيحاسبون, كما جاء عند الترمذي و غيره من حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: **"لَا تَـزُولُ قَـدَمَـا عَبدٍ يَـومَ القِيـامَةِ حَتّى يُسأل عَن أَربَــعٍ: عن شَبَابِهِ فِيمـا أبلَاهُ وَ عَن عُمرِهِ فِيمَا أَفنَـاهُ"**-و في رواية-**"عَــن جَسَدِهِ فِيمَا أَبـلَاهُ و عَن عُمُرِهِ فِـيمَا أفنَـاهُ وَ عَن مَـالِهِ مِن أَينَ اكتَسَبَهُ وَ فِيما أَنفَقَهُ وَ عَـن عِلمِـهِ مَـاذَا عَمِلَ بِهِ"**.

فيُسأل عن ماله من أين اكتسبه, إن كان اكتسبه من حل أو غير ذلك و فيما أنفقه, أنفقه في الحرام أم أنفقه في الحلال أم أنفقه في الطاعة كما هي عادة عبد الرحمن بن عوف في أغل أمواله كما سيأتي معنا إن شاء الله سبحانه و تعالى.

عبد الرحمن بن عوف كان كما أسلفنا أغلب أمواله من التجارة حتى قيل لو تاجر بالرمل لربح من ذلك. فكان تاجرا حاذقا, ففتح الله سبحانه و تعالى عليه لما أخذ بالأسباب. و التوكُّل ليس هو التواكل, عبد الرحمن لم يتواكل على سعد بن الربيع, و إنما توكل على الله و أخذ بـالأسباب ففتح الله سبحانه و تعالى عليه. و جرّاء هذا الفتح لا بدّ من شكر للنّعمة, فكان عبد الرحمن من الشاكرين لنعم الرحمن جل في علاه. فقيل تصدق في بداية الأمر بشطر ماله, بأربعة آلاف, فقال بعض المنافقين: "إنّ عبد الرحمن لعظيم الرّياء". هكذا يطعنون في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و فيمن بعدهم فـأنزل الله سبحانه و تعالى كما قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله: {الذِينَ يَلمِزُونَ المُطَّوّعِينَ مِنَ الـمُؤمِنِـينَ فِي الصَّدَقَاتِ}. فهاؤلاء المنافقون في كل زمان و مكان يطعنون و يثلبون و يسبون و يتنقصون و و يهمزون و يلمزون في عباد الله الصالحين, إن بذلوا قالوا رياء, و إن أسرُّوا بـأُعطياتهم و صدقاتهم كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة, السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **"وَ رَجُــل أَنفَـقَ نَفَقَـة بِشِمَـالِهِ حَتَّى لَا تعلَم يَمِينه"**. و هذا يسمى

في المصطلح بالحديث المقلوب و الأصل "بِيَمِينه حَتَّى لَا تَعلَم شِمَـاله". فإذا أنفق سِرًّا قالوا هذا رجل شحيح, إذا أنفق جهرة قالوا هذا رجل مُرائي و هكذا.

إذا كتب و صنّف المصنّفات في الذي عن دين الله لا سيما في زمن الإستضعاف بكنى و أسماء مستعارة قالوا هذا رجل جبان, و إذا صرّح باسمه و تكلّم و كتب باسمه قالوا هذا رجل عميل, و هكذا لا يسلم أبداً من كلام الناس, لذلك روي, يقال عن جُحا, و لكن لا نحبّ أن نسمي و نذكر عن جُحى بالسُّوء, لِمَ؟ لأن الإمام الذهبي رحمه الله ذكر جحى في التابعين, فإذن لا تجوز غيبته رحمه الله, قال كان من التابعين و كان له جيران من المخنّثين يضعون عليه الأقاصيص و الأكاذيب و الأمور الطريفة و المضحكة, ثم اشتهر شيئا فشيئا بالطرائف و المضحكات, و قيل لا, كان في شبابه نعم يفعل الأمور المضحكة و نحو ذلك ثم بعد ذلك عاد و طلب الحديث و قيل أخذ العلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه و أرضاه.

إذن يُذكر عن رجل أنّه سار مع ابنه هو راكب لحمار و ابنه يمشي فمرّ على أناس فقالوا: "انظروا إلى هذا الرجل, لَيس فِي قَلبه رحمة, هو يركَب و ابنه يمشي". فنزل و أصعد ابنه على الحمار فساروا فمرّوا بقوم آخرين فقالوا: "انظروا إلى هذا الإبن العاق يركب و يترك أباه يمشي". فركب الأب و الإبن معا على الحمار, فمرُّوا على قومٍ فقالوا: "يَـا لقسَاوَةِ هاؤلاء أَتعَبوا الدّابّة, لم يرحموا الدّابَّة". فنزل الأب و الإبن من الحمار و مشوا فمرُّوا بقوم فقالوا: "يَـا لغباءِ هَـاؤلاء, الله سبحانه و تعالى سخّر لهم دابّة و يتركونها و يمشون".

إذن لا نجاة من كلام الناس و لكن عليك بحديث عائشة لمَّا أرسلت إلى معاوية بن أبي سفيان كما في السُّنَن: "مَـن طَـلَبَ رِضَى اللهِ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَ أَرضى عَنهُ النَّاس, وَ مَن طَلَبَ رِضَى النّاس فِي سَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيهِ وَ أسخَـطَ عَـلَيهِ النَّاس".

فاتُّهِمَ عبد الرحمن بـالرياء و العياذ بالله, كذلك روي عنه رضي الله عنه و أرضاه أنه أنفق بعد ذلك في سبيل الله أربعين ألف دينار, و بذل خمسمأة فرس في سبيل الله و حمل على خمسمأة

راحلة في سبيل الله, و ابتاع بيتا -أو- و ابتاع حائطا بثلاثين ألف دينار, أو قيل بثلاثمأة ألف دينار فوزّع تلك الأموال الطّـائلة على الفقراء من بني زهرة و على المهاجرين, و أيضا على من؟ على أمّهات المؤمنين.

فلمّـا أتى نصيب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- إليها قالت: "مِمَّن هَـذَا؟". قيل: "من عبد الرحمن". قالت: "رَحِـمَ الله عَبدَ الـرَّحمَـن وَ سَقَـاهُ السَّلسَبِيل فِي الجَنَّةِ, سَمِـعتُ مِنَ النَّبِيّ صلى اللهُ عَلَيه و آله وَ سلّم أَنَّهُ قَـال: **"لَا يَحِـنُّ عَلَـيكُنَّ إِلَّا الصَّـادِقُونَ"**. رواه الإمام أحمد في مسنده. الذي يحنّ على أمهات المؤمنين و يعطف عليهنّ و يذب عليهن هو من الصادقين, بنصّ حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم! فأين الذَّابُّـونَ اليوم عن عرض أمّ المؤمنين عائشة في مجابهة الشيعة الرافضة الذين استطالوا في عرض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام الحاكم رحمه الله و غيره عن أبي هريرة رضي الله عنه و أرضاه أنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم: **"خِـيَارُكُم خِـيَارُكُـم لِنِسَـائِي"**. فَلمّا سمع عبد الرحمن بن عوف هذا الحديث أعطى أمّهات المؤمنين حديقة عظيمة تُقَدّر بالآلاف. تصدّق و أحسن و أكرم أمّهات المؤمنين, لِمَ؟ لكي ينزل عليه هذا الحديث: **"خياركم"**. و فعلا و من خيار المسلمين, **"خِيَـارُكُـم خِـيَارُكُم لِنِسَـائِي"**. لذلك قال عمر لأم كلثوم بنت عقبة, زوجة من؟ زوجة عبد الرحمن بن عوف: " أَقَـالَ لَكِ رَسُول اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم: **انكِحِي سَيّد المُسلِمِينَ عَبد الرحمَـن بِن عَوف**؟". قالت: "نَـعم". -قالت: "نَعم!"-. رواه أبو نُعَيم و غيره*. بَل رواه الإمام البخاري في التاريخ الصغير و حديث أبي هريرة رواه أبو نعيم.

---

*قلت: في الدرس حرفيا بعد ذكره رواية الحديث عند أبي نعيم قال: "فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم" ثم تذكّر أنه كذلك رواه البخاري في التاريخ الصغير, فرأيت حذف تلك الألفاظ إذ لا فائدة في إبقائها. إن كنت مخطئاً عفا الله عني.

الشاهد, النبي صلى الله عليه و آله و سلم, نصّ على أن عبد الرحمن من سادات المسلمين, رضي الله عن عبد الرحمن.

و قصص أُعطيات عبد الرحمن كثيرة حتى قال عبد الله بن عوف: "كَـانَ أهلُ المَدِينَةِ عِيَالاً علَى عَبدِ الرحمن بن عَوف, يَقضِي الدَّين عَن ثُلُثِهِم وَ يُقرِضُ ثُلُثَهُم وَ يَصِل ثُـلُثاً". أي يَصِل أرحامه من المسلمين و يعطيهم الأعطيات رضي الله عنه و أرضاه و هم ثلث أهل المدينة ممن كانوا عيالاً على عبد الرحمن بن عوف, و قد مرّ معنا أنه كان يعطي أمّهات المؤمنين من جملة من يعطي رضي الله عنه و أرضاه.

و لم يكن عبد الرحمن بن عوف بمنأى عن العلم و العلماء, كان نعم من الأغنياء, كذلك كان من العلماء و كان يفتي في المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا ينكر ذلك النّبي صلى الله عليه و آله و سلم, فتأمّلوا في هذه المنقبة, و أعظم منها منقبة أخرى تدلّ على جلالته و تقدّمه و على علمه أيضاً, مـا هي؟ أنه جاء في صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة سؤِلَ: " أَصَـلَّى رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم خَلفَ أحَـدٍ مِن أُمَّـتِهِ غَـيرَ أَبِي بَـكرٍ؟". قال: "نَـعَم, صَـلَّى خَـلفَ عَـبد الرَّحمَـن بن عَـوفٍ".-رضي الله عنه و أرضاه-.

و ذلك في بعض أسفاره في صلاة الفجر, النبي صلى الله عليه و آله و سلم توضّأ فـأتى و حان وقت الصّـلاة فَـأمَّ بِـالمسلمين عبد الرحمن بن عوف فـأتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فـأدرك خلف عبد الرحمن رضي الله عنه ركعة و قضى ركعة صلى الله عليه و آله و سلم. و هذه منقبة عظيمة جليلة لعبد الرحمن بن عوف.

و على الرغم من علمه و على الرغم من غناه و ثراه إلّا أنه كان من المتواضعين, حتى قيل: "لَا يُعرَف عَبد الرَّحمن و لا يُمَيَّز مِن بَينِ عَبيدِه وَ غِلمَانه". لَا يُمَيَّز! هذا هو أم هذا أم هذا؟!

البغض اليوم يملك بعض الدنانير و يتكبر على الخلق أجمعين و لا حول و لا قوة إلا بالله. و النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد أخبر كما في صحيح مسلم: **"لَا يَـدخُـلُ الجَـنَّةَ مَـن كَـانَ فِي قَـلبِهِ مِثقَـالُ ذَرَّةٍ مِـن كِـبرٍ"**.

كان عبد الرحمن بعيدا كلّ البعد عن الكبر و عن العلوّ بل كان من المتواضعين. و مما يدلّ على تواضعه أنه لمَّا استخلفه و نصّ على اسمه الخليفة الراشد المهدي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه و أرضاه في جملة من نصّ من أهل الشورى الذين توفي النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو عنهم راضٍ لَمّا نصّ على اسمـه رضي الله عنه و أرضاه تنازل عن الإمرة و قال: "لَا رَغبَـةَ لِي فِيهَا وَ لَستُ أَهـلاً لَـهَا". -"و لست أهلا لها!"-. مع أنّ بعض الصحابة أرسل إليه كسعد رضي الله عنه و أرضاه يستحثّه على القيام بنفسه, أي للإمـرة, عبد الرحمن رضي الله عنه و أرضاه تواضع و نزل لله سبحانه و تعالى, و لما قال لعثمان و لعلي عن ذلك و عن تنازله و أنّه سيبايع من يراه الأصلح و الأقرب للقيام بهذه الأمّة قال له علي رضي الله عنه و أرضاه: " أَنَـا أَوَّلُ مَـن يَرضَى عَن ذَلِكَ إذ أَنّي سَمِعـتُ مِن رَسُـولِ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم أنّـهُ قَـال عنكَ أَنَّـكَ أَمِـينٌ فِي أَهـلِ السَّمـاءِ أَمِـينٌ فِي أهلِ الأَرضِ". كما رواه الإمام أحمد و في إسناده ضعف.

كان عبد الرحمن كما ذكرنا من الأغنياء الأثرياء, كذلك كان في ذات الوقت من العلماء الفقهاء, كذلك كان في نفس الوقت من الشجعان الفرسان الأبطال النّجباء.

و هذا الأمر تجده كثيراً فِي أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. تجد الواحد منهم يكون من العلماء و يكون من الأثرياء و يكون من المجاهدين و يكون من الشهداء, و مسألة التخصص في باب من أبواب العبادة دون أخرى لم تعرف تلك المعرفة في زمن الصحابة رضي الله عنهم و أرضاهم كما هو مشاهد في هذه الأيام من الإنفصام النكب, تجد المجاهد ليس من العلماء و ليس من طلبة العلم و لا يهتم في هذا الجانب, و تجد العالم ليس من

المجاهدين و لا يحدّث نفسه بالغزو. النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما عند مسلم قال: **"مَــن لَم يَغــزُ وَ لَم يُحَــدِّث نَفسَهُ بِغَـزوٍ مَــاتَ عَـلَى شُعـبَةٍ مِن نِفَاقٍ"**. أو **"مِنَ النِّفَـاقِ"**. أو كما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قال صلى الله عليه و آله و سلم كما عند مسلم أيضاً: **"مَـن سَـأَلَ اللهَ الشَّـهَادَةَ بِصِـدقٍ بَـلَّغَـهُ اللهُ مَنَـازِلَ الشُّـهَدَاءِ وَ لَـو مَـاتَ عَلَى فِـرَاشِهِ"**.

الصحابة رضي الله عنهم جميعا إذا استقرأت سيرهم و ترجمهم أوّل ما ترى و تقع عينك عليه: "شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم". – "غزا غزوة كذا و كذا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم". – "شهد بدراً, شهد الحديبية, شهد و شهد من المعارك و الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم".

و إنك حينما تعمد إلى تراجم الأخيار الأبرار النبلاء النجباء من هذا العصر أقصى ما تراه: "ألَّف كذا و كذا من الكتب, كتب كذا و كذا من الكتب, بنى و شارك و ساهم في بناء مسجد كذا و مستشفى كذا". كلها من أعمال البر, و أعمال الخير, و لكنهم بمعزل عن ذرة السنام, كما قال صلى الله عليه و آله و سلم في حديث معاذ الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله: " **أَلَا أَدُلُّـكَ عَلَى رَأسِ الأمـرِ وَ عَمُـودِهِ وَ ذِروَةُ سَنَـامِهِ"**. قال: **"رَأسُ الأَمـرِ الإِسـلَامِ وَ عَمُـودِهِ الصَّــلَاة وَ ذِروَةُ سَنَـامِهِ الجِـهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ"**. لذلك أطلق بعذ العلماء على هذه الشعيرة العظيمة وصف و لقب سقف الإسلام, إذا كانت الصلاة و الصيام و الحج و الزكاة أركان الإسلام, فالجهاد سقف الإسلام.

لم يكن عبد الرحمن بمنأى و معزل عن هذه الشعيرة العظيمة, بل كان في مقدّمة الصفوف مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, شهد الغزوات جميعَها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. شارك في بد و في غزوة بدر و قد مر معنا مرارا و تكرارا ما قاله النبي صلى الله

عليه و آله و سلم في هذه الغزوة الغظيمة: **"لَعَـلَّ اللهَ اطَّـلَعَ عَـلَى أهـلِ بَدرٍ فَقَـالَ اعمَـلُوا مَـا شِـئتُم فَقَـد غَفَـرتُ لَـكُم"**. كما جاء في الصحيحين.

لذلك لمَّا حدث بين خالد بن الوليد و عبد الرحمن بن عوف بعض الحوار كما روى ذلك الإمام البزَّار و قال: " أنتُم تَستَأثِرُونَ عَلَينَا بِأَيَّام". -أي في السبق بالإيمان-. فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم غضب و انتصر لعبد الرحمن فقال: **"دَعُـوا عَنـكُم أَصـحَابِي فَـوَالَّذِي نَفسِي بِيَـدِهِ لَـو أَنَّ أَحَدَكُم أنفَـقَ مِثـلَ أُحُـدٍ ذَهَـباً مَـا بَـلَغَ مُـدَّ أحَـدِهِم وَ لَا نَـصِـيفَهُ"**. و في رواية قال لخالد: **"يَـا خَـالِد دَع عنكَ عبد الرحمن فَـإنَّهُ مِن أَهـلِ بَـدرٍ"**.-**"فإنّه من أهل بدر!"**. رضي الله عنه و أرضاه.

كذلك شارك في غزوة أحـد كما شارك في سائر الغزوات, و في أُحُـد أبلى بلاءا حسنا حتى أُصيبَ بعشرين جراحة في سبيل الله سبحانه و تعالى. و أُسقِطَت و سَقَطَت ثنيّتاه رضي الله عنه و أرضاه, و هي الأسنان الأمامية, سقطت أين؟ في سبيل الله, في ساحات الوغى, و أصيب بالعرج لكثرة الإصابات الذي أُصيب في غزوة أُحد بها, لا سيما في رجله رضي الله عنه و أرضاه.

عاش منافحا مدافعا عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و شارك كما أسلفنا في سائر الغزوات, بل و عقد له النبي صلى الله عليه و آله و سلم اللِّواء في بعض السرايا كما جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فهذه خلاصة في سيرة هذا الرجل العظيم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, عاش إلى زمن عثمان بن عفان, و كان طيلة حياته من المبرّزين المقدَّمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث أن الصحابة يجلّونه و يعلمون له تلك المنزلة السامية السامقة التي عرفها له صلى الله عليه و آله و سلم و شهد له بها النبي صلى الله عليه و آله و سلم حتى أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه الذي عُرِف عنه كما في حديث أبي

سعيد من حديث الإستئذان أنه طلب و طالب بالشاهد على ما قال في حديث الإستئذان و لكنَّ عمر رضي الله عنه و أرضاه لمّا أشكلت عليه مسألة الجزية و ضرب الجزية على المجوس فتح عليه و شهد يومئذ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه و أرضاه بـأنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم أخذ الجزية من مجوس هَجـر. فلم يطالبه عمر بالشاهد على ما قال و بذلك تعلم أن أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم يتفاوتون. لذلك جاء عن علي رضي الله عنه كما روى ذلك الإمام البخـاري رحمـه الله أنّـه قال: "إِذَا حَـدَّثَنِي أَحَـدٌ مِن أَصحَـابِ رَسُـولِ اللهِ –صلى الله عليه و آله و سلم– أَستَحلِفُـهُ, وَ لَـكِن حَدَّثَنِي أَبُـو بَـكرٍ وَ صَـدَقَ أَبُـو بَـكرٍ".

لم يستحلف أبا بكر رضي الله عنه و أرضاه, إذ أن الصحابة كما أسلفنا يتميزون بالسبق و بالمنزلة, رضي الله عنهم جميعا. فكان عبد الرحمـن من أعلى تلك و في أعلى تلك المراتب.

في آخر حياته و على فـراش المـرض, بعثت لـه أُمُّ المُؤمِنِين عـائشة و خصَّتـه من سائر الأصحاب بالإذن بأن يُدفن مع رسول الله و مع أبي بكر و مع عمر رضي الله عن الشيخين و صلى الله و سلم على رسول الله. و لكنّه استحيى من ذلك أن يجعل نفسه في تلك المرتبة مع الشيخين و مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و أحبّ و أشار بـأن يُدفن في البقيع بـقرب قبر صاحبه و هو عثمان بن مظعون إذ أنهما قد تواعدا إذا مات الأسبق منهما فالآخر يُدفن عند قبر صاحبه. فأشار بذلك و أوصى بذلك رضي الله عنه و أرضاه.

مات في خلافة أمير المؤمنين عُثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه في سنة اثنتين و ثلاثين, و قيل في ثلاث و ثلاثين للهجرة, و قد بلغ من العمر جاوز خمس و سبعين سنة قضاها أو قضى أغلب تلك السنوات في نصرة الدين و في الدفاع عن رسول رب العالمين صلى الله عليه و آله و سلم.

لـمّا تُوفِّيَ سُمِعَ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه يبكي عليه عند سريره و يقول: "وَا جَبَــلَاه, وَا جَبَـلَاه!". فعبد الرحمن جبل من الجبال الرواسي الشامخة السامقة الشاهقة رضي الله عنه و أرضاه.

صلى عليه أمير الـمؤمنين بنفسه, صلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه و أرضاه و دُفِنَ فِي البقيع.

نسألُ الله سبحانه و تعالى أن يُبارك لنا و يجعلنا من أتباع أُولائك الصحابة الأجلاء و ممن يسير على هديهم و نهجهم رضي الله عنهم جميعا.

و صلى الله و سلم على نبيه محمد و على آله و صحبه أجمعين

و جزاكم الله خيرا

الدَّرْسُ الثَّامِن: سَعدُ بن أَبِي وَقَّاص

بِسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله معز من أطاعه مذلّ من عصاه و الصلاة و السلام على نبيه و مصطفاه و على آله و صحبه و من والاه.

أمَّا بعد: فقد كنا تكلمنا البارحة عن عبد الرحمن بن عوف, ذلك المهاجر الصابر الشاكر, تكلمنا عن الغني التقي.

و في هذه الليلة نتكلم بإذن الله سبحانه و تعالى عن التقي الخفي, هذا الرجل ليس بخفي و لا بمخفي في معجم الجبال الأعلام, في قاموس الأمجاد, و حاشا أن تُستَرَ الشّمس بغربال, و لكنه خفي في بعض المواطن التي سنعرّج عليها في ختام الدرس بإذن الله سبحانه و تعالى.

نتكلم في هذه الليلة عن القنّاص, ألا و هو سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه و أرضاه, سعد!

هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن وُهَيب بن عبد مناف القرشي الزهري.

النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما في حديث جابر كان جالسا ذات يوم فأقبل سعد بن أبي وقاص فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **"هَـذَا خَـالِي فَـلْيُرِنِي امرُءٌ خَـالَهُ"**. كما رواه الإمام الترمذي.

النبي صلى الله عليه و آله سلم يفتخر بسعد مع أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو سيد الأوّلين و الأخرين, هو إمام الأنبياء و المرسلين, يفتخر بأنّ سعداً يقرب له, خاله! كيف ذاك؟ هو من بني زهرة, و أمّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم آمنة بنت وهبٍ بن عبد مناف,

هي من بني زهرة و سعد بن مالك بن وُهَيب بن عبد مناف. فبذلك هو من أخوال النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

سعد كان من الأوّلين السابقين بالإسلام. أسلم في سنٍّ حديثة, قيل لـما أسلم, عمره سبعة عشر سنة و قيل أقل من ذلك. لَمَّـا أسلم و اتّبع النبي صلى الله عليه و آله و سلم, كما قال هو, قـال: "لَـم يُسلِم أَحَـدٌ فِي اليَـومِ الـذِي أَسلَمتُ فِيـهِ, وَ مَكَثتُ سَبـعَ لَيَـالٍ وَ أَنَـا ثُلُثُ الإِسلَامِ". و قيل انه سابع سبعة رضي الله عنه و أرضاه, فهو من الأوائل السَّبَّاقين بالإستجابة لدعوة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و حسبك بها منقبة.

لَمَّـا أسلم و آمن كما جاء ذلك في صحيح مسلم وقفت له والدته و كان بارّاً بها رضي الله عنه و أرضاه, فقالت له: "ما هذا الدين الذي جئت به, لَتَدَعَنّ هذا الدّين أو أترك الطعام و الشراب لا آكُل و لا أشرب فأموت فَتُعَيَّرَ بِي فَيُقال يَـا قَـاتِلَ أُمِّـه". و في رواية قالت له: "أنت تزعم أنّ الله يـأمرك بطاعة والديك, أنَـا أُمّك آمُرُكَ بـأن تَترُكَ هذا الدّين و إلَّا لا آكُل و لا أشرَبُ". قال: "فَمَكَثَت يَـوماً وَ لَيلَةً". و قيل مكثت ثلاثا حتى أُغشي عليها, لا تأكل و لا تشرب, فلمّا رأى ذلك منها قال: "اعلَمِي يَـا أُمَّـ وَ اللهِ لَو كَـانَ لَكِ مِـأة نَفسٍ فخرَجَت نفساً نفساً ما تَرَكتُ هذَا الدِّين, فَكُلِي أَو دَعِي". قال: "فلمّا رأت ذلك أَيست منه فأكلت, فـأنـزل الله سبحـانـه و تعـالـى فيـه: {وَ إِن جَـاهَدَاكَ لِتُشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ فَلَا تُطِعهُمَا}".- هذه الآية هي الآية الثامنة من سورة العنكبوت, و قد رأيتُ من يُخطِئ من النُّسَّاخ فيكتب آية سورة لقمان, الآية رقم خمسة عشر: {وَ إِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشرِكَ بِي}

و لكن الآية بنص كلام سعد التي نزلت فيه هي الآية الثامنة من سورة العنكبوت "لِتُشرِكَ بِي".

فهو أصرّ و ثبت و لم يتزحزح عن الإيمان بهذه الدعاوي, أنّ أُمَّـه تدعوه لـترك هذا الدين, تدعوه لترك هذا السبيل, تدعوه لترك و الكفر بدين الجليل سبحانه و تعالى.

للأسف بعض العـوائل في هذا العصر أَوّل مـا يرون إبنهم قد التزم و استقام و تمسّك بهذا الدين يقفون عثرة أمامه. أمّه و أبوه يأمرونه بترك الاستقامة و هم على درجات أو قل على دركات يتفاوتون, فمنهم من يعادي الإستقامة بكل التّوجُّهات, من أوّل ما تنبت لحية الشاب يقفون أمامه, من أوّل ما يرون الفتاة قد أسدلت النقاب يقفون أمامها, و منهم من دون ذلك, يأمرون و يفرحون بإبنهم إذا صلى و صام و تصدّق و حج و لكن يؤنِّبونه على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر: "افعل هذه العبادات و لكن دون هذه الشعيرة" لِمَ؟ يخافون أن يعكر عليهم في بيتهم, هذا حلال و هذا حرام و هذا مكروه و هذا مستحب و هذا مباح. فيقفون أمامه دون هذا التديّن و دون هذه الإستقامة. و منهم من لا يفعل ذلك و لكنهم يخافون من ذروة السنام: "يا بني صلِّ و صم و تصدّق و حجّ و اعتمر و اطلب العلم, إلَّا الجهاد في سبيل الله". يقفون أمامه في هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام. و القصص كثيرة في هذا الباب. ذاك الشاب, لَـمَّا تمسّك بهذا الدين و عرف الطريق المستقيم حبسه أبوه في الدار: "لا تصلّي في الجماعة". و ليس فقط, بل أمروه بـأن يسمع للغناء, و يترك سمع الأناشيد التي تؤثّر عليه. أعظم من ذلك, أو أعجب إن صحّ التعبير, يقولون له تعرّف على الفتيات, عاكس الفتيات, و لكن لا تسِر في هذا الطريق. و شاب آخر يقولون له: "و الله لإن تزني أحبّ لنا من أن تسلك هذا الطريق". و لا حول و لا قوة إلّا بالله, و لكن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

روى الإمام أحمد رحمه الله: **"لَا طَـاعَةَ فِي مَعصِيَةِ اللهِ"**. -عزّ و جلّ-.

فـإذَن لا طاعة للوالدين, للأهل, للأقربين إذا كانت أوامرهم مخالفة لأوامر الله و أوامر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

سعد رضي الله عنه و أرضاه لم يتبع لأوامر والدته مع شدّة حرصه على طاعة الوالدة, مع بِرِّهِ لها إلّا أنّها لا تُقَدَّم بين يدي الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

عاش في مكة على طاعة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى قال هو: "كُنتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ سَابِعُ سَبعَة لَا نَجِدُ إِلَّا نَأكُلُ وَرق السَّمر".-نوع من أنواع الأشجار يأكلونه من الجوع في سبيل الله كما روى ذلك الإمام مسلم رحمه الله.

تأمّلوا و تدبّروا في هذه التضحي و في هذا العناء و في هذا البذل في هذا السبيل, لربما الواحد منا يمكث الدهر الطويل لا يخاف في سبيل الله, لا يجوع في سبيل الله لا يألم في سبيل الله, بينما كان أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم يجوعون في سبيل الله, يعطشون في سبيل الله, يخافون في سبيل الله, يألمون في سبيل الله, لذلك رفع الله سبحانه و تعالى ذكرهم في الدارين.

في مكة كان الصحابة رضي الله عنهم و أرضاهم يخفون إمانهم, البعض منهم, كانوا يخفون صلاتهم, فمرّةً من المرّات قام مجموعة من قريش باكتشاف بعض الصحابة و هو يصلون خفية فوقعت واقعة بينهم, فقام سعد رضي الله عن سعد, و دخل و دافع عن بقية أصحابه من المؤمنين فشج و أدمى أحد المشركين, فكان أوّل من أراق دما في سبيل الله. و هذه من مناقبه الجليلة التي تذكر في ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه. أوّل من أراق دما في سبيل الله سبحانه و تعالى.

لَمّا هاجر إلى المدينة مع من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها و أرضاها قالت: "سَهِرَ النَّبِيّ صلى الله عليه و آله و سلم مَقدَمه إِلَى المَدِينَةِ فِي أَرَقٍ". صلى الله عليه و آله و سلم, فقال: **"لَيتَ رَجُلاً صَالِحاً مِن أَصحَابِي يَحرِصُنِي اللَّيلَة"**. تمنّى النبي صلى الله عليه و آله و سلم, هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب في الأمانِي. فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم تمنى أنّ رجلا, و ليس فقط, صالحا! من أصحابه يحرصه تلك الليلة. قالت رضي الله

عنها فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوت سلاح, فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: "**مَـن؟**". فقال: "سَعد بن أبي وقّـاص". فقال: "**مَـا جَـاءَ بِـكَ؟**". قال: "وَقَعَ فِي نَفسِي أَن أحرُصَكَ اللّيلة". فدعا له النبي صلى الله عليه و آله و سلم فحرص النبي صلى الله عليه و آله و سلم و حماه طيلة الليل فنام النبي صلى الله عليه و آله و سلم, قالت عائشة: "حَتَّى سَمِعنَا غَطِيطَهُ". صلى الله عليه و آله و سلم. نام آمناً بعد حراصة من؟ حراصة سعد بن مالك رضي الله عنه و أرضاه, و أنعم بها من منقبة.

أوّلا: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم و سمّاه و وصفه بوصف الصلاح, "**لَيتَ رَجُلاً صـالِحاً**".

ثم: دعا النبي صلى الله عليه و آله و سلم له, ثم: أمِنَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم لسعد و لقيامه بالواجب خير قيام, ثم أنزل الله سبحانه و تعالى: {وَ اللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}. تَـأمَّلوا في هذه المنقبة الجليلة, حراصة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و هذا عنوان عريض يُحرص النبي صلى الله عليه و آله و سلم في حياته, كذلك يحرص بعد مماته صلى الله عليه و آله و سلم, كيف ذلك؟ بحراصة سنته, بالذبّ عنها, بنصرتها, هذا كله داخل في حراصة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و في حراصة شريعته, جعلنا الله سبحانه و تعالى و إيّـاكُم من أنصـارِ شريعته.

سعد رضي الله عنه و أرضاه أرسله النبي صلى الله عليه و آله و سلم مع زمرة من المؤمنين الموحّدين في سريّة, فأصابوا من المشركين و أصاب منهم المشركون, حتى ظهر المشركون على المسلمين, قال سعد: "فَـدَفَعتُهُم بِسِهَـامِي, بِنبلِي, أَذُود عَن أَصحَـابِي". حتى كفأهم و حتى أرجعهم أدراجهم. فقال سعد:

أَلَا هَـــل أَتَـى رَسُـــولَ اللهِ أَنِّـي   حَمَـيتُ صِحَـابَتِي بِصـدُورِ نَبـلِي

فَـمَـا يَـعـتَـدُّ رَامٍ فِـي عَـدُوٍّ   بِـسَـهـمٍ يَـا رَسُـولَ اللهِ قَبـلِي

أَلَا هَــل أَتَـى رَسُــولَ اللهِ أَنِّـي   حَمَـيتُ صحَـابَتِي بِصدُورِ نَبـلِي

فَـمَـا يَـعـتَـدُّ رَامٍ فِـي عَـدُوٍّ   بِـسَـهـمٍ يَـا رَسُـولَ اللهِ قَبـلِي

فهو أوّل مَن رمى بِسَهمٍ فِي سَبِيل الله سبحانه و تعالى, هكذا قال سعيد بن المسيّب رحمه الله رحمة واسعة.

و تأمّلوا في تلك الخصلة, يذود و يدافع و يناصر و يؤازر أصحابه و إخوانه و أعظِم بِها من منقبة أنك تدافع عن إخوانه, تدافع عنهم باللسان و بالسنان, تدافع عنهم بالكلام و بالسهام, هكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم يفعلون و يتسابقون في ذلك.

قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيما رواه الإمام مسلم: **"المُسلِمُ أَخُ المُسلِمِ, لَا يَظلِمُهُ وَ لَا يَخذُلُهُ وَ لَا يُسلِمُهُ"**. أي لا يُسَلِّمُهُ للأعداء, فكان سعد رضي الله عنه و أرضاه يذود و يدفع و يناصر عن أصحابه و عن إخوانه رضي الله عنهم جميعا.

في غزوة بدر و ما أدراكم ما غزوة بدر, شارك سعد بن أبي وقاص فيها, قال: "شَهِدتُ بَدراً وَ مَا فِي وَجهِي شَعرَةً أُحَرِّكها بِيَدِي". شارك منذ صغره في مناصرة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, في مناصرة هذا الدين, و أبلى في بدرٍ بلاءً حسنا.

في بدر أثر رجلَينِ من المشركين, في بدر قال عبد الله بن مسعود: "كَـانَ سَعد بن أبي وقَّاص يُقَاتِلُ قِتَال الفَارِس في الرجالِ". أي كأنّه راكب على فرس و البقية رجال على أقدامهم يقاتلون.

هكذا كان سعد رضي الله عنه و أرضاه يقاتل في الصفوف الأمامية, و قد رأى كما روى هو رجلين حول النبي صلى الله عليه و آله و سلم يلبسون البياض لم يرهم قبل ذلك. هم من الملائكة, و في ذلك أن بعض المؤمنين قد يرى الملائكة على بعض الهيئات و على بعض الصور, كما رأت مريم عليها السلام رأت جبريل عليه السلام و هي ليست من الأنبياء. كذلك

جاء في حديث جبريل الطويل الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه لـمّا سأل عن الإسلام و الإيمان و الإحسان, و رآه الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم و لم يكونوا من الأنبياء, فإذن قد يقع و يرى بعض المؤمنين بعض الملائكة في بعض الهيئات و الصور و هذه من الكرامات و قد وقعت لكثير من المجاهدين في هذا العصر, و دونكم كتاب ((آيـات الرحمـن في جهاد الأفغان)) للشيخ الإمام عبد الله عزام رحمه الله رحمة واسعة, و قد اطلع و عرض هذا الكتاب على الشيخ ابن باز رحمه الله فأقرّه و صدّقه ففيه من الكرامات الشيء الكثير, و منها رؤية بعض الملائكة على بعض الهيئات و هذا لا يُستنكر و ليس بغريب.

سعد رضي الله عنه و أرضاه رأى بعض الملائكة في غزوة بدر.

في غزوة أُحُـد كذلك كان سعد ممن أبلى بلاءً حسناً في أُحُـد حتّى أنه كان هناك من المشركين من يؤذي المسلمين, حرّق المسلمين من شدَّة بأسه في القتال, فرماه سعد رضي الله عنه و أرضاه و كان مسدّداً فأصابه في جبينه, في جبهته فأرداه فانكشفت عورته فضحك النبي صلى الله عليه و آله و سلم حتى بدت نواجذه صلى الله عليه و آله و سلم, كما جاء في الصحيحين.

البعض اليوم يتكلم على بعض المسلمين حينما يفرح بهلاك بعض أعداء الدين, يقول لهم: "لا يجوز أن تتشمتوا, لا يجوز الشماتة". هذه ليست من الشماتة بشيء و إنما هي كما قال الله سبحانه و تعالى: {وَ يَشفِـ صُدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ}. هذه كما قال الله سبحانه و تعالى: {و يَشفِـ صُدُرَ قَومٍ مُؤمِنِينَ}. هكذا فرح النبي صلى الله عليه و آله و سلم و سُرَّ و ضَحِك على مقتل ذلك المشرك و على سقوطه و انكشاف عورته و لم ينكر صلى الله عليه و آله و سلم بل كان ينثر النبال لسعد رضي الله عنه و أرضاه, ينثر السهام لسعد رضي الله عنه و أرضاه و يقول له: "**ارمِ فِـدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي**". كما جاء في الصحيحين.

يقول سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه و أرضاه: "لَم يجمَع النبي صلى الله عليه و آله و سلم أَبَويه لأَحَدٍ قَبلِي". - لعلكم تذكرون لمّا تكلّمنا عن الزبير في بعض ما جاء في سيرته رضي الله عنه و أرضاه أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم جمع له أبَوَيه, فكيف يُوفّق بين هذه الأحاديق, هو قال, سعد رضي الله عنه و أرضاه: "لَم يَجمَع النّبِيّ صلى الله عليه و آله و سلم أبويه لأحَدٍ قَبلِي". لا ينافي إن جمع النبي صلى الله عليه و آله و سلم أبويه لأحد من بعده, فهذا كان في غزوة أُحد, و لَمّا فدا الزبير كان في غزوة الخندق لمّا ذهب و أتاه بخبر بني قريظة و قال الزبير كلمته المشهورة التي قالها شيخ المجاهدين و أسد الموحّدين في هذا العصر: "وَ اللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ النَّصر أَو نَذُوق مَا ذَاقه حمزة بن عبد المطّلب". -رضي الله عنه و أرضاه-. هكذا قال الزبير, و فداه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأبَوَيهِ.

كذلك فدا النبي صلى الله عليه و آله و سلم سعداً بأبويه و جمع له أبويه صلى الله عليه و آله و سلم.

قال علي رضي الله عنه و أرضاه كما روى ذلك عنه مسلم: "مَا جَمَعَ النبيّ -صلى الله عليه و آله و سلم- أَبَوَيهِ لِأَحَدٍ غَيرَ سَعد بن أَبِي وَقَّاص". نقول من علم حُجَّة على من لم يعلم, و عدم العلم بالشيء لا يعني العلم بعدمه, فعليّ حدّث بما يعلم أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يجمع أبويه إلّا لسعد رضي الله عنه و أرضاه فهذه من مناقب سعد رضي الله عنه و أرضاه.

كذلك قالت ابنته عائشة بنت سعد بن أبي وقاص, قالت: " أَنَا ابنت المُهَاجِر الذِي جَمَع النّبي صلى الله عليه و آله و سلم لهُ بِالأَبَوَين". فهذه من مفاخر, من المناقب التي تُذكر عن سعد, رضي الله عنه و أرضاه.

في أُحُد, بذل سعد رضي الله عنه و أرضاه بالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أبلى بلاءً حسنا في مقارعة المشركين, حتى قيل من الأمور العجيبة التي حدقت يوم أُحد,

أنّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه رمى بسهم فقتل أحد المشركين فأُعِد هذا السهم على المسلمين فأخذه سعد و رماه للمرة الثانية على المشركين فقتل به آخر من المشركين ثُم أُخِذ نفس السهم و أُعِيد إلى المسلمين فأخذه سعد و رمى به الثالثة فقتل من المشركين. هكذا كان مسددا, كان صائبا في رميه رضي الله عنه و أرضاه.

هذا في أُحُد, أمَّـا في الخندق فكذلك كان رامياً كعادته, كان قناصا مسددا رضي الله عنه و أرضاه. و جاء في الخندق كما جاء في أُحُــد كما جاء في الخـندق أن رجلا من المشركين كان شديد البـأس على المسلمين, كان يتترّس بالحديد, فلما رفع جبينه لينظر للمسلمين رماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه فلم يخطئ جبينه حتى أرداه صريعا و انشلحت قدماه. هكذا جاء في صحيح مسلم.

فسعد رضي الله عنه و أرضاه كان مقدّماً بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا سيما في الغزوات لا سيما في المعارك, لا سيما في المعامع, لا سيما في مجالدة و مجاهدة أعداء الملّة.

شهد الغزوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم.

روى أبو يعلى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم جلوساً, فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"يَـطلع عَلَيــكُم رَجُـل مِن أَهـلِ الجَـنَّة"**. فإذا به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه.

كذلك كان سعدا من أصحاب الدّعوات المستجابة, إذا دعا الله سبحانه و تعالى بدعوة أجابه الله سبحانه و تعالى. كما دعا له النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما جاء في حديث أبي هريرة و في حديث غيره عند مسلم و عند غيره. كذلك جاء عن ابن عباس و جاء كذلك عن سعد أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم دعا لسعد و قال: **"اللَّهُمَّ استَجِب لِسَعدٍ إذَا**

دَعَاكَ".-**"اللَّهُمَّ استَجِب لِسَعدٍ إِذَا دَعَاكَ"**-. فكان مستجاب الدعوة رضي الله عنه و أرضاه.

و قصص في ذلك معلومة مشهورة, منها أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و انتقاله إلى الرفيق الأعلى في خلافة عمر: كان عمر قد خرج و بيده الدِّرَّة -هكذا بالكسر و ليس كما هو مشتهر بالضم "الدُّرَّة", لا بل هي الدِّرَّة و هي عصا خفيفة يؤدِّب بها عمر, يؤدِّب بها الرعيّة- فكان يسير عمر رضي الله عنه و أرضاه و إذا بفتاة شابّة من المسلمين قد أتى الريح فكشف عن ساقها, فتبادرها عمر بالدِّرَّة فعرض له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه ووقف دونها فتناوله عمر بالدِّرَّة فسار سعد ليدعو على عمر فأوقفه عمر و قال: "هَـاكَ الدِّرَّة اقتَصّ يَـا سَـعد".-"اقتص يا سعد!"-. فعفا عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه. لما يعلم عمر من إجابة دعوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه.

و في خلافة عمر أيضا لمَّا جعله عمر على الكوفة, و من مناقب سعد رضي الله عنه و أرضاه التي اشتُهِرَت و هي في زمن الخلفاء الراشدين أنه كان على يديه فتح العراق -نسأل الله سبحانه و تعالى أن ينصر إخواننا في العراق- و كان هو أوّل من قاتل الفرس و كسرهم, كان على رأس معركة القادسية, هذه المعركة الشهيرة التي سارت بها الركبان, كان سعد هو الأمير يومئذ, و كسر الفرس رضي الله عنه و أرضاه, و كان أميرا على الكوفة و هو أوّل من أنشأ هذه المدينة ألا و هي الكوفة. في ظلِّ إمـارته بالكوفة اشتكاه بعض أهل الكوفة عند عمر رضي الله عنه و أرضاه فقال عمر: "اشتَكَوكَ يَـا سَعد فِي كُلِّ شَيءٍ, حَتَّى فِي الصَّلَاة". -و عمر يعلم منزلة سعد رضي الله عنه و أرضاه و لكنّها السياسة الشرعيّة-. فقال سعد: " وَ اللهِ مَـا عَدَوتُ صلاَة النَّبِيّ".-صلى الله عليه و آله و سلم-."أُصَلِّي كَمَا كَانَ يُصَلِّي النَّبِي".-صلى الله عليه و آله و سلم-. كما جاء عند البخاري أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: **"صَـلُّوا كَـمَا رَأَيتُمُونِي أُصَـلِّي"**. هكذا كان سعد رضي الله عنه و أرضاه يصلّي كما كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يصلّي.

قال: " أُطِيلُ فِي الأُولَيَينِ وَ أَحذِفُ فِي الأُخرَيَينِ". فقـال عمر: "صَـدَقتَ يَـا أَبَـا إِسحَـاق".- "صدقت يا أبا إسحاق!"-.

أرسل عمر رضي الله عنه و أرضاه رجالا إلى الكوفة يسألون عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه, طافوا في سائر مساجد الكوفة, في كل مسجد يثنون على سعد بما علموا و بما هو أهله رضي الله عنه و أرضاه. و بينما هم في مسجد يسألون عن سعد إذ قام رجل يُقـالُ له أبو سعدة, قال و تظاهر بالورع و بـالصلاح: " أَمـا و قد سأَلتُمُونا بِالله, فإنّنا نقول و نَشهد أنّه مَا كَان يقسِمُ بالسَّويّة و لَا يعدل فِي القضيّة و لا يخرُج فِي السّريّة".- يتكلم عن من؟ يتكلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه كاذبا مفتريا عليه. فقال سعد و دعا بهذه الدّعوات: "اللَّـهُمَّ إن كَانَ كَـاذِبـاً" -تأمّلوا إلى إنصافه رضي الله عنه و أرضاه, ما قال اللهم عليك به اللهم افعل به كذا و كذا مباشرة, و لكنّه من باب الإنصاف قال-: "اللهمَّ إن كَانَ كَاذِباً" -و هو يعلم يقيناً أنه كاذب- "اللهم إِن كَان كَاذِباً فَعَجِّل الفَقرَ إلَيه وَ أَطِل عُمرَه وَ عَرِّضهُ للفِتَنِ". هكذا جاء في الصحيحين.

قال عبد الملك بن عمير راوي هذا الحديث, قال: "فَـإِنِّي رَأيتُ هَذَا الرَّجُل وَ قَد بَلَغَ مِن الكِبَرِ عتيًّا و قَد سَقَطَ حَـاجِبَاهُ عَلَى عَينَيهِ مِنَ الكِبَرِ وَ هُوَ يَطُوفُ فِي السِّكَكِ وَ الطُّرُقَاتِ وَ يَتَعَرَّض لِلفَتَيَاتِ, فَإِذَا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ, يَقُولُ شَيخٌ مَفتُونٌ, أَصَابَتنِي دَعوَةُ سَعد!".-"شَيخٌ مَفتُونٌ, أَصَـابَتنِي دَعوَةُ سَعدٍ! وَ قَد افتُقِرَ حَتَّى سَأَلَ النَّاسَ".-و ليس فقط, لم تكن هذه فتنته, نسأل الله سبحانه و تعالى السلامة و العافية-.

قال الإمام الذهبي: "حَتَّى قُتِلَ" -مع من؟- "مَعَ المُختَـار بن عُبَيد الثَّقَفِيّ". هذا المرتدّ الذي قاتل الصحابة و ادّعى أنه يوحى إليه, قُتِلَ هذا الرجل الذي افترى و كذب على سعد رضي الله عنه و أرضاه, قُتِلَ فِي صُفوف المرتدِّين و العياذ بالله.

هكذا من يتعرَّض للصَّالحين و للمجاهدين و للعلماء الربّـانيّين من أولياء الله سبحانه و تعالى.

جاء في البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيما يرويه عن ربّه عزّ و جلّ أنه قال: **"مَـن عَـادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِـالحـربِ"**. فحذاري حذاري أن يتورّط الإنسان في معادات أولائك الصالحين الصديقين المجاهدين العلماء الربانيين.

كما قال الإمام ابن عساكر رحمه الله: "مَن تَعرَّضَ لِلعُلَماءِ بالثَّلبِ أَصَابَهُ اللهُ قَبلَ مَوتِهِ بِمَوتِ القَلبِ".

و قال: "لحُومُ العُلَمَاءِ مَسمُومَة".

سعد رضي الله عنه و أرضاه كان من الأولياء, إن لم يكن سعد فمن؟ سعد رضي الله عنه و أرضاه كان من أصحاب الدعوة المجابة.

سعد كان مرة في خلافة الخلفاء الراشدين, و بعدما حصلت الفتنة رأى رجلا يتعرض لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يسبُّ عليًّا و طَلحة و الزبير, فنهاه سعد و انتصر لهم و قال: "لَا تَسُبّ إخوَانِي". فعاد ذلك الرجل و كابر و أصرّ فدعا عليه سعد رضي الله عنه و أرضاه, فما هو إلّا أن أتى بعير ناد فاصطدم به فقتله. فسعد رضي الله عنه و أرضاه كان مُجاب الدعوة رضي الله عنه و أرضاه.

في آخر خلافة عمر رضي الله عنه و أرضاه و هو يحتضر على فراش الموت جعل الخلافة في الستة من أهل الشورى. من هم؟ كما تعلمون و تعرفونهم: عثمان و علي و طلحة و الزبير و عبد الرحمن و سعد و لم ينص عمر رضي الله عنه و أرضاه على إسم واحد منهم إلا على إسم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه, قال: "إن أَصَـابَت سَعداً فَهُوَ هُو". قال: "وَ إلَّا فلِيَستَعِن بِهِ وَلِيُّ الأَمرِ".

إذا أصابت الخلافة غيره فليستعن بمن؟ بسعد بن أبي وقاص, لِمَ؟ قال: " أَمَـا إِنِّي لَم أَعزِلهُ لِضَعفٍ وَ لَا لخِيَانَة". و لكن عمر عزله كما أسلفنا من باب السياسة الشرعية, كيف و قد قال

عمر رضي الله عنه و أرضاه: "جَعَلتُ الخلاَفَة فِي هَـاؤلَاءِ الذِينَ مَـاتَ رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه و آله و سلم- وَ هُوَ عَنهم رَاضٍ". فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم قد رضي عن سعدٍ رضي الله (عنه)* و أرضاه.

في خلافة عثمان بن عفان أعاد عثمان سعداً و جعله على الكوفة, عزل المغيرة بن شعبة و جعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه على الكوفة. فإذن هو امتثل لوصيّة عمر المجملة العامّة بالإستعانة بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه.

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه و أرضاه و حصول تلك الفتنة بين بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اعتزل سعد تلك الفتنة, و كان ذلك من مناقبه رضي الله عنه و أرضاه.

اعتزل في العقيق يرعى الغنم, أتاه عمر, ابنه, ابن سعد, فلمّا رءاه من بعيد قال: "اللهُمّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ هَذَا الرّاكِب". فلما أقبل قال: "يَا أَبَتِ أَينَ أَنتَ عَنِ النَّاسِ, أنتَ هُنَا مَعَ الأَعرابِ, أَصبَحتَ أعرَابِيًّا تَرعى الأغنَام وَ النَّاسُ فِي المَدِينَةِ يَختَصِمُونَ عَنِ المُلكِ". فضرب سعد رضي الله عنه و أرضاه على صدره و قال: "اسكُت إِنّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ- يقول: **"إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيّ"**. -خفي عن ماذا؟ عن موطن الفتن, لا يقرب الفتن, ينأى بنفسه و لا يشارك رضي الله عنه و أرضاه.

---

*قلت: فِي الأصل قال رحمه الله تعالى في ترضّيه عن سعد: "رضي الله و أرضاه, فرأيتُ زيادة (عنه).

و كان هذا هدي بعض الصحابة كسعد و كعبد الله بن عمر و كبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. هذه الحديث رواه الإمام مسلم رحمه الله, و في بعض الروايات أنّه أتاه بعض أصحابه و قال له: "إنَّ معك كذا و كذا ألف من السيوف". فقال سعد رضي الله عنه و أرضاه: "أُرِيدُ سَيفاً لَهُ عَينَانِ وَ لِسَانٌ يَقولُ هَذَا مُؤمِنٌ وَ هَذَا كَافِرٌ". -يميّز- "إِذَا ضَربتُ بِهِ مُؤمِناً امتَنَعَ وَ إِذَا ضَرَبتُ بِهِ كَـافِراً قَطعهُ".- "أريد سيفا له عينان و لسان". سيفاً واحدا و ليس كل هذه السيوف التي ستناصر سعدا رضي الله عنه و أرضاه, يميّز هذا السيف بين المؤمن و الكافر, فيريد بذلك رضي الله عنه و أرضاه أنه لا يشارك في الفتنة. لمَّا دُعِيَ للمشاركة في بعض الفتن و قيل له: {وَ قَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتنَةٌ}. قال: " أَمَـا إِنَّـا قَاتلنَا مَعَ رَسُـولِ اللهِ -صلى الله عليه و آله و سلم- حتَّى لَا تَكُونَ فِتنَةٌ وَ أَنتُم تُقَاتِلُونَ حَتَّى تَكُونَ فِتنَةٌ". -يخاطب بعض أصحاب الفتن.

كذلك ضرب سعد رضي الله عنه و أرضاه مثلا رائعاً رائقاً في هذا المقالم, قال: "مَثَلِي وَ مَثَلُ أَصحَـابِي كَمَثَلِ قَـومٍ سَارُوا فِي طَرِيقٍ فَأَظلَمَ عَلَيهِم الطَّرِيق فَقَـالَ بَعضٌ مِنهُم نَتَّجِه يَمِيناً وَ قالَ بَعضٌ مِنهُم نَتَّجِه شِمَالاً وَ قُلتُ بَل نَمكُثُ حَتَّى تَنجَلِي هَذِهِ الغُمَّة وَ تَنكَشِف ثُمَّ نُواصِل الطَّرِيق. فالذِين ذَهَبُوا إِلَى اليَمِين حِينمَا يخرُج النُّور وَ تُزال تِلكَ الغُمَّة لَعلَّهُم قد حَادوا عَن شَيءٍ مِن الطَّرِيق, و كذلك الذين في الشِّمال". قال: " أَمَّـا نَحـنُ فَعَلى عَهدِنَا الأَوَّل". –" فعلى عهدنا الأوّل!". يُكمل بعد انكشاف الغمة من حيث كان على عهده الأوّل و يسير في الطريق بعد النور و الضياء.

بعد فترة حانت وفاته و هو في عزلته رضي الله عنه و أرضاه. قال ابنه عمر, أو مصعب, مصعب بن سعد قال: "احتَضَرَ وَالِدِي وَ رَأسُهُ فِي حِجرِي, فَلَمَّا رَأيتُ ذَلِك مِنهُ بَكَيتُ فَرَآنِي أبكي فقَال: مَـا يُبكِيكَ؟". قال: "مَقامُكَ وَ مَـا صِرتَ إِلَيهِ". قال: "لَا تَبكِي فَإِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُنِي أَبَداً وَ إِنِّي مِن أَهلِ الجَنَّةِ". تـأمَّـلُوا, قال الذهبي رحمه الله: "صَدَقَ وَ اللهِ". رحمه الله.

بشهادة من؟ بشهادة النبي صلى الله عليه و آله و سلم في حديث العشرة المبشَّرين بالجنة الذي رواه أحمد, و في حديث أبي يعلى الذي مرّ معنا.

كذلك هنا وقفة, ألا و هي قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما في الصحيحين فيما يرويه عن ربِّه سبحانه و تعالى أنه قال: " **أَنَـا عِندَ ظَـنِّ عَبدِي بِي, فَليَظُنّ بِي عَبدِي مَـا يَشَـاء. إِن خَـيراً فَخَـيرٌ وَ إِن شَـرًّا فَشَرّ**". هذا الحديث اشتُهِرَ عند الكثير, لا سيما العوام بالرّواية أو اللفظ التي يذكرها الإمام البيهقي و هي ضعيفة, أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال فيما يرويه عن ربه: "**أَنَـا عِـندَ حُسنِ ظَنِّ عَبدِي بِي**". و ليس الحديث كذلك, اللفظ الصحيح كما عند البخاري و مسلم: "**أَنَـا عِـندَ ظَنِّ عَبدِي بِي**". سواء كان هذا الظنّ من الخير أو من الشر, "**إِن خَـيراً فَخَـيرٌ وَ إِن شَـرًّا فَشَرّ**".

كذلك جاء في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: "**لَا يَمُـوتَنَّ أَحَدُكُم إِلَّا وَ هُو يُحسِنُ الظَّـنَّ بِـرَبِّهِ**". -سبحانه و تعالى-.

فكان سعد رضي الله عنه و أرضاه يحسن الظن بربه سبحانه و تعالى.

ثم فاضت أنفاسه رضي الله عنه و أرضاه و تُوفِّيَ ثم أُخِذ به إلى المدينة. قالت أم سلمة رضي الله عنها و أرضاها لمَّا بلغها خبر وفاة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه, بكته و قالت: "بَقِـيَّةُ أَصحابِ رَسُولِ اللهِ". -صلى الله عليه و آله و سلم-. "بقية أصحاب رسول الله!".-صلى الله عليه و آله و سلم-.

إذ أنه كان من آخر المهاجرين وفاةً رضي الله عنه و أرضاه, توفِّيَ عَلى الصحيح في عـامِ خَمسٍ و خمسين للهجرة و قد بلغ و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة رضي الله عنه و أرضاه.

هذا مُلَخَّص يسير عن سيرة هذا الشهم العلم الكبير رضي الله عنه و أرضاه, ألا و هو سعد بن أبي وقَّـاص.

و الله تبارك و تعالى أعلم

و صلى الله و سلّم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين

و جزاكم الله خيراً.

الدَّرْسُ التَّـاسِعُ: أَبُــو عُبَــيدَةَ بن الجَرَّاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معزِّ من أطاعه, مُذِلِّ من عصاه, و الصلاة و السلام على نبيِّه و مصطفاه و على آله و صحبه و من والاه.

أمَّـا بعد: فقد تكلّمنا في الدرس المنصرم حول ذلك الصحابي الجليل, ألا و هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه. و اليوم أو و في هذه الليلة, نتكلم عن أمين هذه الأمَّة, عن صاحب الفضائل الجَمَّـة, ألا و هو عامر بن عبد الله بن الجرّاح.

و هو أبو عُبَيدَة عَـامِر بن عبد الله بن الجـرَّاح بن هلال القرشي الفهري المكِّي رضي الله عنه و أرضاه. كان من السبَّاقين إلى الإسلام في بداية بعثة النبي صلى الله عليه و آله و سلم حيث أسلم و آمن قبل دخول النبي صلى الله عليه و آله و سلم لدار الأرقم, فهو إذن من السبَّاقِين السَّابقين للنَّيلِ بهذا الشرف العظيم, ألا و هو الدخول في الإسلام و الطاعة و الاِنقياد لما جاء عن الله و عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

قيل أسلم في نفس اليوم الذي أسلم فيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم جميعا.

كان أبو عبيدة رجلا نحيفا خفيف العارضين, طويلا, مكسور الثَّنِيَّتَين, أي أهتم, في مذا كُسِرت أسنانه؟ -رضي الله عنه و أرضاه-. سنعلم بعون اللهِ فيما كُسِرت و في ماذا بذلها و بذل الغالي و الرخيص و النفس و النفيس.

هاجر إلى الحبشة لَمَّا ضُيِّقَ عَلى المسلِمين و على المؤمنين الذين هم غرباء في ذلك الحين, كما وصفهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم حيث قال فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه و أرضاه: "**بَـدَأ الإِسـلَامُ غَـرِيباً**". و في رواية في غير الصحيح:

"بَـدَأَ الإِيـمَـانُ غَـرِيباً وَ سَيَعُودُ غَـرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَـطُـوبَى لِلغُـرَبَـاءِ". فأبو عبيدة كان من هاؤلاء الغرباء, كان من هاؤلاء القلّة الذين آمنوا لَمَّا كفر الناس, الذين صدَّقوا لَمَّا كَذَّبَ الناس, فضُيِّقَ عَلَيهِم, مما دعاه إلى الهجرة لأرض الحبشة, لكنه كما قال الإمام الذهبي رحمه الله:" لَم يُطِل هُنَاكَ". بل عاد بعد ذلك إلى مكة, و من ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة.

في المدينة حظي بثناء النبي صلى الله عليه و آله و سلم عليه و بشهادة النبي صلى الله عليه و آله و سلم له, كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه و أرضاه أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: **"لِـكُلِّ أُمَّـةٍ أَمِـينٌ وَ أَمِـينُ هَـذِهِ الأُمَّـةِ أَبُـو عُـبَيدَةَ بن الجَرَّاح"**. و في رواية: **"إِنَّ لِـكُلِّ أُمَّـةٍ أَمِـيناً وَ أَمِـينُ هَذِهِ الأُمَّـة أَبُـو عُبَيدَة بن الجَرَّاح"**. و جاء أيضاً في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه و أرضاه, صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أنَّ أهل اليمنِ طَلَبُوا مِنَ النَّبيّ صَلّى الله عليه وَ آلِه وَ سَلَّم أن يُرسِلَ مَعَهُم وَ إِلَيهِم رَجُلاً أمِيناً يُفَقِّهِهُم وَ يُعَلِّمهُم الإسلَام, فقالَ صلى الله عليه و آله و سلم: **"سَـوفَ أَبعَـثُ مَـعَكُم رَجُـلاً أَمِـينًا جِدَّ أمِـين"**. فكُلّ الصّحابة لطلبهم للفضل و لطلبهم لشهادة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, لا سيما في هذه التزكية العظيمة منه صلى الله عليه و آله و سلم. الكُلّ كان يتمنى أن يبعثه هو دون غيره معهم و إليهم, فقال صلى الله عليه و آله و سلم: **"قُـم يَـا أَبَـا عُـبَيدَة"**. فأرسل معهم أبا عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه و أرضاه, و حسبك بها منقبة جليلة عظيمة من النبي صلى الله عليه و آله و سلم لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه و أرضاه.

فأبو عُبيدة كان محلُّ ثِقة للنّبي الأمين صلى الله عليه و آله و سلم, هذا الصادق الأمين صلى الله عليه و آله و سلم كان يثق في أبي عُبيدة, لذلك كان يُعرف بين الصحابة بالقويّ الأمين.

أرسل النبي صلى الله عليه و آله و سلم أبا عبيدة و مجموعة من المهاجرين, لمن؟ لعمر بن العاصي رضي الله عنه و أرضاه لمّا أرسله النبي صلى الله عليه و آله و سلم لغزاة و لمعركةٍ في

سريّة عُرِفِن بذات السلاسل, خاف عمر من ذلك الجانب فبعث إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم يطلب المدد منه, فانتدب النبي صلى الله عليه و آله و سلم أبا بكرٍ و عُمر في مجموعة من المهاجرين, و أمّرَ عليهم أبا عُبَيدة رضي الله عنه و أرضاه. تأملوا إلى هذه المنقبة الجليلة العظيمة, أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم يؤمر على مجموعة فيهم الشيخان, أبو بكرٍ و عمر, يؤمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه و أرضاه. فلمَّا وصلوا إلى عمرٍو, قال: "أَنَا أَمِيرُكُم". قال المهاجرون: "بَل أَمِيرُنا هوَ أَبو عُبيدةَ بن الجَرَّاح, وَ أنتَ أمِيرُ مَن مَعَكَ". قال: "إنَّمَا أنتُم مَدَدٌ أُمدِدتُ بِه فَأنَا الأَمِير". فلما رأى ذلك أبو عبيدة و كان هيّناً ليّنًا رضي الله عنه و أرضاه, كان شديد الشكيمة, و لكنه في الوقت ذاته سهل الشِّيمة رضي الله عنه و أرضاه. كان شديد الشكيمة على أعداء الله و سهل الشيمة على أولياء الله, على الصحابة, على إخوانه, على القرابة على المؤمنين, على الموحِّدين, على المسلمين, لذلك لم يرَ أي غضاضة في التنازل عن الإمرة لعمرٍو رضي الله عنهم جميعا. فتنازل لمصلحة الجماعة, قال: "أَنتَ الأَمِيرُ". و أبو عبيدة قد وُصِفَ بالأخلاقِ السّامية السامقة, لا أقول ممن عاشره من الصحابة بل حتى من النبي صلى الله عليه و آله و سلم, كما روى الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين عن الحسن مرسلا, فيما رفعه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: "**مَا مِنكُم إِلَّا وَ لَو شِئتُ لَأَخَذتُ عَلَيهِ فِي بَعضِ أَخلَاقِهِ غَير أَبِي عُبَيدَة**". رضي الله عنه و أرضاه. فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم فيما روي عنه زكّاه في أخلاقه, و سوف يمرّ معنا جانب من تضحيته, من فدائه, من تواضعه, من كرمه, من شجاعته, رضي الله عنه و أرضاه.

في غزوة من الغزوات أو في معركة من المعارِك التي أرسله إليها النبي صلى الله عليه و آله و سلم, و أيضاً أمَّره على مجموعة ممن معه قوامهم ثلاثمأة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, كما جاء ذلك في الصحيحين, حصلت له كرامة أو حصلت على يديه للمسلمين. كيف ذاك؟ لَمَّا ساروا في تلك السرية نفد ما عندهم من طعام, فلم يأكلوا إلّا تمرة

تمرة, كان يقسِّم عليهم أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه تمرة تمرة, فقالوا: "مَـا تُـغنِي عَنَّـا تَمـرة". قالوا: "فَلَمَّا نَفِدَت عَلِمنا قِيمَة تِلكَ التَّمرة". فأصابهم من الجوع ما الله به عليم, حتى عرض لهم حوت عظيم قد قذف به البحر على الساحل, فتناولوا منه و أكلوا منه ثمانية عشر يوماً.

و هذه من الكرامات التي حصلت لأبي عبيدة و لمن معه رضي الله عنهم جميعا.

في غزوة بدر, هذه الغزوة العظيمة الفارقة بين أهل الإسلام و بين أهل الكفر و الأوثان, شارك فيها أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه و أبلى فيها بلاءً حسنا. قد قلنا قبل ذلك في سيرة الزبير رضي الله عنه و أرضاه و مر معنا أنّ الزبير قتل في بدرٍ ممن قتل, قتل عمّه نفيل بن خويلد, لِمَ؟ لأَنَّه وَقفَ مُضَـاضًّا لِدَعوة الرُّسُل. و في هذه الغزاة أيضاً قام أبو عبيدة بن الجرّاح بقتل أبيه, قتل أبَـاه يوم بدر, لِمَ؟ لأنَّه وَقَف بخندق الشرك وقف في خندق التنديد مضاضًّا للتوحيد, فلمّا التقت عساكر الرحمن بعساكر الأوثان ما كان له إلا أن يقتل من وقف في وجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و هنا يتّضِح بجلاءٍ أمر الولاء و البراء, فأنزل الله سبحانه و تعالى من فوق سبع سماوات: {لَا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَ اليَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَآدَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَو كَانُوا آبَاءَهُم } -نعم- {وَ لَو كَانُوا آبَاءَهُم } نزلت في أبي عُبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه و أرضاه لَمَّا قتل أباه في سبيل الله.

يـظُنُّـونَ أنّ الـدّين لـبّيك في الفـلا و فـعـل صـلاةٍ و السكوت عن الملا

و خـالط و سالِم مـن لـذا الدّين قد قلا و مـا الـدّين إلّا الحبّ و البغض و الولا

كـذاك الـبرا مِـن كـلّ غـاوٍ و آثِـم

هكذا كان أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه.

في غزوة أُحُـد, لَمَّا انكشف النّاس عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان هو من الثابتين الأوّلين في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ذكرنا آنفا, منذ بضع ليالي عن طلحة رضي الله عنه و أرضاه و ماذا صنع في هذه الغزاة من الدفاع و الذود عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى استعان بع النبي صلى الله عليه و آله و سلم فصعد عليه فوق الصخرة حتى قال أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه و أرضاه حينما يُذكر له يوم أُحد يقول: "ذَلِكَ يَـومٌ كُلُّهُ لِطَلحَة". –"ذلك يوم كله لطلحة!".

أيضا كان أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه ممن أبلى بلاءً حسناً فِي هذه الغزوة, و مما صنع يومئذٍ أنّه أزاح الحلقتين اللَّتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الشريف. من المغفر أصابته صلى الله عليه و آله و سلم ضربة في القتال, فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يكن بمنأى عن سوح القتال و عن ساحات النزال, بل قال علي رضي الله عنه و أرضاه: "كُنَّا إِذَا حَمِـيَ الـوَطِـيس وَ اشتَـدَّ البَأسُ احتَمَينَا بِـرَسُـولِ اللهِ –صلى الله عليه و آله و سلم– فَـكَانَ أَقـرَبَنَا مِنَ العَـدُوِّ".

النبي صلى الله عليه و آله و سلم أُصيب في هذه الغزوة فقام أبـو عُـبَيدَة رضي الله عنه و أرضاه بأسنانه و أخذ بالحلقتين يخرجهما من وجهه صلى الله عليه و آله و سلم الشريف حتى انقلعت ثنيّتاه. قيل مـا رُؤيَ أهتم خَيرٌ من أبي عبيدة, أو من هتم أبي عبيدة رضي الله عنه و أرضاه. انقلعت ثنيّتاه في الذود عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و في نصرة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, حتى قيل انه مما أخذه بفيه أنه تناول شيئا من دمه الشريف صلى الله عليه و آله و سلم و هذه من المناقب الجليلة العظيمة لأبي عبيدة رضي الله عنه و أرضاه.

كما أنه ساهم في بدرٍ و ساهم في أُحد, كذلك هو شهد سائر المغازي مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم يتخلف عنه يوماً من الأيام رضي الله عنه و أرضاه.

كذلك كان بين بقية الصحابة من المنزلة و الفضل و المكانة, فلمّا توفِّيَ النبي صلى الله عليه و آله و سلم و انتقل إلى الرفيق الأعلى, في سقيفة بني ساعدة في تلك الأيام العصيبة بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم و الناس, لا سيما الأنصار قد اجتمعوا ليبايعوا واحداً من

الأنصار. ذهب إليهم أبو بكرٍ و عمر و أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه ليدركوا هذه الأمة قبل أن تختلف بعد موت نبيها صلى الله عليه و آله و سلم. فتقدّم أبو بكرٍ و تكلم في الناس, و مما قال و تـأمّلوا لـما قال: "رَضِيتُ لَـكُم أَحَـد هَـاذَين الرَّجُلَين, بَـايِعُوا عُمَرَ بن الخَطَّاب أو أبَـا عُـبَيدَة بن الجـرَّاح". رضي الصديق رضي الله عنه و أرضاه لأمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, رضي لها أبـا عبيدة رضي الله عنه و أرضاه لكي يتحمّل هذه الأمانة و يخلف النبي صلى الله عليه و آله و سلم, فأصرّ المسلمون إلَّا أبـا بكر رضي الله عن الجميع.

كذلك قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه في ظل خلافته بتولية أبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه و أرضاه لأموال المسلمين الذي عُرف بعد ذلك في خلافة عمر ببيت مال المسلمين. أبو عبيدة يتولى هذه المهمة, لِمَ؟ هو أمين هذه الأمة, كما نصّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شهد له.

كذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما شاهدا على أخلاق أبي عبيدة السامية السامقة الفاضلة العالية حيث قال: "مَـا مِن قُـرَيشٍ أَفضَـلُ مِـن هَـاؤلَاءِ الثَّلاثَةِ فِي أَخـلَاقِهِم, إِن حَـدَّثُوكَ لَم يَكذِبُوكَ وَ إن حَدَّثتَهُم لَمَ يُكَذِّبُوك, أَبُـو بَـكرٍ وَ عُـثمَانَ وَ أَبُـو عُـبَيدَة". هـاؤلاء في نظر ابن عمر و هو من أجلّاءِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و من علماء الصحابة, و إن كان من أصغرهم سنًّا و ليس فيهم صغير رضي الله عنهم جميعا. يشهد بهذه الشهادة, لِمَن؟ لِأَبِي عُبَيدَة رضي الله عنه و أرضاه.

كذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه و أرضاه و هو من علماء الصحابة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال: "**خُـذُوا القُـرءَانَ مِـن أَربَـعٍ**" -أو- "**مِن أَربَــعَة**". -و ذكر منهم من؟ ذكر منهم: "**عبد الله بن مسعود**". رضي الله عنه و أرضاه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه و أرضاه: " أَخِـلَّائِي مِن أَصحَـابِ رَسُـولِ اللهِ -صلى الله عليه و آله و سلم- ثَـلَاثَةٌ: أَبُـو بَـكرٍ وَ عُـمَر وَ أَبُـو عُبيدَة". هاؤلاء هو الذين اصطفاهم

ابن مسعود رضي الله عنه و أرضاه لنفسه من الأخلّاء و نصّ عليهم و اصطفى أبا بكر, اصطفى عمر, اصطفى أبا عبيدة رضي الله عن الجميع.

فإذن أبو عبيدة بن الجرّاح ليس بمنأى عن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, لا سيما في الفضل و في العلم و في التقديم, كلهم ينظر إليه بإجلال و بتوقير رضي الله عنه و أرضاه.

خالد بن الوليد, لـمّا سار و أتاه كمدد من العراق إلى الشام قال أبو عبيدة لَمَّا حضرت الصلاة, قال لخالد: "تَـقَدَّم وَ صَلِّ بِنَـا فَـأنتَ أَحَقُّ بِـالإِمَـامَةِ إذ أَنَّـكَ أَتَيتَ مَدَداً لَنَا". فقال خالد رضي الله عنه و أرضاه: "مَـا كُنتُ لِأَتَقَدَّمَ عَـلَيكَ وَ قَـد سَمِـعتُ النّبِيّ صلى الله عليه و آله و سلم يَقُـولُ: "**إِنَّ لِـكُلِّ أُمَّـةٍ أَمِـينًا وَ أَمِـينُ هَذِهِ الأُمَّـةِ أَبُـو عُـبَيدَة بن الجَـرَّاح**".- رضي الله عنه و أرضاه-.

في خلافة عمر بن الخطَّاب قام عم بعزل خالد بن الوليد رضي الله عنه و أرضاه و ولَّى على جيوش المسلمين أبَـا عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه و أرضاه. فكان من أسمى مماقب هذا الصحابي الجليل أنه كان على رأس المسلمين في تلك الواقعة العظيمة التي حصلت بين المسلمين و بين الروم في معركة اليرموك.

قد ذكرنا آنفا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه و أرضاه كان على رأس المسلمين في تلك الواقعة العظيمة بين المسلمين و بين الفرس, ألا و هي وقعت القـادسية. ثم نذكر في هذه الليلة أن أبا عبيدة هو من كان على رأس المسلمين في مقابلة الروم و في كسر الروم في الشام.

ولاه عمر بن الخطاب و بين عمر و أبي عبيدة من المودّة ما الله به عليم. كان بين أبي بكر و خالد بن الوليد من المودّة ما الله به عليم, و هكذا أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم. تجد هذا يحب هذا و يقدّمه على غيره و الآخر يحب الآخر أكثر من ذاك و يقدّمه على غيره. أبو بكرٍ يقول: "لَأُنسِينّ الرُّوم وَسَـاوِسَ الشَّيطَان بِخَـالِد بن الوَلِيد". -رضي الله عنه و

أرضاه-. و عمر يرى بتقديم أبي عبيدة رضي الله عنه و أرضاه, و سنجد من الوقفات أو المواقف بين عمر و بين أبي عبيدة ما يدلّ على منزلة أبي عبيدة عند هذا الفاروق عند هذا الملهم, عند هذا المُحَدَّث رضي الله عنه و أرضاه.

من تلك المواقف أنه التقى به في طريقٍ فقام عمر و هو أمير المؤمنين بتقبيل يد أبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنهم جميعا, ثمّ تفرّد به في الطريق و أخذا يبكيان رضي الله عنهم.

كذلك من المواقف كما ذكرنا أنه أمّره على جيش المسلمين و جعله على رأس حربة المسلمين في الشام, مما فتح الله عليه آنذاك هناك و صار أمير على الشام إلى أن توفاه الله سبحانه و تعالى.

كذلك من المواقف و هي كثيرة بين عمر و بين أبي عبيدة, لمّا سار عمر إلى الشام بلغه أنه قد حصل وباء في أرض الشام فقال: "إن أَدرَكَتنِي الوَفَاة وَ أَبُو عُبَيدَة حَيٌّ استخلَفتُهُ عَلَى أُمَّةِ النَّبِيّ -صلى الله عليه و آله و سلم- فَإن سَأَلَنِي الله كَيفَ استَخلَفتَ عَلَيهِم أَبـا عُبَيدَة قُلتُ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم يَقُولُ: "**لِـكُلِّ أُمَّـةٍ أَمِـينٌ وَ أَمِـينُ هَذِهِ الأُمَّـة أَبُو عُبَيدَة بن الجَرَّاح**".

لَمَّا وصل عمر إلى الشام تلقّى أبا عبيدة و قال: "سِر بِنَا إِلَى بَيتِكَ". يريد أن يتوحد به دون سائر الأمراء, كيزيد بن أبي سفيان و كعمرو بن العاصي رضي الله عنهم جميعا و كغيرهم. قال: "و الله يَا أَمِيرَ المُؤمِنين مَا تُرِيدُ إِلَّا أَن تَعصُر عَينَيكَ عَلَيَّ". قال: "سِـر بِي إِلَى بَيتِكَ". فَلَمَّا دخل بيت أبي عبيدة بن الجراح التفت يمينا و شمالا, لم يجد شيئا من متاع الدنيا, لم يجد إلّا سيفه و ترسه و فراش ينام عليه. فقال له في ذلك: " أَينَ المتَاع يَا أَبـا عُبَيدَة؟". قال: "هَذَا يُبَلِّغنَا المَقِيل". يعني بذلك و يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذي أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: "**مَـالِي وَ لِلدُّنيَـا مَـا أنَـا وَ الدُّنيَـا إِلَّا كَـرَاكِبٍ استَظَلَّ تَحتَ ظِـلِّ شَجَـرَة فَقـالَ ثُمَّ قَـامَ وَ تَرَكَهَا**".

هكذا كان أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه كما روى ذلك الإمام ابن المبارك في كتاب الزهد.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: "هَذَا هُو الزّهد وَ لَيسَ بِـزُهـدِ الفُقـراءِ".

أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه هو من أُمراء الجند في الشام, و مع ذلك لم يجد أمير المؤمنين في بيته أي شيء من متاع الدنيا الزائل, فبكى عمر و استعبر, فقال أبو عبيدة: " أَلَـم أَقُـل لَكَ يَـا أَمِـيرَ الـمُؤمِنِـين مَـا تُـرِيـدُ إِلَّا أَن تَـعصُر عَـينَيكَ عَـلَيَّ". فقال عمر: "كُلُّنَا غَـرَّتهُ الدّنيا غَـيرَكَ يَـا أَبَـا عُبَيدة". -رضي الله عنه الجميع-.

فكان أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه زاهدا في هذه الدنيا و هو من أعلى أو في أعلى مراتب الزهد.

كذلك لـمّا انتشر الطاعون في الشام, و هلك من هلك من المسلمين في ذلك الطاعون, و عَلِمَ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه بذلك, أراد أن يستنقد هذا الأمير, أراد أن يستبقيه, أراد أن يستأثر به لنفسه, لا سيما و هو يعلم فضل أبي عبيدة رضي الله عنه و أرضاه. فأرسل له: "عَـرَضَـت لِـي حَـاجَةٌ مَـاسَّة -ضرورية, إلى غير ذلك من تلك العبارات- وَ إِنِّي أَعـزم عَـلَيكَ إن بَلَغَكَ كِتَـابِي هذَا إِلَّا وَ أَن تَجِيءَ إِلَيَّ فَـوراً ".-أن تسرع إليّ-. فلمّا قرأ أبو عبيدة الكتاب فطن و تنبّه لما يريد منه أمير المؤمنين. فقال: "إِنَّهُ يُرِيدُ أَن يَستَبقِي مَن لَيسَ بِبَاقٍ". -"إنه يريد أن يستبقي من ليس بباقٍ!". فكتب له يستعفيه من ذلك و يستأذنه في عدم المجيء, لِمَ, ما السبب, ما العلّة؟ قال: " أَنـا عَلى جُندٍ مِن أَجنَـادِ المسلِمِينَ, لَا أَستَـأثِر بِنَفسِي دُونَهُم". -"لا أستبقي نفسي عليهم أو أفضلها عليهم فأخرج و أجعل الموت يصارع أولائك الأجناد"-. فكان رضي الله عنه و أرضاه لا يرى في نفسه علوًّا على سائر رعيّته و على سائر أجناده رضي الله عنهم جميعاً.

فلمّا وصل الكتاب إلى عمر رضي الله عنه و أرضاه فقرأه, استعبر عمر و بكى, قالوا: "ما الخطب, ما الشأن؟ أمات أبو عبيدة؟". قال: "لَا". قال: "لَا وَ لَكِن قد أَن". -أَي قَد يكُون ذلك, قد يقرب أجله رضي الله عنه و أرضاه-. فخاف عمر عليه و بكى.

عمر رضي الله عنه و أرضاه كما يروي أبو نعيم في حلية الأولياء و الإمام البخاري رحمه الله في كتاب التاريخ الصغير أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه جلس مجلساً مرّة مع بعض أهل مشورته من المسلمين فقال: "تمنّواْ". فقال رجل: "أَمَّـا أنَا فَـأتمَنّى مِلءَ هَذَا البَيت"-أو- "أَن يَمتَلِئَ هذا الدّار بـالدراهم". -لِمَ؟ هل ليجعلها لنفسه؟- قال: "فَـأُنفِقها كلّها فِي سَبِيل الله". قال: "تَمَـنَّواْ". قال الآخر: "أَمّـا أنَا فَأتَمَنَّى مِلءَ هَذَا الدّار مِن الجَـواهِر فَـأُنفِقها كُلّها فِي سَبِيل الله". سبحانه و تعالى. -تـأمـلوا إلى تلك الأمنيات البعض إذا قيل له تمنى يقول أتمنّى بيتاً أتمنى سيارة أتمنى كذا و كذا و كذا من متاع الدنيا الزائل, أولائك الأقوام من أهل مشورة عمر من جلساء عمر, و الطيور على أشكالها تقع, لا يتمنون إلا تلك الأمور العالية التي ترفع مكانهم عند من؟ عند الله سبحانه و تعالى. يتمنون تلك الأموال الطائلة لكي ينفقوها في سبيل الله سبحانه و تعالى و لا تثريب عليهم و لكن تـأمـلو لما قاله أمير المؤمنين عمر, قيل له: "تَمَنَّى أَنتَ يَـا أَمِير المؤمِنين". قال: " أَمَّـا أَنَـا فَـأَتَمَنَّى مِلءَ هَذَا الدَّار بِـرِجَـالٍ مِـن أَمثَـالِ أَبِي عُـبَيدَة بن الجَـرَّاح".-رضي الله عنه و أرضاه-."أن يمتلئ هذا الدار رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح!".- رضي الله عنه و أرضاه-. لِمَ؟ لكي يستخدمهم في طاعة الله سبحانه و تعالى لأنه يعلم أن أبا عبيدة يقوم في نصرة هذا الدين خير قيام, و لا يفرّط في ذلك و لا يُسَوِّف في ذلك رضي الله عن الجميع.

أبو عبيدة كان ينصح أجناده عند المعارك, و من جميل ما قال و هو في الصفوف, يقول: "أَلَا رُبَّ مُبَيِّضٍ لِثِيَابِهِ مُدَنِّسٌ لِدِينِه, أَلَا رُبَّ مُعِزٍّ لِنَفسِهِ وَ هُوَ لَهَا مُهِين". قال: "أَتبِعوا السَّيِّئات القَدِيمَات بِالحَسَنَاتِ الجَدِيدَات". فهو رضي الله عنه و أرضاه يذكّر من جعله الله سبحانه و تعالى عليهم راعيًا و مسئولاً, يذكّرهم بماذا؟ "أَلَا رُبَّ مُبَيِّضٍ لِثِيَابِه". يهتم بهندامه, بمظهره أمام

الناس و هو مدنِّسٌ لِدينه, تراه في أعلى و أسمى أُبَّهة, يخرج على الناس في الفضائيات, في الإعلام و هو مهين لدينه, و هو مدنّس لدينه مسوّد لصحائفه و العياذ بالله, سواء يظهر في تبييض ثيابه الدُّنيَويّة أَو يظهر بتبييض ثيابه الأُخرَوِيّة, بأنه يراءي أمام الناس بأعماله الصالحة و لا حول و لا قوة إلا بالله, و هو في الحقيقة ممن يدنس لدينه. كذلك رُبّ معز لنفسه و هو لها مهين. معز لنفسه بتلك المناصب الدُّنيَوِيّة التي لا تقدّم و لا تؤخّر فهو يتعالى على خلق الله و على دين الله, يمتنع عن الحكم بشرع الله سبحانه و تعالى و يطلب العزة في غير شرع الله سبحانه و تعالى, كما جاء في الأدب المفرد عند البخاري و جاء في مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: **"مَـن تَـعَزَّى بِعَزَاءِ الجَـاهِلِيَّة فَـأَعِضُّـوهُ عَلَى هِنِ أَبِـيهِ وَ لَا تَكنُوا"**. مَـا مَعنَى ذلِك؟ أي من طلب العزة عند تقاليد و تعاليم و بنود أهل الجاهلية من الحكم بغير الشريعة, بشريعة رب البرية, يقدّم القوانين الوضعية مثلا على القوانين السماوية. فهذا يطلب العزة و يتعزّى بعزاء الجاهلية, **"فأعضّوه على هن أبيه و لا تكنوا"**, هذا ليس من كلامي و لا من كلام السلف من الأوّلين و لا من بعض المتأخّرين و لكنّه من كلام رسول رب العالمين, من كلام الصادق الأمين صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَـن تَـعَزَّى بِـعَزَاءِ الجَـاهِلِيَّة فَـأَعِـضُّـوهُ عَلَى هِـنِ أَبِـيهِ وَ لَا تَكنُوا"**.

أبو عبيدة يذكر في هذا المقام الذي هو في مناكفة أعداء الدين , يذكّر بهذا الأمر الخطير: "أَلَا رُبَّ مُعِزٍّ لِنفسِهِ وَ هُوَ لَهَا مُهِـينٌ". -أي يطلب العزّة في تلك الأمور التي لم يذكر الله سبحانه و تعالى و لا رسوله صلى الله عليه و آله و سلم أنها مما تعزّ المسلم سواء كان في الدنيا أو في الآخرة, بل قد تكون تصادم لكلّ ذلك, و قد مرَّ معنا آنفاً في سيرة عمر تلك الكلمة المشهورة السائرة الخالدة ألا و هي: قال عمر: "نَحـنُ قَـومٌ أَعَـزَّنَـا اللهُ بِـالإِسـلَامِ, فَمَهمَا ابتَغَينَا العِزَّ فِي سِوَاه أَذَلَّـنَا الله"-. قال أبو عبيدة: "أَتبِعُوا السَّيِّـئَاتِ القَـدِيمَـات بـالحَسَنَاتِ الجـدِيدَات". في وقت الشدائد, في وقت المحن لا بدّ من تجديد التوبة, لا بدّ من الرجوع لله سبحانه و تعالى, لمّ؟ لأنّ الفرج عنده سبحانه و تعالى, النصر من عند الله سبحانه و تعالى,

فإذن لا بدّ من العودة و لا بدّ من التوبة و لا بد من الأوبة لله سبحانه و تعالى, و قد بين الله سبحانه و تعالى: {إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذهِبنَ السَّيِّئات}. و بيّن النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيما رواه الترمذي رحمه الله أنه قال: **"وَ أَتبِع السَّيِّئَة بِالحَسَنَةِ تَمحُهَا"**. فتُتبع السيئات القديمات بالحسنات الجديدات كما نص على ذلك أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه.

و مما ينبغي الإشارة هاهنا أن الذنوب و السيّئات القديمات تنقسم و هي مراتب عديدة.

أوّلا: الكفر و الشرك و العياذ بالله, فهذا لا يغسله ماء البحر, التوبة من ذلك بالإسلام و بالرجوع إلى دين الله سبحانه و تعالى من الباب الذي خرج منه من الناقض الذي ارتكبه, يتوب من ذلك الناقض, عند ذلك يرجع إلى حضيرة الإسلام, أمّا الصلاة و الصيام و الحج و العمرة إلى غير ذلك فهي لا تُكفِّر الكفر و الشرك و العياذ بالله, لا يكفّرها إلا العودة إلى الإسلام بالتوبة الصالحة لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو.

كذلك هناك مرتبة أخرى من مراتب السيئات و هي الكبائر و الموبقات كالزنا و شرب الخمر و الكذب و العقوق و القتل و غير ذلك من المعاصي السيئة, هذه ماذا يكفّرها؟ تكفرها أمور عديدة منها فيما ذُكِرَ في النصوص, التوبة. و منها الشهادة في سبيل الله كما جاء عند أبي داود و عند أحمد: أَنَّ **"لِلشَّهِيدِ عِندَ اللهِ ستّ خِصَال"**.- و في رواية-. **"سَبعُ خِصَالٍ"**. و منها: **"يُغفَرُ لَهُ عِندَ أَوَّلِ قَطرَةِ دَمٍ"**.-أو-.**"دَفعَةِ دَمٍ مِن دَمِهِ"**. كذلك جاء عند النسائي من قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"السَّيفُ مَحَّاءٌ لِلخَطَايَا"**. فإذَن مما يكفّر الله سبحانه و تعالى به السيئات, و هي من الكبائر و من الموبقات, الشهادة في سبيل الله. كذلك مما يكفرها, يكفر هذه المرتبة, أو المرحلة, الحج المبرور, كما جاء عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَن حَجَّ وَ لَم يَرفُث وَ لَم يَفسُق عَادَ كَيَومِ وَلَدَتهُ أُمُّه"**. كذلك مما يُكفّر هذه المرتبة من السيئات, الحدود, إقامة الحدود الشرعية المرعية على من اقترف شيئا مما يوجب الحدّ الشرعي كفّارة له كما قال صلى الله عليه و آله و سلم كما في الصحيحين:

"فَمَــن أَصَــابَ مِـن تِـلكَ القَـاذُورَات شَيئًا فَـأُقِيـمَ عَلَيهِ الحَـدُّ فَهُوَ كَفَّـارَةٌ لَـهُ وَ إن لَم يَتُب".-**"وَ إن لَم يَتُب"**!. زنـا فَأُقِيم عليه الحد الشرعي للزنا فهو كفارة له. أمَّـا لو سُجِن و عوقب بـالعقوبات الوضعية فليس بكفارة له و لو كانت تلك العقوبات أشدّ و أنكى من العقوبات الشرعية التي جاءت في كتاب الله و في سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, فيه ليست من الكفّارات في شيء.

أمَّـا المرحلة الأخيرة من الذنوب و هي الصغائر التي قلّما ينجو منها إنسان فيكفّر تلك الذنوب و يمحوها, جاء عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"الصَّـلَاةُ إِلَى الصَّـلَاةِ, الجُمعَةُ إِلى الجُـمعةِ, العُـمرَةُ إِلَى العُـمرَةِ"**. جاء كذلك عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما عند مسلم من حديث أبي قتـادة رضي الله عنه و أرضاه: **"صِـيَامُ يَـومِ عَـرَفَـة"**. كذلك في نفس الحديث: **"صِيَامُ يَـومِ عَـاشُـورَاء"**. و غيرها من الأمور الكثيرة التي يكفّر الله سبحانه و تعالى بها الصغائر إذا اجتُنِبَت الكبائر.

فيذكّر أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه و أرضاه من ولاه الله سبحانه و تعالى, لا سيما في المعارك لا سيما عند الكرب لا سيما عند المحن بالرجوع إلى الله سبحانه و تعالى و بتجديد التوبة, لأنه و للأسف يظن البعض أنه إذا تديّن و أطال لحيته و قصر ثوبه لا تلزمه التوبة, لعله يستمر السنوات العديدة و هو لا يجدد التوبة, بظن أن التوبة خاصة بمن؟ بأهل الفسق و المعاصي و بـالمجاهرين بالذنوب و غير ذلك, بينما النبي صلى الله عليه و آله و سلم الذي غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر كان كما جاء في حديث أنس و في حديث أبي هريرة و في غيرها من الأحاديث يستغفر و يتوب إلى الله سبحانه و تعالى في المجلس الواحد في بعض الروايات سبعين مرّة, و المجلس الواحد في بعض الروايات مائة مرة! هذا هو النبي صلى الله عليه و آله و سلم المعصوم, هذا هو النبي صلى الله عليه و آله و سلم الذي غُفِر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر. لَمّا استرجعته عائشة في بعض تلك المسائل لطول قيامه من الليل أن الله

سبحانه و تعالى قد غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر, قال: **"أَفَلَا أَكُونُ عَبدًا شَكُوراً"**. فهكذا ينبغي على عامة المسلمين و أنا أخصّ نفسي بهذه التذكرة أوّلًا أن نجدد التوبة مليا مرارا و تكرارا في اليوم و الليلة و لا نستنكف عن ذلك.

ابليس وقع في الذنب لكنه حُرِم من التوبة, فهو يغضب للتائب من الذنب أعظم من غضبه ممن لم يذنب, هكذا قال بعض أهل العلم رحمهم الله رحمة واسعة.

إذن نخلص إلى هذه الفائدة من فوائد أبي عبيدة رضي الله عنه و أرضاه و هي كثيرة جدًّا.

توفّي هذا العلم الكريم الشهم الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الطاعون في الشام, أصابه ذلك الطاعون فمات رضي الله عنه و أرضاه, و قد أُثِر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما في البخاري و مسلم أن الطاعون شهادة, و كذلك في ما جاء من حديث سعد رضي الله عنه و أرضاه لَمَّا سأل النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَاذَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ فِي أُمَّتِي"**. قالوا: "مَن قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ". قال: **"إِذَن شُهَدَاءُ أُمَّتِي قَلِيلٌ"**. ثم عدّد النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال مما قال: **"الحَرِيقُ شَهِيدٌ وَ الغَرِيقُ شَهِيدٌ وَ صَاحِبُ الهَدمِ شَهِيدٌ"**. و في بعض الروايات: **"النُّفَسَاءُ شَهِيد"**. -أي التي تموت في النفاس و هي تلد- كذلك ذكر النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"وَ المَطعُونُ شَهِيدٌ"**.-أي الذي مات بمرض الطاعون-. و كذلك قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: **"وَ المَبطُونُ شَهِيدٌ"**. أي الذي مات بمرض في بطنه. فهاؤلاء يرجى لهم الشهادة و أنّ الله سبحانه و تعالى يرفعهم إلى درجة الشهداء بفضله و منه سبحانه و تعالى.

مات أبو عبيدة رضي الله عنه و أرضاه في سنة ثمانية عشر من الهجرة و قد ناهز أو و هو ابن ثمان و خمسين سنة رضي الله عنه و أرضاه.

هذا بعض ما يتعلق في سيرة هذا الصحابي الجليل.

و الله سبحانه و تعالى أعلم

و صلى الله و سلم على نبيّنا محمـد و على آله و صحبه أجمعين

الدَّرْسُ العَـاشِـرُ: سَعِـيدُ بن زَيـد

بسم الله الرحمـن الرحـيم

الحمد لله معزّ من أطاعه مذلّ من عصاه و الصلاة و السلام على نبيّه و مصطفاه و على آله و صحبه و من والاه.

أمّا بعد: فإبراهيم عليه السلام هو شيخ الملّة و أبو الأنبياء, دعا الناس لعبادة الله سبحانه و تعالى, لتوحيد الله سبحانه و تعالى. {إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}. ابراهيم عليه السلام كان أُمّة لوحده, على التوحيد على الإيمان على نبذ الشرك و الكفران. دعا الناس فأخرج الله سبحانه و تعالى من أبنائه لمن يجدد الدين و يدعو لسنة الخليل عليهم أفضل الصلاة و أتم التسليم. فكانت جزيرة العرب على التوحيد الصافي الخالص لله سبحانه و تعالى ردحا من الزمان طويل الكل يعبد الله سبحانه و تعالى لا يذبح إلّا لله لا يدعو إلّا الله لا يستغيث إلّا بالله لا يستعين إلا بالله, لا يتحاكم إلّا لشرع الله.

هكذا ساروا سنوات و سنوات إلى أن جاء عمرو بن لحي, و كان من الموحّدين في بداية أمره ثم ذهب إلى بعض البلادين فنظر إليهم فإذا هم يعبدون غير الله سبحانه و تعالى, لماذا يعبدون الأصنام؟ يقولون بزعمهم أنهم يتقرّبون بها إلى الله سبحانه و تعالى, أنّهم ليسو بأهل للعبادة المباشرة لله سبحانه و تعالى, ليسو بأهل لأن يدعو الله سبحانه و تعالى. قال, فلا بد من واسطة لا بد من التوسل بهاؤلاء الصالحين بهاؤلاء التماثيل و الصور التي وُضِعت لأُناسٍ قيل أنهم من أهل الصلاح يدعونهم من دون الله, يتضرّعون بهم, يستشفعون بهم, يتوسّلون بهم, يذبحون إليهم, يطوفون بهم, إلى غير ذلك من أنواع الشركيات و العياذ بالله.

فقام عمرو بن لحي بأن جاء بالدساتير, عفواً بالأصنام* و هو أوّل من أدخلها إلى جزيرة العرب, إلى بلاد الحرمين, لِمَ؟ لكي تُعبد من دون الله. فجاء بأنموذج من تلك التماثيل, جاء بهبل و أدخله إلى الحرم, استحسن ذلك بعقله, باجتهاده, برأيه و قدّمه على النص, و أنتم تعلمون, إذا حضر الأثر سقط النظر, جاء و اجتهد في أعظم أُصول الدين من باب الإستشفاع بالصالحين. و كما جاء خبره عند البخاري في صحيحه: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أخبر و قال أنه رأى عمرو بن لحي في النار يجر أقتابه في النار, لِمَ؟ لأنه هو أوّل من ابتدع الشرك هو أول من اخترع الشرك هو أول من جاء بالشرك و العياذ بالله, و هكذا كل من يسير على خطى عمرو سواء كان شركه من باب القبور أو من باب القصور, سواء كان شركه يتعلق بتوحيد النسك و العبادة و الدعاء أو كان شركه يتعلق بتوحيد الحاكمية و الحكم و التشريع و القضاء, أو كان شركه يتعلق بالولاء و البراء إلى غير ذلك من الأبواب.

فإذن أوّل من يسن السنة في الشرك أو في البدعة أو في الشر, فكما قال صلى الله عليه و آله و سلم: **"مَـن سَـنَّ فِي الإِسـلَامِ سُـنَّة سَـيِّئَة فَعَـلَيهِ وِزرُهَـا وَ وِزرُ مَـن عَـمِلَ بِـهَا إِلَى يَـومِ القِـيَامَـةِ"**. {إذ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَواْ العَذَابَ وَ تَقَطَّعَت بِهِمُ الأَسبَاب }.

لِمَاذَا نتكلَّم بهذه الديباجة و نحن في هذه الليلة و إياكم نتكلم عن سعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاعه, أحد المبشّرين العشرة بالجنّة الذين شهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم لهم بالجنة؟ لأنّ أباه كان على التوحيد في زمن الغربة, كان على الإيمان في زمن قلّ أن يوجد فيه من يوحّد الله سبحانه و تعالى, و لا يشرك به شيئاً لا سيما في توحيد العبادة لا سيما في توحيد الألوهية. نعم إن أغلب قريش يوحدون الله سبحانه و تعالى في الربوبية, يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبّر المشرع الحكم, لكن لا يفردونه بالعبادة.

خرج زيـد بن عـمرو بن نـفيل والـد سـعيد رضي الله عنه و رحم الله أبـاه, وسط هذا الزخم العظيم من الإشراك بالله, من البعد عن الله, من المعاصي من الفجور, خرج وحيداً غريباً فريداً لا يَعبُد إلّا الله. خرج منكراً على قومه, ينكر عليهم ماذا؟ أوّل ما ينكر ينكر الإشراك بالله سبحانه و تعالى, كانوا يطوفون بـالبيت و يقولون و يلبّون بقولهم: "لبّيك اللهمّ لبّيك, لبّيك لا شريك لك لبّيك, إلّا شريكاً هو لك تملكه و ما ملك". -حسبنا الله و نعم الوكيل, و معاذ الله سبحانه و تعالى أن يُشرك به غيره-.

فإذن هـاؤلاء المشركون من قريش حينما يرددون هذه العبارات الشركية, كان ينهاهم زيد بن عمرو بن نفيل: "حَسبُـكُم حَسبُـكُم!". عند ماذا؟ عند التوحيد, لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك.

كذلك كان ينكر عليهم الذبح لغير الله. روي فيما رواه ابن هشـام و غيره أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل البعثة, هو و زيد بن حـارثة رضي الله عنه و أرضاه كانا على سُفرة للطعام فرأوا زيداً, رأوا زيد بن عمرو بن نفيل, فدعاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم للأكل من تلك الوليمة فقال زيد بن عمرو: "أمَّـا أنا فَلَا آكُل مِمَّـا ذُبِـحَ عَلى النُّصُبِ". كان لا يأكل مما ذُبح لغير الله و على إسم غير الله, و لكن هل النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يفعل ذلك؟ حاشاه حاشاه! كان صلى الله عليه و آله و سلم معصوماً قبل البعثة كما أنه كان معصوما بعد البعثة في مثل هذه المسائل, و لكن قيل أن زيد بن حارثة هو الذي ذبح على النصب و لمّا رءاه مع النبي لم يأكل. و قيل أن هذه الذبيحة ذُبحت على اسم الله و لكن في مكان يُذبح فيه لغير الله, فزيد بن عمرو أخذ بظاهر الأمر أنها ذُبحت على غير اسم الله, و إنما الأعمال بالنّيّات كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه و أرضاه كما رواه البخاري و مسلم. و قيل غير ذلك و لكنّ الشاهد أنَّ زيـد بن عمرو رحمه الله كان لا يـأكل ممّا ذُبح على النصب.

كذلك كان ينكر عليهم الفواحش كان ينكر عليهم الموبقات, يقول: "يَـا مَعشَرَ قُرَيش إِيَّـاكُم وَ الزِّنَـا, فَإِنَّهُ يُسَبِّبُ الفَقر". هكذا قال زيد رحمه الله في الجاهلية الأولى, أمّا في الجاهلية الحديثة فإنّهم يجعلون رأس اقتصادهم على الزّنا و الخنا و الفواحش ما ظهر منها و ما بطن, على ماذا؟ يسمونها بالسياحة, و هي الصياعة و لا حول و لا قوّة إلّا بالله, بينما زيد كان في ذلك المجتمع الموبوء بالشركيات بالكفريات, بالفواحش بالفتن, كان ينكر ذلك, يقول: "إِيَّـاكُم وَ الزِّنَـا فَإِنّه يُسَبِّبُ الفَقر". هكذا من فراسته رحمه الله و من بعد نظره رحمه الله كان ينكر ذلك و هو ليس بحديث عهد بدين و لا برسول بل إنّ الرسالة السماوية قد حُرِّفت آنذاك, دين إبراهيم قد دخله من التشويه و من التزوير و من التدليس ما الله به عليم حتى اختلط كل ذلك على الناس.

كذلك كان ينكر عليهم شرب الخمر, كذلك كان ينكر عليهم وأدُ لبينات, كان يذهب لكل من يراه أو سمع عنه أنه سيئِد ابنته مخافة الفقر, يذهب و يعطيه الأموال و يطلب تربية هذه البنت حتى ينشِّئها عنده, فلمَّا تكبر يقول لأبيها: "إن شِئتَ فَخُذهَا و إن شِئتَ فَأنَا أتكفَّل بها".

هذه بعض المناقب لزيد بن عمرو, والد من؟ والد سعيد رضي الله عنه و أرضاه. كان يريد دين إبراهيم, كان يريد الحنيفيّة السمحة, لذلك لم يكتفي بالجلوس و القعود في داره بل قام و نهض و أخذ يبحث بين الناس عن دين إبراهيم, ذهب إلى الشام يبحث و يسأل الرهبان, يسأل أهل الكتاب عن دين إبراهيم حتى وُفِّقَ إلى راهبٍ من الرهبان, فقال له و أرشده أن هذا الزمان, هذا الوقت هو وقت خروج نبي يخرج من بلدك, يخرج من مكة, فسار إليه فقُتِل في الطريق رحمه الله. لذبك قام سعيد بن زيد بسؤال النبي صلى الله عليه و آله و سلم, قال: "يَـا رَسُـولَ اللهِ قَد بَلَغَكَ عَن أَبِي مَـا بَلَغَكَ, فَهَل هُوَ فِي الجَنَّةِ؟". قال: **"يُبعَـثُ يَـومَ القِـيَامَـةِ أُمَّــةٌ لِـوَحدِهِ"**. كما روى ذلك الإمـام أحمد. و استغفر له النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال كما روى ابن عسـاكر رحمه الله: **"إِنِّي دَخَـلتُ الجَـنَّة فَـرَأَيتُ دَوحَـتَين لِـزَيد بن عَـمرو**

بن نُـفَيل".-رحمه الله-. على ما قدّم و ثبت و صبر على ملّة إبراهيم في الوقت الذي حورب لأجل ذلك, لأجل دعوته على قصر العلم الذي عنده, الذي بين يديه, حتى قام عمّه و هو الخطّاب والد عمر بالتنكيل به, و وكّل به سفهاء أهل مكّة من الصغار, سفهاء الأحلام يسيرون خلف زيد فيرمونه بالحجارة و يسبونه و يتكلّمون عليه و يكذبون عليه, كما تُوكّل اليوم وسائل الإعلام المختلفة بالثلّة المؤمنة الصالحة التقية النقية, يكذبون عليهم في الجرائد في الصحف في المجلّات في المرئيّات في السمعيات إلى غير ذلك بأكاذيب لها أول و ليس لها آخر, في كل يوم في كل ليلة نسمع و تسمعون كما يسمع العالم بكذبة جديدة, على من؟ على الموحدين على الصادعين على الصالحين على المجاهدين, على العلماء الربانيين, يشوّهون طريقهم بالأكاذيب و بالإفتراء و بالبهتان. كذلك كان يُفعل لمن؟ لزيد رحمه الله.

فلكم أُسوة حسنة فيه رحمه الله, لا سيما أنه ثبت في زمان ليس فيه من أهل التوحيد إلّا أُناس يُعَدُّون على الأصابع, كزيد هو, و كورقة بن نوفل و كغيرهم, الشاهد, لا تعجبوا بعد ذلك إن خرج ابنه من العشرة المبشّرين بالجنّة. فكما قالت العرب: "هَـذَا الشِّـبلُ مِـن ذَاكَ الأَسَـد وَ يَـنشَأُ نَـاشِئ الفِتيَانِ فِينَا كَمَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُـوهُ". فعوّده على هذا الدين, على التوحيد الخالص, على الإيمان بالله سبحانه و تعالى, و عدم الإشراك به شيئا لذلك كان سعيد من السبّاقين الأوّلين الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم, آمن بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل أن يدخل دار الأرقم بن أبي الأرقم, أسلم قبل ابن عمّه عمر, أسلم هو و زوجته, من؟ فاطمة بنت الخطّاب ابنة عمه, أخت عمر بن الخطاب, أسلم هو و أخت عمر خلسة, سرًّا خوفًا من عمر و خوفًا من بطش عمر كما مر معنا في سيرة عمر رضي الله عنه و أرضاه, ما أسلم عمر إلّا في بيت سعيد رضي الله عنه و أرضاه, سعيد يقول كما جاء في البخاري أن عمر كان يوثقه في الحديث, و كان يعذبه لأجل أن يرجع و يعود عن دين الله سبحانه و تعالى فصبر و ثبت حتى أسلم عمر على يده و على يد أخته عمر فاطمة التي هي

زوجة سعيد, كانا سبباً من أسباب إسلام الفاروق, و حسبك بهذه منقبة عالية جليلة لسعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه.

كان ممن عاش مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في مكة و نال ما ناله المستضعفين من المسلمين, ناله ما ينال و ينزل على المستضعفين من المسلمين ثم هاجر مع من هاجر إلى دار الهجرة إلى المدينة.

في المدينة شاركة في جميع المغازي, شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلّا غزوة بدر, لِمَ؟ لأن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أرسله كما أسلفنا في درس طلحة رضي الله عنه و أرضاه, أرسله هو و طلحة يتحسسان أمر عير قريش, فلمَّا ذهبا في ذلك, فلم يرجعا و لم يعودا إلّا في اليوم الذي وقعت في واقعة بدر, فلمّا عاد النبي صلى الله عليه و آله و سلم قسم لهم و أسهم لهم و عدّهم من أهل بدر, لِمَ؟ لأنّهم شاركوا في تلك الأعمال العسكرية التي بها تُستفتح تلك الغزوة, فاستعان النبي صلى الله عليه و آله و سلم بهم و ما تخلّفوا عن الغزوة إلّا بأمره, كما أمر النبي صلى الله عليه و آله و سلم عثمان بن عفّان حيث أمره أن يجلس عند زوجته بنت النبي صلى الله عليه و آله و سلم لـمّا بلغ بها المرض ما بلغ و قد أشرنا إلى ذلك في درس عثمان رضي الله عنه و أرضاه.

ثمّ جاءت خلافت الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم و أرضاهم.

في خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم و أرضاهم لم يكن سعيد بن زيد بمنأى عن خط الإسلام الأوّل حيث كان مع أبي عبيدة رضي الله عنه و أرضاه في فتوحات الشام, فولّاه أبو عبيدة على دمشق, كان أوّل والي للمسلمين يلي على دمشق, نسأل الله سبحانه و تعالى أن يهيِّءِ لأهل دمشق من يليها من أحفاد سعيد و من أحفاد سعد و من أحفاد أبي عبيدة و من أحفاد خالد و من أحفاد الصحابة و القرابة رضي الله عنهم جميعا.

كذلك كان في سائر عهد الخلفاء الراشدين, عمر رضي الله عنه و أرضاه نصّ على الستة من أهل الشورى الذين مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عنهم و هو راض ذكرهم: عثمان و علي و طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف. لِمَ لَم يذكر معهم و من بينهم سعيد بن زيد؟ أَلَيسَ هو من أهل تلك المكانة؟

قال الإمام شمس الدّين الذهبي رحمه الله: "بَـلَى هُـوَ لَـم يَـكُن بِأَقَـلّ مَـرتَـبَةً وَ مَنزِلَـة عَن أُولَائِـكَ السَّـابِقِـينَ الأَوَّلِـينَ, عَن أُولَائِكَ الثُّـلَّة الذِينَ مَـاتَ النَّبِيّ صلى الله عليه و آله و سلم عَنهُم وَ هُوَ رَاضٍ وَ لَكِنَّ عُـمَر لَم يَنُصّ عَـلَى إِسـمِ سَعِيد". -لِمَ؟-."لِأَنَّـهُ ابن عَمّه".

كذلك هو ختنه زوج أخته, لذلك قال: "لَو وَلَّاهُ وَ نَصَّ عَلَيهِ بِالخِلَافةِ لَقَالَ الرَّافِضِيّ: يداهن في دين الله, يحابي في دين الله, يقرّب أقاربه و يجعلهم على الولايات العامّة على المسلمين". فعمر تنزّه عن ذلك من باب السياسة الشرعية حتى لا يقال: "إنّ عمر يقرّب أقاربه". لِيدفع عن نفسه حظوظ النفس و الهوى و الشيطان و لا يكون أي مدخل أو أي شائبة في هذا الشأن و في هذا السبيل.

إذن, فسعيد رضي الله عنه و أرضاه هو من العشرة المبشّرين بالجنة و هو لم يكن بأقل من هاؤلاء الصحابة الأجلّاء و لكنّ عمر أخّره لهذا السبب.

عندما تقرأون في سيرة سعيد, عندما تبحثون في ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه لا تجدون تلك الورقات الكثيرة في ترجمته رضي الله عنه و أرضاه, لا تجدون إلّا صفحات يسيرة عن سيرته. تجدون بعض أوصافه, كان رجلا آدم أي أسمر اللون, طوالا كعادة بني عدي, إذ هو قرشي عدوي من أبناء عمومة عمر بن الخطّاب رضي الله عنهم جميعا. تجدون بعض مواقفه و بعض كراماته كما حصل له في زمن الخلفاء أنه رضي الله عنه و أرضاه افترت عليه امرأة و هي أروى لنت أويس و قالت إنه أخذ أرضا من أراضيها, اشتكته و حاكمته إلى مروان بن الحكم, فقال سعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه: "مَـا كُنتُ لِأَفـعَلَ ذَلِكَ وَ قَـد سَمِـعتُ مِن

النَّبِيِّ -صلى الله عليه و آله و سلم- أَنَّهُ قَالَ: **"مَـن اِغـتَصَـبَ شِـبراً مِـنَ الأَرضِ طَـوَّقَـهُ اللهُ بِسَبعَةِ أَرَاضِـينَ"**. قال: "مَـا كُنتُ لِأَفعَلَ وَ أنَـا سَمِعتُ ذَلِكَ مِن رَسُـولِ اللهِ -صلى الله عليه و آله و سلم-".

هكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم, كانوا وقَّـافِين عند حدود الله, كانوا لا يتسلَّون بالعلم, لا يأخذون العلم للتسلية, للقراءة فحسب, للإطلاع, للإستزادة, بل يأخذون العلم للعمل به, كما جاء عن عمر رضي الله عنه و أرضاه أنه تأخّر السّنوات العديدة في حفظ سورة البقرة, قيل في ثمان سنين و قيل في عشر سنين, هذه السورة التي يحفظها بعض الطلبة اليوم في شهرين أو في أقل من ذلك أو في أكثر من ذلك, بينما عمر, لِمَ يَحفظهَا فِي تلك السنوات العديدة المديدة؟ قالوا: لأنّه لا يتجاوز آية إلّا بعدما يتعلم ما فيها من علم و يعمل بما جاء فيها.

هكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم, و كان سعيد من أولائك النفر, لذلك قال: "مَـا كُنتُ لِأَفـعَلَ ذَلِكَ" -أن أغتصب أرضا, أن أغتصب مالا- "وَ قَد سَمِـعتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه و آله و سلم- يقولُ ذَلِكَ الحَدِيث". فقال مروان: "لَا أُرِيدُ بَيِّنَة عَلى ذَلِكَ بَعدَ أن سَمِعتَ مِن كَذَلِكَ". قال سعيد رضي الله عنه و أرضاه: "اللَّهُمَّ إِن كَـانَت كَـاذِبَة فَـأَذهِب بَـصَرَهَا وَ أَمِتهَا فِي أَرضِـهَا". فما لبثت إلّا أن ذهب بصرها ثم سارت في أرضها فسقطت في حفرة فماتت.

هكذا هي دعوات الصالحين, كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أَتَـهَــزَأُ بِـالـــدُّعَـــاءِ وَ تَـزدَرِيــهِ وَ مَـا تَـدرِي بِـمَا فَـعَلَ الـدُّعَـاءُ

سِــهَامُ اللَّـــيلِ لَا تُـخـطِي وَ لَـكِن لَـهَـا أَمَــدٌ وَ لِـلأَمَــدِ اِنـقِضَـاءُ.

النبي صلى الله عليه و آله و سلم أوصى عماله, أوصى من يرسله: **"وَ اتَّـقِي دَعـوَةَ المَظلُوم, فَلَيسَ بَينَهَا وَ بَينَ اللهِ حِجَـاب"**. هكذا كانت دعوة سعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه.

نقول, حينما تبحثون في سيرته رضي الله عنه و أرضاه لا تجدون تلك الصفحات الكثيرة التي سُوِّدَت بالحبر, و إنّما تجدون كلاما قليلا و لكنه كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد و الترمذي و غيرهما عن سعيد بن زيد رضي الله عنه و أرضاه أنه دخل في الكوفة على بعض عمال الكوفة فسمع بعضهم أو من بعضهم أنه يتناول عليًّا بالسلب و الثلب, رضي الله عن عليّ, فقال: "كَيفَ تَسمَعُ لأَصحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم يُسَبُّون في مجلِسِكَ وَ لَا تُنكِر عَلَيهِم, أَمَا إِنِّي سَمِعتُ مِن رَسُولِ الله صلى الله عليه و آله و سلم بِأُذُنَيّ وَ وَعَاهُ قَلبِي وَ مَا كُنتُ لِأَكذِبَ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه و آله و سلم. أنه يقول: **"أَبُـو بَـكرٍ فِي الجَنَّةِ وَ عُـمَرُ فِي الجَـنَّةِ وَ عُـثمَانُ فِي الجَنَّةِ وَ عَـلِيٌّ فِي الجَنَّـةِ وَ طَـلحَةُ فِي الجَنَّةِ وَ الزُّبَـيرُ فِي الجَـنَّةِ وَ عَـبدُ الرَّحمَـنِ فِي الجَنَّةِ وَ سَـعدُ فِي الجَنَّةِ وَ أَبُو عُـبَيدَةَ فِي الجَنَّةِ"**. كما جاء في بعض الروايات, "وَ لَو شِئتُ أن أُسَمِّي العـاشِرَ". و في بعض الرّوايات: "التَّاسِعَ لَسَمَّيتُهُ". فضجّ أهل المجلس و ضجَّ أهل المسجد, قالوا: "نَسأَلُكَ بِاللهِ من هُو العَاشِر؟". فقال: "أَنَـا العَاشِرُ". و سعيد بن زيد في الجنّة, رضي الله عنهم جميعا.

سعيد بن زيد يقول: "لَمَشهَدُ شَهِدَهُ أُولَائِكَ مَعَ رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه و آله و سلم– غَبَّرُوا فِيه وُجُوهَهُم فِي سَبِيلِ الله خَيرٌ مِن عَمَلِ أَحَدِكُم وَ لَو عُمِّرَ مَا عُمِّرَ نُوح".–"لَو عُمِّرَ مَا عُمِّرَ نُوح!". هكذا هو فضل الصحابة و القرابة الذين اصطفاهم الله سبحانه و تعالى بمنه و كرمه و فضله من بين سائر الناس زمانا و مكانا, اختارهم لِمَ؟ لصحبة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, للدفاع عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لِيُقتَلُوا أمامه بين يديه, يبذلوا أموالهم و أرواحهم و مُهَجَهم في نصرة النبي صلى الله عليه و آله و سلم, في حمل هذه الرسالة الخالدة للناس جميعا, عربا و عجما سودا و بيضا كما قال صلى الله عليه و آله و سلم في الحديث

المتفق عليه, قال: "**وَ كَـانَ النَّبِيُّ يُبعَثُ إِلَى قَومِـهِ خَـاصَّـة وَ بُعِثتُ لِلنَّـاسِ كَـافَّـة**". من قام بهذه التكاليف؟ من قام بأنه حمل هذه الرسالة كما أنزلها الله سبحانه و تعالى, للأجيال الذين بعدهم, هم أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلّم, فحذاري حذاري من التورط في ذكرهم بغير الخير كما يفع البعض و العياذ بالله, حاشانا الله و إياكم و أبعدنا الله و إياكم من فعل أهل الضلال و الزيغ.

نقف في ختام هذه السيرة و هذه الترجمة لسعيد رضي الله عنه و أرضاه, أننا نذكر أنّ هذه الترجمة قصيرة في كتب السير و المغازي, إلّا أنه نال رضوان الله سبحانه و تعالى, إلّا أنه بُشِّر بالجنة, فهذه هي الغاية, و إلّا ما الفائدة أن يُتَرجم لشخصٍ من الملوك أو الحكام أو الأمراء بمجلّدات عظيمة واسعة, صفحات بالمِئِين بل بالآلاف, فعل كذا و فعل كذا و بنى كذا و بنى كذا, و أزاح الحكم بالشريعة و حكم بالقوانين الوضعية و أراق دماء الموحدين, أراق دماء الموحدين! سفك دماء المسلمين, لِمَ؟ انتصاراً للمشركين, انتصاراً للكافرين, كما وصف النبي صلى الله عليه و آله و سلم الخوارج بأنّهم: "**يَـقتُلُـونَ أَهـلَ الإِسـلَام وَ يَـدَعُـونَ أَهـلَ الأَوثَـان**". كما جاء في الصحيحن. هاؤلاء أعظم من ذلك, يقتلون أهل الإسلام و يضعون و ينسبون نحورهم دون أهل الأوثان و دون أهل الصلبان, فيترجم لأحدهم بمجلدات عريضة طويلة, ثم و العياذ بالله هو من حطب و حصب جهنم.

ما الفائدة أن يُستَكثَر من سير بعض الأعلام في هذا العصر في مجلدات عظيمة و هو قد نقض الإسلام, نقض التوحيد و فعل الموبقات العظيمة و فعل النواقض الجسيمة؟

فإذن العبرة ليست بالكثرة الكاثرة, القليل الذي يبارك الله سبحانه و تعالى في خير من هذا الكثير الذي هو في معصية الله و في معارضة دين الله و في محاربة شريعة الله سبحانه و تعالى.

تجدون في سير كثير من الصحابة و التابعين و من بعدهم: فلان بن فلان, ماذا له في السيرة, له موقف واحد, قاتل و فعل و نصر, أو بذل كذا و كذا. تبحث عن اسمه و لربما تقرأ

الصفحات العديدة و تشقق الكتب و تبحث ليل نهار عن سيرة فلان فلا تجد له ذكرى, و لكنّ الله سبحانه و تعالى رفع ذكره متى؟ يوم الدين! {وَ رَفَعنَا لَكَ ذِكـرَكَ}. كما قال عمر: "لَا يَضُـرُّهُم أَنَّ عُـمَرَ لَا يَعرِفُهُم وَ لَكِن يَكفِيهِم أَنَّ رَبَّ عُمَر يَعرِفُهُم".-سبحانه و تعالى-.

الشاهد من ذلك أن أولائك الخيار, أولائك الأبرار أولائك الأطهار من أصحاب رسول الله المختار صلى الله عليه و آله و سلم, و إن قصرت سيرهم أو طالت فهم على العين و الرأس, لا يجوز لمسلم لموحد لِمؤمن يخاف الله سبحانه و تعالى أن يتورّط في النّيل فيهم, أن يتكلم فيهم بغير الحق الذي كما أسلفنا مرارا و تكراراً في سائر هذه الدروس التي نختمها في هذه الجلسة بإذن الله سبحانه و تعالى الذين قد زكاهم الله و زكاهم رسول الله و زكاهم المقربون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

هذه ومضات, هذه لمحات من سير هاؤلاء العشرة رضي الله عنهم و أرضاه و ألحقنا بهم في جنّات النعيم غير مبدّلين و لا مغيرين, و لكن من شاء منكم أن يسترسل في ذلك, أن يتوسع في ذلك أن يمتع نظرَيه أو ناظرَيهِ بذلك فليرجع إلى كتب الأمّهات التي صُنِّفت في ذلك: كتاريخ الإسلام للإمام شمس الدين الذهبي, كحلية الأولياء للإمام أبي نُعَيم الأصبهاني رحمه الله, كسير أعلام النبلاء و هو اختصار لتاريخ الإسلام للإمام شمس الدين الذهبي رحمه الله, كالإستصحاب في معرفة الأصحاب للإمام ابن عبد البر المالكي رحمه الله, كأُسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام ابن الأثير رحمه الله, كالإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر العسقلاني رحم الله الجميع, و كغيرها من الكتب التي صنفت في هذا الباب.

فنرجع نحن و إياكم و لتكن هذه السير التي مرت معنا لَبِنَة لنعرف أكثر عن هاؤلاء العشرة ثم نسترسل و نتوسع لمعرفة ما جاء عن سائر الصحابة من أهل بدر, من أهل أُحُد, من شهداء أُحد, من غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لكي نتتبع سيرهم, لكي نسير على ما ساروا عليه, نهتدي بهديهم.

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يبارك لنا و لكم و أن يحيينا على العهد الأول, على ما عاش عليه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ما عاش عليه الصحابة رضوان الله تبارك و تعالى عليهم و أن يميتنا على ذلك, على التوحيد الخالص, على الإيمان.

و الله تبارك و تعالى أعلم

و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين

و جزاكم الله خـيراً.

قلت (المفرغ): تمَّ تفريغ الدروس و لله الحمد و المنة و ذلك في يوم الثلاثاء الثاني بعد العشرين من شهر شعبان سنة ألف و أربعمائة و تسع و ثلاثين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم قبيل صلاة العصر في بلاد الأندلس.

و ذلك يوافق تاريخ اليوم الثامن من شهر ماي سنة ثمانية عشر و ألفين من التقويم الرومي.